الجواب الشافي

لتمكين البائس الحافي

د. منصور القطري

الجواب الشافي

لتمكين البائس الحافي

الدكتور منصور القطري

الجواب الشافي

لتمكين البائس الحافي

- الرسومات الداخلية للفنان المصري: أحمد الجنايني.
- الغلاف للفنان السعودي: علي الجشي.
- شكر خاص للشاعر الفلسطيني: مصطفى أبو الرز.

للتواصـل مع الـمـؤلــف:
qatarim@hotmail.com

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م

إهداء

إلى النور الذي بعثه الله للبشرية
إلى الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم
(وأسأله شفاعته في الآخرة)

قائمة المحتويات

تقديم ٠١١
تمكين الشباب ٠١٣
هوية الشباب ٠١٩
التفكير الإيجابي للشباب ٠٢٥
السر في نهضة الأمم ٠٣١
الشباب وصناعة المستقبل ٠٣٧
الشباب والتعصب الرياضي ٠٤٣
أرجوك اقبل نصيحتي ٠٤٩
اعتزال الناس والأمل المكتسب ٠٥٥
الأبناء ومؤامرة الثقافة الاستهلاكية ٠٦١
التشاور الحر ٠٦٧
التعاطف مع الناس ٠٧٣
التعقل في فهم الأسباب والنتائج ٠٧٩
التفكير الناقد ٠٨٥
الثقة بالنفس ٠٩١

الحاجة إلى تنمية مهارات الصداقة ٠٩٧
الخضوع للسلطة وتوجيه العدوان للأضعف ١٠٣
الديمقراطية تبدأ من البيوت ١٠٩
السياحة المعرفية ١١٥
السينما صناعة ثقافية للشباب ١٢١
الطموح ١٢٧
الفـراغ ١٣٣
القناعة ١٣٩
اللاعنف في التغيير ١٤٥
المجاهدة في العلم ١٥١
المسايرة الاجتماعية ١٥٧
المسؤولية الاجتماعية للشركات ليست صدقة ١٦٥
الوجه الآخر للرياضة ١٧١
تأثير الديوانيات في نشر الوعي السياسي ١٧٩
التدريب على تحمل المسؤولية ١٨٥
تفاعل الطلاب مع الأحداث الجارية ١٩١
حملة وطنية من أجل السلام ١٩٧
سيكولوجية الحاسد والمحسود ٢٠٣
طلابنا في الخارج وثقافة الفرح ٢٠٩

علاقة الإنسان العربي بالساعة ٢١٥
علم اجتماع المثقفين ٢٢١
عندما يتحدث الجسد ٢٢٧
عندما يتنفس القلم ٢٣٣
تجنب العداوات ٢٣٩
مبادرات البسطاء تستنهض ضمير المجتمع ٢٤٥
مجتمع الطاعة ٢٥٣
البعد الإنساني في شخصية الفتاة الأمريكية (راشيل كوري) ٢٥٩
الاحتفاظ بالطاقة والحيوية ٢٦٥
السحر الحلال ٢٧١
من حقي أن أستمتع بإجازتي ٢٧٧
منزل لا يدخله الضيف لا تدخله الملائكة ٢٨٣
أساليب المبدعين مختلفة ٢٨٩
العفة اللفظية ٢٩٥
نظام الفزعة في الثقافة العربية ٣٠١
نظرية القنفذ والثعلب ٣٠٩
مثلث برمودا الاجتماعي ٣١٥
كسل الشعوب ٣٢١
أكبر عصف ذهني عربي لحل أزمة البطالة ٣٢٩
كن أنت ولا تكن غيرك ٣٣٥

تقديم

بما تمكنت من رصده خلال ثلاثين عاماً من تقديم الدورات التدريبية والمحاضرات وورش العمل وجدت نفسي مدفوعاً للكتابة في موضوع هام يلامس احتياج قطاع كبير من الأفراد والجماعات ذكوراً وإناثاً، شيبة وشبانا، وهو قضية التنمية الذاتية الهادفة إلى التغيير الجذري وصولا إلى تحسين واقعنا الاجتماعي.

وقد كان مخططاً للموضوعات التي يتضمنها هذا الكتاب أن تنشر في قنوات الإعلام الخليجي على شكل مقالات منسجمة ومتكاملة حول هذا الموضوع (التنمية الذاتية) الذي يمثل محور ارتكاز لهذه المقالات بهدف تعميم الفائدة؛ لذلك فإن هذه الموضوعات لو أردنا أن نصنفها فإننا سنجدها ليست بالصحفية المحضة وليست بالعلمية الأكاديمية كذلك؛ بل هي وسط بين هذه وتلك، كما نجدها تستهدف فئة يعتبر حجمها ميزة ديموغرافية (سكانية) لمنطقتنا العربية وهي فئة الشباب، تلك الشريحة السكانية التي تتمتع بالطاقة والنشاط والحيوية حيث يمثل الشباب (ما بين ١٥ـــ ٢٩ سنة بحسب تعريف الأمم المتحدة) واحداً من أكبر مصادر القوة في أي بلد؛ فهم الوعد المأمول لقيادة البلاد نحو التميز وهم الاحتياط الاستراتيجي للنهوض والفعالية الإبداعية.

وقد عني الكتاب بنشر مادة فكرية موجهة لقاعدة واسعة من القراء –وعلى الأخص الشباب –في موضوعات وشؤون تتصل بتنمية الذات (الطموح – الفراغ – تحمل المسئولية–المسايرة الاجتماعية– اللاعنف في التغيير –التفكير الناقد – الهوية.. الخ).

وفي الوقت نفسه فقد وضعنا نصب أعيننا -عند تناول هذه الموضوعات- تنمية الحَس الوطني لدى القارئ بحيث يتم ربط هذه الشريحة بالقضايا والمسائل الكبرى التي تشغل النخب والرأي العام وتتصل بمصير ومستقبل وطننا العربي والعالم من حولنا؛ خصوصا وأن هناك شحا في الدراسات والأبحاث التي تجمع بين تطوير وتنمية السمات الشخصية وبين حركة الانسان في واقع الحياة المعاش، ذلك الربط الذي يستمد تطبيقاته من تراثنا الديني والأخلاقي، وكذلك من تراث الحضارة الإنسانية في أفقها العالمي.

ونود ختاما التنويه إلى أن موضوعات الكتاب لا تقصد التوسع أو التخصص المعمق، وإنما تفتح للقارئ أفقاً من الفضول المعرفي يدفعه إلى طلب المزيد مما هو أوسع من الدراسات وأعمق؛ فيكون المراد توفير المداخل الضرورية لتهيئة القراء للاتصال بالنصوص المتخصصة.

وباختصار شديد فان ما حاولنا أن نقوم به في هذا الكتاب هو تحريك طاقة الشباب نحو غد مأمول من خلال صياغة اتجاهات سليمة وايجابية لاستثمار هذه الإمكانيات.

تمكين الشباب

تمكين الشباب

> **« لا يوجد إنسان ضعيف بل يوجد إنسان يجهل مواطن قوته» .**
>
> **ليو تولستوي**

ما يزال الاهتمام بموضوع (التمكين) يتصاعد في الأدبيات الغربية، وهو يتضمن منح المواطن الحرية والاستقلال في حركته ونشاطه مقروناً بالمشاركة في اتخاذ القرار وتحمل المسئولية بشكل أكبر. هذا الحماس لتطبيق فكرة (التمكين) يتزامن مع صعود الحركة العالمية لحقوق الإنسان والتوجه نحو تخفيف القوانين (Deregulations) على مستوى الدول ومؤسسات العمل لإعتاق الفرد من الرقابة الصارمة واللوائح البالية ومنحه المزيد من «الحرية» لكي يطلق الإنسان طاقاته وإمكانياته الذاتية بدوافع ذاتية وليس من خلال استخدام سياسة الكرباج.

في تقديري أن من أجمل الدروس لفكرة (التمكين) في موروثنا العربي ما نرصده عند مطالعة سيرة عنترة بن شداد حيث اشتهر بالفروسية والشعر والخلق الكريم، وملخص السرد التاريخي لهذه السيرة أن بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من بني عبس فأصابوا منهم، فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم وعنترة فيهم، ولكنه لم يشترك في القتال خصوصا وأن أباه لم يلحقه بنسبه، وكانت روح عنترة تواقة حتى الثمالة إلى الحرية والانعتاق، وهو من صناديد الحرب والهيجاء، يذود عن الأرض، ويحمي العرض، ويعف عن المغنم، ويتضح ذلك في قوله:

ينبيك من شهد الوقيعة أنني أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنم

فقال له أبوه: كر يا عنترة، فقال عنترة: العبد لا يحسن الكر إنما يحسن الحلاب والصر، فقال: كر وأنت حر، فكر عنترة بعد أن شعر بالحرية (التمكين) وعنترة مثال للفارس الشهم النبيل حتى استحق الثناء من النبي الأكرم عندما ذكر أمامه قول عنترة:

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل

فقال في حقه الرسول ﷺ: «ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة».

تاريخياً أيضاً أعتق الإمام زين العابدين عدة آلاف من الموالي، لكنه كان قبل عتقهم يعلمهم أحكام الدين ويغذيهم بالمعلومات فيتخرج الواحد منهم محصنا بالعلم والمعرفة و(يمكنهم) مادياً أيضا فلا يكونوا عالة على المجتمع، بل أصبح أغلبهم من التجار بفضل سياسة التمكين Empowerment.

فكرة المقال الأساسية الدعوة إلى ترتيب الأولويات والى صناعة وعي بجوهر عملية الإصلاح حتى لا نقع فريسة التسطيح، فنحن اليوم نمر بعصر استثنائي لم يمر على تاريخ البشرية مثله، إنه عصر اقترب فيه الجميع من بعضهم البعض؛ مما جعل من الضروري إعادة النظر في إشراك المجتمع بكل فئاته وطوائفه، انطلاقا من مبدأ القناعة بحرية الفرد وحقوق الإنسان، وهذه ليست حلول مبتكرة وجديدة بل نحن أمام تجارب بشرية.

إن تقييد الحريات ظاهرة تكررت على مر العصور وهي النقيض الموضوعي للتبشير بمجتمع متسامح وهو مدار الاختيار. قديما كانت الحرية تتمركز في يد السيد في مواجهة العبد، لكننا اليوم أمام مؤسسات متنوعة وأهمها سلطة مؤسسة الدولة في قبال حرية المواطن، يقول الأديب الناقد معجب الزهراني (ولعل نفور الوعي الجمعي العام من كل دولة يعود في جزء أساسي منه إلى ما استقر في الذهنية العربية الشعبية والخاصة من صور

سلبية عن هذه الدولة التي قد توفر لرعاياها بعض الحماية وبعض الخدمات، لكنها تستلب أغلى ما يملك الإنسان، ونعني حريته وكرامته) ويحضرني تعليق رائع في محاضرة للمرحوم الشيخ الوائلي معلقا على لحظة سجود السحرة لله وهم أمام الطاغية (فرعون) بان هناك درس تاريخي هو أن الضمير حي في النفوس فما يزال الموقف تراث، والأمم تقاس بمواقفها، والعرب لها قول مشهور (ليس للأحرار ثمن إلا الإكرام. فأكرم حرا تملكه).

نعم لا يمكن دفن الناس تحت الأرض واختزال الجميع فيكمن الجواب في انسحاب المواطن وتشرنقه في زاوية من منزله حفاظاً على حياته وكرامته يعيش كبقية الدواب يأكل وينام. إن أحد أهم معاني القوة هو القدرة على التحرر من القيود، فعندما يكون الإنسان حرا فإنه يؤمن بحرية الآخرين، وهذا الكلام ينطبق على الحاكم والمدير في مؤسسة العمل والزوج في المنزل والمعلم في المدرسة، وفاقد الشيء لا يعطيه، بمعنى إذا كان الإنسان حرا حقيقيا فإن إيمانه بذلك يدعوه لأن يقبل الاختلاف معهم، بل وأن يدافع عن حرياتهم. يقول جيفارا (أنا لا أوافق على ما تقول ولكني سأقف حتى الموت مدافعا عن حقك في أن تقول ما تريد) لا أن نعادي الآخرين لمجرد الاختلاف معهم في المذهب أو الدين أو المنطقة والبلد أو القبيلة، والأشد أن ننبذ الأخر لإيمانه بمنهجية مختلفة في العيش. المشهد في البلدان العربية اليوم يدعونا إلى أن (نجعل من المحنة منحة) بمعنى أن نقدم للإعلام العالمي صورة للتكاتف واللحمة الأخوية والدينية والإيمان بحرية الآخرين وحقهم في الاختيار عوضاً عن التهجم على بعضنا البعض. ماذا فعلت أمريكا في إعصار تسونامي وهي محنة؟ أمريكا التي تجيد تلفزة التاريخ وإعادة تصويره وتوظيفه كماكينة إعلامية ضخمة أعلنت على لسان كونداليزا رايس «تسونامي كان فرصة رائعة لإظهار وجه أمريكا الإنساني». أمريكا تتنقل في أرجاء المعمورة لتنقل صورة

جميلة لوجهها القبيح!! والسؤال كيف نستطيع هنا مخاطبة الجهة الأخرى من الكوكب؟ بحيث نعكس وجه الإسلام الإنساني.

في تقديري لكي نكون أوفياء مع الأخوة و (الأبناء) في الوطن الواحد هناك درس هام: الشباب ثروة، لكن عندما يتم تجاهلهم وتقييد حرياتهم المشروعة فإنهم يتحولون إلى ثورة!! لذا يجب النظر إلى تمكين الناس عامة باعتباره أداة هامة وملحة لتقوية جهاز المناعة الداخلي في المجتمع؟؟

هوية الشباب

Elganainy

هوية الشباب

« العظمة الحقيقية هي أن تكون سيد نفسك » .
دانيال دينو

هناك قطاع عريض من الناس تتابع الأفلام (وعلى الأخص أفلام الكرتون) باعتبارها محطة للاستجمام والراحة ووقتا للمرح والفكاهة لكن الفيلم في الحقيقة له أبعاد تربوية وثقافية هامة، وقد علقت رئيسة اللجنة الثقافية في البرلمان الأوروبي قائلة: إن الأفلام وما ينطوي عليها من أبعاد ثقافية يجب ألا تترك لقوى السوق وألا يتم التعامل معها كسلعة عادية مثل البطاطس والغسالات الكهربائية.

فيلم (الأسد الملك) Lion king في تقديري له علاقة وثيقة بمفهوم «الهوية» فقصة الأسد الذي عاش منذ طفولته مع الحيوانات الأليفة (سامبا) حيث كان والده ملكاً عادلاً للغابة، لكنه اختطف وتربى وسط بيئة أنسته وأفقدته هويته كأسد، فتصرف بعد ذلك كبقية الحيوانات التي عاش معها وهي الدجاج والأرانب والخرفان. عندما نظر ذات يوم إلى صورته على سطح الماء رأى صورة أسد فخاف!! لم يكن يعرف أنه أسد حتى جاء إليه أحد الحيوانات الضعيفة (وذكره) بأنه أسد، وان أباه، أسد ويستطيع أن يملك ويحكم الغابة ويقود المجتمع، قصة الأسد الملك تشبه إلى حد كبير ربيع الشباب العربي اليوم الذي قرر أن يكتشف ذاته؟

هناك توجه عالمي في ميدان الموارد البشرية يقوم على التدريب المبني على الجدارات،

والجدارات تنقسم إلى قسمين: جدارات ظاهرة كالمعلومات والشهادة والثقافة وجدارات كامنة كالثقة بالنفس ورباطة الجأش والمبادرة والاعتزاز بالذات، وبما أن الشباب في وطننا العربي يشكلون ٣٠٪ من المجتمع وهي أعلى نسبة في العالم؛ لذا فمجتمعنا العربي يعتبر من المجتمعات الفتية عالميا؛ ومن جانب آخر فإن الشباب أجمل ما يملك الإنسان، فالطفولة صحة لا عقل لها والشيخوخة حكمة لا قوة لها، فالمرحلة المفعمة بالصحة و المشحونة بالقوة هي مرحلة الشباب وفيها يتشكل وعي الإنسان؛ لذلك فنحن معنيون بزيادة ثقة الشباب بنفسه وتمكينه والاعتزاز بهويته. يقول الإمام علي (حكيم الكوفة) بحسب تعبير الأديب المسيحي الرائع جورج جرداق: عجبت لمن ينشد ضالته وقد أضل نفسه فلا يطلبها!! المعنى العظيم لهذا القول يكمن في أهمية معرفة الذات وعلاقته بهدفيه وجود الإنسان في الحياة، فأحد القضايا الرئيسة بالنسبة للإنسان (وعلى الأخص الشباب) هو معرفة غاية وجوده ووضوح أهدافه حتى تتحقق المعرفة الذاتية، ويؤكد هذا المعنى مرتضى المطهري في كتابه رحلة مع نهج البلاغة بقوله (غياب الغاية والهدف يؤدي إلى ضياع الذات).

نحن نشجع الانفتاح على كل الثقافات، لكن لنبدأ أولاً بالتعرف على ثقافتنا ونتمسك بها حتى نتجاوز (أزمة الازدواجية الثقافة)؛ فالانفتاح مشروط بأن لا نتحول إلى شخصيات ممسوخة؟ ولنا أن نتأمل كلام رئيس الوزراء السنغافوري (لي كوان يو) وهو الأب الروحي الذي حول سنغافورة من مستعمرة صغيرة تعيش الفقر المدقع إلى دولة متلألئة قوية وحديثة يقول (يختلف السنغافوريون عن الأمريكان والإنجليز رغم احتمال تحدثهم باللغة الانجليزية أو ارتدائهم الملابس وفق النمط الغربي فإن أوجه تبايننا مع الغربيين ستزول فيما لو طرأت ظروف على المدى البعيد يتعذر فيها تمييز السنغافوريين عن الأمريكان والإنجليز أو الشعب الاسترالي، أو على نحو أسوأ تحولنا إلى شخصية ممسوخة تقلد الشعوب الأخرى وسنعجز –عندئذ –على الحفاظ على هويتنا على الصعيد الدولي)، وكتب عالم الاجتماع والروائي حليم بركات حول المنفى قائلا: وجدت في

المنفى شجرة الوطن تغرس جذورها عميقا في داخلي فأنتقل على أجنحة المخيلة بين الكهولة والطفولة وبين مدينة أمريكية هي واشنطن وقرية سورية هي الكفرون؛ فكلما ابتعد الروائي والأديب عن وطنه جغرافيا ازداد ارتباطه به.

إن أمر الهوية identity لا يتصل فقط بوطننا العربي والإسلامي، بل يتصل حتى بالتجربة الأوروبية، فالثورة الصناعية جعلت الأوروبيين ينتبهون إلى تراثهم خوفاً من أن يقضي عليه ضجيج الآلة، وكان على رأس هؤلاء (نيتشه) الفيلسوف الألماني الذي حذر من دخان المصانع وآثارها على مجمل العلاقات الإنسانية فأكد على معرفة الذات وتوكيدها والبحث عنها باعتبارها مسألة حضارية، بل إن الإذاعة البريطانية (B.B.C في سنة ١٩٨١م رفضت عرض حلقات (افتح يا سمسم) الأمريكي بحجة أنه يحمل إلى أطفالها قيما أجنبية عن مجتمعها كما أوصى البرلمان الأوروبي بفرض قيود أشد على الأفلام الأمريكية التي تعرض في التلفزيونات الأوروبية ضمن حملة قوية ضد أمركة الثقافة، حيث تعرض (٨) أفلام أمريكية من بين كل (١٠) أفلام على مستوى السينما الأوروبية.

لا شك أن الفيلم منتج ثقافي بالدرجة الأولى ويتضمن قيماً وسلوكيات، ومع الاعتراف بخمول رغبة الإنسان العربي في القراءة؛ فإن أسهل خيار هو المشاهدة، وتشير الدراسات إلى أن الشاب العربي يشاهد في المتوسط أربعين ساعة أسبوعيا!! أي ما يساوي خمسة أيام عمل!! والطريف أنني في إحدى المحاضرات الموجهة للشباب سألتهم: في حال استوقفك رجل دوريات الأمن فمن عليه الترجل (النزول) من السيارة رجل الأمن أم المواطن؟ كان الهدف من السؤال معرفة المرجعية السلوكية لدى الشباب لمعيار الخطأ والصواب، واللافت في الأمر أن أغلبهم قالوا: يجب على رجل الأمن الترجل من السيارة، وأنهم عرفوا صحة ذلك التصرف من خلال مشاهدتهم المكثفة للأفلام الأجنبية.

أختم بقول عظيم للإمام علي وهو جدير بالفهم والتأمل: (رحم الله من علم من أين وأين و إلى أين!!).

التفكير الإيجابي للشباب

Elganainy
2003

التفكير الإيجابي للشباب

« غير طريقة تفكيرك تتغير حياتك » .
الفيلسوف بلانو

يستطيع كل واحد منا أن يضع لنفسه قناعات أو فلسفة خاصة في حياته العملية أو الأسرية -بل ولحياته العامة- لكن تلك القناعات في تقديرنا يجب أن تكون مرتكزة على الموقف الإيجابي في التعاطي مع القضايا والأمور. ولعل مشهد المسيح عليه السلام مع مجموعة من حواريه مثال رائع على النظرة الإيجابية عندما مر ذات يوم على كلب ميت فاشمئز الحواريون من رائحة الجثة، فقال المسيح عليه السلام: ألا تنظروا إلى سنانه إنها ناصعة البياض.

وهناك شعار مهم في ثقافتنا الدينية تفاءلوا (هذه هي الفكرة) بالخير (هذه هي الوسيلة) تجدوه (هذه هي النتيجة). إن الموقف الإيجابي هو التعبير الخارجي للحالة الفعلية التي تركز بشكل أساسي على الأمور الايجابية، أو كما عبر عنه (سكوت دبليو) في كتابه قوة التفكير الإيجابي في الأعمال: هو قدرتنا الفطرية للوصول إلى نتائج أفضل عبر أفكار إيجابيـة خاصة وأن علماء نفس الاجتماع يذهبون إلى أن الناس تُعلي أهمية القيم التي يمكن الوصول ليها بسهولة عبر الشعارات.

والمعادلة التي ندعو لها هنا هي: (العمل + التفاؤل). فكلما زاد سعي الإنسان واشتدت حركته ظهرت كفاءاته وصُقلت شخصيته من خلال كدحه وعمله يقول تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴾ فقد كان الإمام علي يخرج ومعه أحمال النوى (العمل) فيقال له: يا أبا الحسن ما هذا معك؟ فيقول: (نخل إن شاء الله) وهو (التفاؤل). وفي الرواية إنه زار النبي ﷺ رجلاً مريضاً فقال له: طهور إن شاء الله قال الرجل: بل حمى تفور على رجل وقور لتورده القبور فقال عليه الصلاة والسلام: هي كذلك.

كنت أكرر في اللقاءات مع الشباب أن السعادة ليس بتملك المال أو السلطة، بل السعادة هي الإحساس بالرضا الذي يجلب المتعة، فقد عاش نابليون في قمة الجاه والسلطة والشهرة لكنه قال في سانت هلينا: (لم أعرف ستة أيام سعيدة في حياتي) بينما عبرت هيلين كيلر العمياء الصماء البكماء: (أجد الحياة جميلة جداً). وأدبيات التفكير الإيجابي تشير إلى حالة هامة وهو خطورة الحديث الداخلي للنفس (Internal- Self talk) فعندما ترسل لعقلك الباطن رسالة عن شخص بغيض تكرهه فما هي إلا لحظات حتى ترى معالم الغضب تعتري وجهك مع أنك فعلياً لم تَرَ هذا الشخص، وكذلك الحال لو أرسلت لعقلك الباطن رسالة تفيد أنك ضعيف فإنه يؤثر على نمط سلوكك الخارجي، لأن هذه الرسائل هي الموجهة والدافعة كخطوط إرشادية لتصرفاتك، وهذا سر قول الإمام علي (ما بارزني أحد إلا وأعانني على نفسه أو على قتله).

والسؤال الذي يكرره الكثير من الناس؛ ألا توجد إخفاقات في الحياة؟ الجواب: نعم فالحياة ليست مفروشة بالورود، ولكن كيف ينظر الإنسان ويفكر في تلك الإخفاقات؟ قيل لتوماس أديسون الذي قام بمحاولة اختراع المصباح الكهربائي (١٠٠٠) ألف مرة ولم يوفق: أتريد أن تستمر في محاولاتك بعد (١٠٠٠) مرة؟ فقال أديسون: أنا لم أفشل في ذلك، ففي كل مرة كنت أكتشف طريقة جديدة توصل إلى ما أصبو إليه. في تقديري النجاح والفشل نتائج، فإذا عمل الإنسان عملا وكانت النتيجة الفشل فليس معنى ذلك أنه فاشل، بل عليه أن يغير طريقته في الأداء على أن تكون مسكونة بالتفاؤل.

وفي كتاب (The Art of Possibility) تأليف (روزا مندستون زاندر) و (بنيامين

زاندر) والذي جاء فيه (إن أحد مصانع الأحذية أرسل اثنين من المختصين في الاستطلاع إلى إحدى المناطق الإفريقية لدراسة إمكانية إقامة مشروعات هناك؛ فبعث أحدهما برقية إلى المصنع يصف الوضع فيها بقوله (موقف ميئوس منه. الجميع هنا لا يرتدون الأحذية. في حين بعث الآخر ببرقية إلى نفس المصنع يقول فيها: فرصة عظيمة ليس لديهم أحذية هنا) هذا هو الفرق بين التفكيرين.

ذات مرة دخلت على متجر، وكان هناك طفل رائع يجلس خلف مكتب أنيق فقلت: ما شاء الله هؤلاء هم رجال أعمال المستقبل فعلق والده قائلا: دعه عنك إنه ولد مشاكس و مشاغب وغير مطيع!! هنا لفته تربية هامة وهي أن النظرة التشاؤمية تبدأ من البيوت!! يقول الإمام علي (إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته) والتجارب الإنسانية التاريخية أكبر شاهد، فهذه أم القائد المشهور الإسكندر المقدوني تقول له: وهو طفل صغير جاء الإمبراطور ذهب الإمبراطور فنشأ وهو متقمص في عقله الباطن الدور الذي رسمته له. وهذه أم العالم المصري (أول عالم عربي مسلم يحصل على جائزة نوبل في الكيمياء) الدكتور احمد زويل تقول والدته: عندما كان أحمد زويل صغيراً كنت أعلق على باب غرفته ورقة مكتوب عليه.. هنا غرفة الدكتور أحمد زويل. الاسم رسالة والثناء على الصفات الإيجابية في الآخرين رسالة، والدراسات الحديثة تقول إننا نستقبل في ١٨ سنة الأولى من أعمارنا (٥٠-١٥٠) ألف رسالة سلبية مقابل (٤٠٠-٦٠٠) رسالة إيجابية؛ لذا يجب على كل شخص أن يركز على حيويته ونشاطه وجاذبيته الشخصية ويعززها بالقول الجميل والفعل الرزين فعقلك بستان حياتك وأنت من يزرعه.

السر في نهضة الأمم

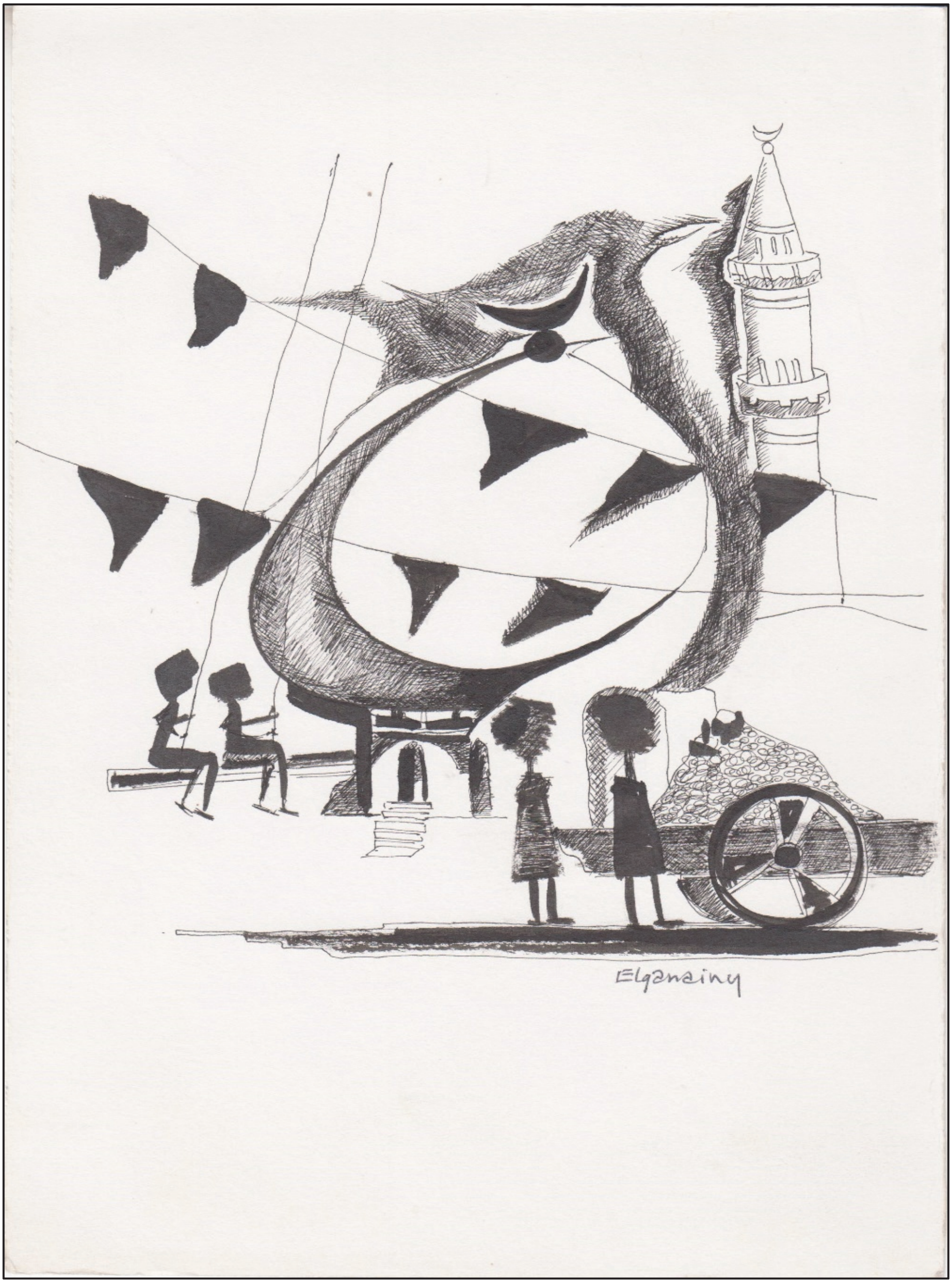
Elganainy

السر في نهضة الأمم

« ليست المشكلة أن نعلم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها الإيجابية وتأثيرها الاجتماعي » .
مالك بن نبي/ المفكر الجزائري

تذهب الأسطورة إلى أنه كان بأرض «سكاوندجين» عند مدينة «داهر» مكان كثير الصيد ينتابه الصيادون، وكان في ذلك المكان شجرة كثيرة الأغصان فيها وكر غراب، فبينما هو ذات يوم ساقط في وكره إذ بصياد قبيح المنظر سيئ الخلق يدل قبح منظره على سؤ مخبره، على كتفه شبكة وفي يده عصا، جاء مقبلاً نحو الشجرة فذعر منه الغراب وقال: لأثبت في مكاني وأرى ما يصنع! ثم إن الصياد نصب شبكته ونثر عليها الحَب وكمن قريباً منها، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مرت به حمامة يقال لها «المطوقة» وكانت سيدة الحمام ومعها حمام كثير، فعميت هي وصاحباتها عن الشرك فوقعن على الحَب يلتقطنه فعلقن في الشبكة جميعاً، وأقبل الصياد فرحاً مسروراً فجعلت كل حمامة تتلجلج في حبائلها وتلتمس الخلاص لنفسها. فقالت المطوقة: لا تتخاذلن في المعالجة ولا تكن نفس إحداكن أهم إليها من نفس صاحبتها، ولكن نتعاون جميعاً ونطير كطائر واحد فينجو بعضنا ببعض، فجمعن أنفسهن ووثبن وثبة واحدة فقلعن الشبكة جميعهن بتعاونهن وعلون في الجو.

أسطورة جميلة ونموذج متميز لقوة ووضوح (الرؤية) ونجاح المجتمعات، فالحمامة المطوقة قادت جماعتها وشحذت همم الأتباع للخروج من الأزمة!!. ولعل قصة كليلة ودمنة تختصر لنا أزمة التنمية في الدولة العربية والسؤال الجوهري هنا: لماذا تتقدم أغلب

دول العالم بينما الدولة العربية في حالة تيه وبلا بوصلة؟

نعم الوطن العربي كبير وغني بموارده المادية والبشرية لكنه ـ للأسف ـ يدار بعقلية فقيرة. فنحن نملك التريليونات وحقول النفط وجبال الذهب وآبار الغاز والأراضي الزراعية الشاسعة، ونملك الماء العذب الزلال (النيل ودجلة والفرات) ونملك عقول الأبناء التي تشهد لها جامعات أمريكا والغرب بالعبقرية والتميز، بل إن الوطن العربي يعتبر إحدى أكبر مناطق العالم خصوبة سكانياً، فعدد السكان يصل إلى (٣٠٠) مليون، وخلال ٢٠سنة القادمة سيصل عدد العرب إلى (٤٢٥) مليون نسمة!!.

العبرة هنا ليس بعدد السكان، فعدد الإسرائيليين أربعة ملايين، لكن الذين قاموا بمواجهتها وإذلالها هم أطفال الحجارة في غزة ومجموعة من الفلاحين في جنوب لبنان!! والعالم أحمد زويل ما كان لينال جائزة نوبل لو بقي في مصر، وهي التي يعيش فيها سبعون مليون نسمة وتمثل العمق الاستراتيجي للوطن العربي.

إن مسيرة التنمية لدى الدولة العربية بلا (رؤية vision) واضحة. لذا تتكرس يوماً بعد يوم حالة الجوع والظلم والجريمة والبطالة والفقر والمرض والجهل وصفقات الأسلحة المشبوهة – ألمانيا واليابان صعدتا إلى القمة وهما لا تملكان أي سلاح – ويتقلص أيضا هامش الحرية فيقوم الإعلام الموجه في وطننا العربي بلعب دور ضارب مدفعية محترف يستخدم سطوة نيرانه لتفريق الناس واللعب على الاختلافات وإشغالهم بقضايا ثانوية لمنعهم من رؤية السيناريو بالكامل، بل المدهش أن تقارير المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة (أليسكو) تفيد أن هناك (٦٥) مليون أمي عربي أغلبهم من النساء، بمعنى أن كل عام لدينا مليون إنسان أمي وأمية زيادة عن العام الذي قبله!! أليس من المخجل أن نبتعد نحن أمة اقرأ عن تيار العلم والمعرفة الذي قدح زناده الأنبياء؟

والعبرة أيضا ليس بامتلاك الموارد الطبيعية، فاليابان دولة لا تملك موارد طبيعية،

وكذلك الحال لسنغافورة وماليزيا، بل إن اليابان تعتبر أول دولة تُضرب بالسلاح النووي لكنها نهضت بقوة. وقد اختطفونا شبابا وعبأوا رؤوسنا بثقافة الهزيمة والنكبة والنكسة!! فالمعادلة لا تقوم على الموارد الطبيعية ولا على عدد السكان ولا على مساحة الأرض، فهذه المعادلة قديمة وقد ضُرب بها عرض الحائط، فهناك دول قل سكنها وتقدمت مثل سنغافورة برؤية (لي كوان يو)، وهناك دول زاد سكانها وتأخرت، وهناك دول قلت مواردها وتقدمت كماليزيا برؤية (مهاتير محمد) وهناك دول زادت مواردها ولكن مواردها مهدورة مثل دول الخليج العربي وبها فئات فقيرة معدمة تعيش حياة المسغبة، وهناك دول قلت مساحتها وتقدمت مثل سويسرا، وهناك دول زادت مساحتها وتأخرت... الخ.

الرؤية تجمع الناس حول حلم مشترك؛ فهي أداة تنسيقية وشريان يضخ الحيوية في حركة الشعوب وتجعل المستقبل أكثر وضوحا وهي لب الصحة السياسية وهي مفيدة للحاكم قبل المحكوم، ولعل رؤية (٢٠٢٠) التي أطلقها مهاتير محمد في ماليزيا واضحة حتى لسائق التاكسي الماليزي ورؤية غاندي في الاستقلال كانت (مانيفيستو) لكل الفلاحين في الهند ورؤية جون كينيدي عام ١٩٦٠ التي قالها: إنني اعتقد أن هذه الأمة يجب أن تلزم نفسها بتحقيق هدف – قبل انتهاء هذا العقد- بإنزال رجل على القمر وإعادته سالما إلى الأرض) كانت بمثابة قوة حافزة، ليس فقط لبرنامج الفضاء والمهنيين والعلماء، بل إن أحد الصحفيين زار وكالة ناسا وسأل عامل النظافة في مقر الوكالة ماذا تفعل هنا؟

فقال عامل النظافة: (أنا أساعد في إرسال أول رجل فضاء إلى القمر).

أرغب التذكير هنا أن إستراتيجية (الحمامة المطوقة) ورؤيتها قد أججت المشاعر وكانت منبعا للطاقة أذكت إرادة الجموع للخلاص من شبكة الصياد المستعمر القديم المعاصر وألهمتنا أيضا أن الرؤية بطبيعتها مسألة انفعالية فهي مثل الحب له قوة غير عادية في اجتياز الصعاب. أليس كذلك يا صديقي؟

الشباب وصناعة المستقبل

Elganainy

الشباب وصناعة المستقبل

« المستقبل ينتمي إلى هؤلاء الذين يعدون له اليوم » .
مالكوم إكس

صناعة مستقبل الإنسان العربي تنقسم في تقديري إلى جانبين: الأول يتعلق بمسؤوليات الدولة العربية والثاني: يتعلق بالناس، أي المجتمع، وتحديدا الأسرة باعتبارها نواة صناعة الشباب.

فيما يتعلق بالجانب الأول ما تزال البلدان العربية مشغولة عن الاهتمام بالمستقبل، حتى أن الناس لا يعلمون إلى أين المسير!! وهذا المشهد يذكرنا بالعالم الشهير ألبرت اينشتاين عندما سئل ذات مرة لماذا تبدي اهتماماً بالمستقبل؟ فرد قائلاً: ببساطة: لأننا ذاهبون إلى هناك.

التخطيط للمستقبل مطلب وطني ملح، لكن المهم في تقديري ليس التخطيط بل وجود (الرؤية vision) لماذا؟ لأن التخطيط لا يستطيع أن يصنع الرؤية بل يستطيع التخطيط إن يبرمج الرؤية -إن وجدت- كما فعل مهاتير محمد في ماليزيا. اغلب الدول تعتمد (طريقة السيناريوهات) أسلوباً لاستشراف المستقبل، فقد استخدم الخبراء الأمريكان هذا الأسلوب لتصور خريطة العالم في سنة ٢٠٢٠. على سبيل المثال عرض التقرير الذي أعده المجلس الوطني للمخابرات الأمريكية معتمداً على عشرات من الخبراء والمختصين في العلاقات الدولية والدراسات المستقبلية أربعة سيناريوهات محتملة:

١- السيناريو الاقتصادي: يفترض مشروع تنمية اقتصادية قوية خلال السنوات القادمة وتحديد كيفية إعادة صياغة مسار العولمة.

٢- سيناريو النظرة الأحادية: يتفحص طرق التمكن الأمريكي لمواجهة التحولات الفجائية للسياسة العالمية.

٣- سيناريو قيام خلافة إسلامية: ويتوقع هذا السيناريو ظهور حركة عالمية إسلامية وإمكانية إشغالها بالطائفية.

٤- سيناريو حلقة الخوف: يركز على حالة الخوف الناتجة عن انتشار الأسلحة النووية وما هي مستلزمات اتخاذ إجراءات أمنية ناجحة.

الهدف من استعراض المثال السابق هو شحذ الهمم واستدعاء قدراتنا للإجابة على تساؤلات المستقبل المتعلقة بالإنسان العربي وما يتصل به من قضايا هامة.. (الفقر، الأمية والتعليم، البطالة، المستوى الصحي والبيئي والمعيشي.. الخ) هذه الدراسات الافتراضية القائمة على البيانات والتي ينبغي أن يتولاها متخصصون ليست نوعا من الترف الفكري، لكن السؤال هو: ماذا عن هذا التوجه على مستوى الحكومات في الوطن العربي؟ هل هو مقتصر على الجانب الأمني فقط؟ قال (ديغول) يوما لأحد (وزرائه): خالفني مرة واحدة لأشعر أننا اثنان!!

نعم الدولة العربية تتحمل المسئولية الكبيرة، لكننا هنا بهدف خلق وتنمية اتجاهات إيجابية في الأسرة العربية نحو تدريب الأبناء على مهارة التخطيط للمستقبل، وفي هذا المجال فقد أصدرت روبين ميريديث Robyn Meredith المتخصصة في الشأن الهندي والصيني كتابا بعنوان (الفيل والتنين- صعود الهند والصين) تحدثت فيه عن الدور الخطير للطبقة الوسطى في تحقيق التنمية والتمرد على الدكتاتورية وذلك أثناء المجاعة الكبرى التي واجهت الصين وأوردت قصة اجتماع بعض الريفيين سنة ١٩٧٨ للخروج عن نسق شيوعية (ماو) المتمثلة في المزارع الجماعية، حيث أعادوا تقسيم الأراضي

الزراعية بطريقة تُفعّل (دور الأسرة) مما زاد الإنتاج إلى أربعة إضعاف، وكيف هيأت تلك الإصلاحات الزراعية لشرارة التغييرات الكبرى في الصين.

الأسرة العربية تستطيع المشاركة في صناعة وتقدم الأمة، والشواهد على ذلك كثيرة: الأردن تمثل أعلى نسبة تعليم في العالم العربي ٩٠ ٪ تليها البحرين ثم قطر والكويت ولبنان ثم السعودية ٧٨٪ السؤال لماذا تتفوق الأردن؟ علماً بأن الأردن ليست دولة نفطية! الجواب ذكره وزير التعليم في الأردن عندما سئل عن السبب قال: لأن التعليم في الأردن أصبح قيمة اجتماعية.

من الذي جعل العلم قيمة نشطة في الحياة؟ إنها (الأسرة) فهي الصهريج العظيم لضخ القيم في المجتمع، فعندما تحرم الأسرة نفسها الكثير من الأشياء لصالح التعليم يصبح الإنفاق على التعليم ثقافة واتجاها شائعا لدى الناس. وبشيء من الرصد للمشهد الاجتماعي نلاحظ ــ وللأسف ــ اهتماما غير مسبوق لدى المواطن العربي بكتب السحر والشعوذة وكتب الأبراج مدعوما بفضائيات تعيق تنمية العقول عبر سلطة المرئي، هناك شاهد آخر للتدليل على دور الأسرة في تعزيز (ثقة الشباب بأنفسهم) فمن المعروف أن جامعة هارفارد من أهم الجامعات في أمريكا ولها عادة سنوية في منح الدول مجموعة من المقاعد الدراسية، وقد خصصت للسعودية خمسة مقاعد، أما إسرائيل الابنة المدللة فقد خصص لها ٢١ مقعدا دراسياً، لكن الملفت للنظر أن السعوديين لم يملأوا هذه المقاعد، وقد علق الملحق لسعودي بأن الطلاب السعوديين يتهيبون من الدخول في هذه الجامعة، لأن الجامعة لها سمعة شديدة ولها توقع عال من الإنجاز والتحدي.

هنا نرغب التأكيد على أهمية دور الأسرة في تنشئة الشباب المعتمد على نفسه الواثق بها باعتبارها ذات مرتبطة بخالقها أولا و باعتبارها ذات قوية قادرة على الفعل ثانيا، كما أن كلا منا له دور هام في الحياة، فإذا كنت ولي أمر، أو مدرساً، أو أخصائياً اجتماعياً انشر الوعي بمبادئ اتفاقية حقوق الإنسان، وإن كنت ثرياً تبرع بجزء من ثروتك لتأسيس مركز للأبحاث العلمية، وإن كنت زوجاً صالحاً شجع زوجتك لإكمال تعليمها، وإن

كنت أباً فاشتر كتاباً لطفلك عوضاً عن وجبة من مطاعم الوجبات السريعة، وإن كنت إعلاميا ساهم بنشر الكلمة الحرة للتخفيف من سطوة الإعلام الموجه، وإن كنت برلمانيا شجع حكومتك لتحسين مستوى معيشة المواطنين، وعلينا جميعا تذكر الحكمة العالمية (إذا أردت أن تصل إلى المستقبل عليك أن تمزج الحلم بالعمل).

الشباب والتعصب الرياضي

Elganainy

الشباب والتعصب الرياضي

> **« لا خير في حُسن الجسوم وطولها... إذا لم يزن حُسن الجُسوم عُقولُ » .**
> **الفرزدق**

تلعب الرياضة دورا هاما في تشكيل ثقافة المجتمعات دون استثناء بما في ذلك مجتمعنا الذي نعيش فيه (وان اختلف هذا الدور إلى حد ما من مجتمع إلى آخر) ولها دائما انعكاس واضح فيما تتمتع به المجتمعات من صفات سلبية أو إيجابية. فالمجتمع الذي يعاني من إحباط دفين تتمثل فيه مشكلات الفقر والبطالة والأمية والعنصرية لن تكون الرياضة بالنسبة له مجرد وسيلة للتسلية والترفيه، بل قد تكون ملاعبه الرياضية مهيأة إلى أن تتحول إلى ساحات للتنفيس عن الصراعات الاجتماعية الخفية.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل هناك أسباب نفسية كامنة وراء نزول الناس إلى الشوارع بعد فوز المنتخب؟

من يعتقد أن احتفال الناس في الشوارع بعد فوز المنتخب بالمباريات (أو احتجاجها عند خسارته) نوع من تضييع الوقت والتسلية فهو لم يبذل جهدا فكريا كافيا لفهم سلوك الجمهور. ومن يردد كلام مذيعي البرامج الرياضية بأن الذي دفع الشباب إلى النزول هو الوطنية والحب الكبير لعلم بلادهم فمن المحتمل أن يكون قد وقع في مصيدة فخ الإعلام الرياضي.

تعودنا كثيرا أن نستغرب ونتهكم على أحداث تاريخية اعتقادا منا أنها لا تستحق أن تكون سبباً في قيام حروب تزهق فيها الأرواح وتسفك فيها الدماء (كما حدث في حرب البسوس وداحس والغبراء). لكن المتأمل يعلم أن حقيقة الحرب لم تكن من أجل الناقة؛ فهي ليست السبب ولكننا عادة نختزل الأشياء في ظواهرها دون التنقيب عن بواطن الأمور فنركز على القشة التي قصمت ظهر البعير ونغض الطرف عما كان بجعبة ذلك البعير.

الناس تنزل إلى الشوارع لأن لاعب كرة القدم قد تحول هذه الأيام إلى رمز يتأثر به قطاع عريض من الشباب؛ إما بسبب السطوة الإعلامية؛ وإما بسبب حبهم لكرة القدم باعتبارها اللعبة الشعبية الأولى، وفي هذا السياق يقول (ريجيس دوبريه): (هناك رواج عالمي للصورة الإعلامية على حساب الكلمة المكتوبة. فلم يعد (المثقف) هو الذي يصنع العالم، فهناك فاعلون اجتماعيون جدد هم الأقدر على صنع العالم وإعطائه معنى. إنهم رجال الأعمال ومصممو الأزياء ونجوم الغناء وأبطال الشاشة ولاعبو كرة القدم ومهندسو الحواسيب وأباطرة المؤسسات الإعلامية).

والدراسات الحديثة تشير إلى أن أكثر الشباب في الوطن العربي يعيشون تحت خط الفقر، فقد يرى بعض ذوي الدخل المحدود في الرياضة قارب نجاة من الفقر فبحسبة بسيطة يجد الشاب أن اللاعب الذي لم يتجاوز عمره العشرين عاما يتقاضى راتبا أضعاف ما يحصل عليه طبيب بعد سبع سنوات دراسة في الطب، ويتجاوز ما يحصل عليه أفضل محاضر في أرقى الجامعات!!

من الناحية السيكولوجية فإن الاحتفال في الشوارع له خلفية تاريخية في ذهن الشاب العربي، فقد تشكلت بالتدريج علاقة ودية بين الشباب وكرة القدم؛ لان أغلب الطلاب في الوطن العربي عندما يهربون من المدارس لا يجدون أمامهم إلا لعب كرة القدم في الشارع والحارات الشعبية ويستمرون في اللعب حتى ينتهي اليوم الدراسي ثم يعودون إلى منازلهم. وقد استقر في عقلهم الباطن ما كتبه بول فندلي (لا سكوت بعد

اليوم) ولكن شعارهم مختلف إلى حد ما (لا مذاكرة بعد اليوم، لعب كرة القدم أهم)!!. أضف إلى ذلك أننا نعلم جميعا أن التعليم تحول بفضل مناهج الحفظ إلى مجرد ديكور اجتماعي لا يستخدم إلا عند التفكير في الخطوبة و الزواج، وأحياناً كثيرة يتم التغاضي عنه إذا كان المتقدم ثرياً!!

الاحتفال في الشوارع نوع من البحث عن (ثقافة الفرح المفقود) بسبب حالة الإحباط المتراكم الذي يسيطر على نفسيات الشباب؛ حتى لو كان هذا الفرح مصطنعا من أجل تسكين الآلام. الشباب يحتفلون لكسر القيود الاجتماعية الصارمة؛ فهو التجمع الوحيد الذي لا يدخلهم في حرج مع أجهزة الأمن ولأن (متخذي القرار) في وطننا العربي يفكرون بعقلية المطرقة؛ فإنهم ينظرون إلى كل مشكلة على أنها مسمار.

الناس تبحث دائماً عن رمز تسير خلفه، وإذا لم يجدوه في الواقع فهم يخترعونه لا شعوريا في وجدانهم. منطقة الفراغ السياسي وغياب القدوة سبب دفين أيضاً في خروج الناس إلى الشوارع، وكأنهم عقدوا مقارنة بين الرياضي والسياسي فوجدوا أن لاعب الكرة أحق بالتقدير والإعجاب، لأنه اثبت جدارته في الميدان، أما السياسي فيتبوأ مكانته بالولاء أو العائلة أو المال أو من خلال الإعلام الموجه؛ لذا فإننا نجد الجمهور يهتف للرياضي؛ لأن هذا الجمهور يحب أن تكون الأمور على المكشوف فليس للبسطاء أي اعتبارات أخرى غير الكفاءة في الملعب.

نعم لقد تنبه الساسة لذلك أخيراً وأدركوا أن (لعبة السياسة) تحتاج دائماً إلى (لعبة كرة القدم)، بل لعلها غدت من متطلبات مشروع الفوضى الخلاقة و بناء شرق أوسط جديد ؛ فتصبح الصورة غامضة لدرجة يكون تاجر الخضار فيها أهم من أي باحث في مراكز الدراسات الاستراتيجية و السباك يتحول إلى رجل أعمال، و مستورد الدجاج يصبح مليونيراً، و هكذا تستمر حالة فقدان الرؤية والبوصلة و تستمر معها حالة اللاسلم واللاحرب.

قد يرد البعض على ما ذكرناه بأن كرة القدم لعبة شعبية على مستوى العالم وأن اهتمام الشعوب بها لا يتناقض مع اهتمامها بالشأن العام!. نقول: هذا الكلام صحيح في البلدان التي تقوم بوضع كل شيء في مكانه وتتحرك في حياتها بناء على قانون الأولويات، فتفرق بين الجد واللعب، لكن ذلك لا ينطبق على شعوب يتحول اهتمامها بكرة القدم تحت الإلحاح الإعلامي وتشتيت الانتباه عن قضاياها الأساسية بهوس جماعي مسكون بالتعصب الذي ينتهي دائما و أبداً بالعنف اللفظي والبدني ؛فهناك دول افريقية فازت على أمريكا في كرة القدم في الوقت الذي تعيش فيه شعوبها حياة المسغبة، وقد تهزم أمريكا كرويا ،لكنها لم تغفل لحظة عن أولوياتها بإنزال مركبتها الفضائية (كيوروسيزيتي) حيث علق الرئيس الأمريكي باراك أوباما:(أمريكا تصنع التاريخ بالهبوط الناجح لأول مركبة فضاء تهبط على كوكب آخر) وهو كوكب المريخ. ولعل أعظم العقول التي قدمت للبشرية التليفون والكهرباء والتليفزيون والطباعة والانترنت والذرة والدواء لم تمارس الرياضة مطلقاً، ويكفيك أن تدخل إحدى صالات كمال الأجسام وتتحدث مع بعضهم حتى تتأكد بنفسك من عدم صحة مقولة (العقل السليم في الجسم السليم)!

السنن الكونية تحتم أن الناس سوف تنزل للشارع بعد كل مباراة (وعلم الاجتماع الرياضي) أيضاً سوف يقوم بتحليل الظواهر الرياضية ذات الأبعاد الاجتماعية ويدرس نتائجها وأسبابها الدفينة و الدوافع التي تقف وراءها وسوف لن ينظر للقشة ويترك حمل البعير.

وعلم الاجتماع الرياضي يدين وبشكل مؤدب التعصب المقيت الذي يحدث في مباريات كرة القدم والذي لا يجب أن نسأل عنه الجماهير المغلوبة على أمرها، وإنما يسأل عنه الإعلام الرياضي المكتوب والفضائي الذي عادة ما يبحث عن شعارات نارية يطلقها بغض النظر عن النتائج؛ لأن المهم لديه هو أن يلهب حماسة الجماهير لكي تفرغ طاقتها المكبوتة حيثما كان سواء في الملاعب أو في زوايا الحارات أو في الشوارع العامة طالما بقي هناك جهات تستفيد في جميع الأحوال.

أرجوك اقبل نصيحتي

أرجوك اقبل نصيحتي

« خيرُ الأعوان والإخوان أشدهُم مبالغة في النصيحة » .
ابن المقفع

النصيحة خلق غائب في حياتنا الاجتماعية مع أننا أحوج ما نكون إليه في هذه المرحلة التي نمر بها خصوصاً وقد أصبح العالم بسبب تعدد وسائل الاتصال قرية صغيرة، والبعد عن هذا الخلق قد يرسخ الخصومات ويكثر من العداوات فيتبادل الناس فيما بينهم شتى التهم، والنصيحة هي إحساس بالمسئولية، كما أن الدين يعزز ذلك الإحساس، وبذل النصيحة مبادرة إلى فعل الخير وهو ضد التشهير الذي ينبثق عن البغض والحقد والميل النفسي إلى التقليل من شأن الناس وتحميل الأشياء أكثر مما تحتمل. يقول الرسول ﷺ: حسن الظن من حسن العبادة.

لماذا غابت النصيحة إذاً؟ الإجابة لن تكون سهلة وميسورة بلا تفكر ومراجعة وربط للإحداث والوقائع، من هنا نشأ واجب النصيحة، ولعل مجتمعنا يحتل مركزاً مرموقاً بين الشعوب في عدد المتناصحين، وذلك مما يمكن ملاحظته بسهولة!! لكن ثمة اعتبارات لهذا المشروع الأخوي بحيث يتم بعيداً عن التشهير والتشفي أو المداهنة والتملق، لأن هناك فرقاً بين النصيحة الأخوية والنقد الجارح، ومتى تكون النصيحة والنقد بشكل علني أكثر نفعاُ للفرد والمجتمع؟ ومتى تكون سراً بين أثنين؟ وأيهما ادعى للقبول؟

واليوم تنتشر الديوانيات والمقاهي والجلسات ومواقع التواصل الاجتماعي، حيث

تشيع عملية التشهير بعيوب الناس وهتك الحرمات في المجالس بحجة النصح والجهر بالحق، حيث اضطربت عند الكثير من الناس حدود النصيحة التي يجب القيام بها فانقلب النصح إلى التشهير والمدارة إلى تملق، وكأن البعض يجهل معنى الغيبة! الغيبة ليست إلا ذكرك أخاك بما يكره وهو عنك غائب، ذكر عيوب الناس له بعد سيكولوجي هام، فالشخصية المنحرفة تجد نفسها معنية بتتبع العثرات والأخطاء التي تصدر من الآخرين لكي تبرر لذاتها الانغماس في الانحراف وحتى تتوجه الأنظار إلى أخطاء غيرهم؛ فينشأ لديهم شعور بالراحة النفسية باعتبار أن الجميع يعيشون نفس الوسط الاجتماعي، ولعل أروع تجسيد لهذا الحال ما ذكره الأمام علي حين يقول: (ذوو العيوب يحبون إشاعة معائب الناس ليتسع لهم العذر في معائبهم).

والبعض لا يبادر في النصح سراً، بل يفضح (المنصوح) ويجرح مشاعره يقول الإمام الشافعي (من وعظ أخاه سراً فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه) وكان سيد الخلق الرسول ﷺ إذا أراد أن ينصح أحد الحاضرين يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا؟؟ وما بال أحدكم يفعل كذا؟؟ وقيل: النصح ثقيل فلا تجعلوه جبلاً ولا ترسلوه جدلاً والحقائق مرة فاستعينوا عليها بخفة البيان.

وهناك سلوكيات محببة في النصيحة منها أنه إذا بلغ الإنسان (المنصوح) كلام يحتمل وجهين كان الأجدر أن يحمله محملاً حسناً؛ فذلك أقرب إلى الإخوة وأقرب إلى مكارم الأخلاق، فقد روي أن زوجة طلحة بن عبد الرحمن بن عوف ــ كان أجود قريش في زمانه ــ قد حاورته ذات مرة قائلة: ما رأيت قوماً ألأم من إخوانك! فقال لها: مه! ولم ذلك؟ قالت: أراهم إذا أيسرت لزموك وإذا أعسرت تركوك. فقال لها: هذا والله من كرم أخلاقهم يأتوننا في حال قدرتنا على إكرامهم ويتركوننا حال عجزنا عن القيام بحقهم. نلاحظ كيف تأول طلحة صنيع إخوانه وقد يكون ظاهره القبح والانتهازية والمنفعة لكنه رده إلى وفاء وكرم.

ومن الاعتبارات الهامة أيضاً أن الناس ليسوا ملائكة ولا أنبياء، فلا يطمع الإنسان

بالبحث عن زلة أو هفوة لأحد من الإخوان، بل يجب أن يحمل ذلك على الضعف الإنساني الذي لا يكاد يخلو منه أحد يقول الشاعر علي بالجهم:

ومن ذا الذي ترضى سجايـــاه كلها كفى الـــمـــرء نبلاً أن تعد معايبه

وقد وصف الله سبحانه وتعالى وبشكل رائع النفس الإنسانية على حقيقتها على لسان امرأة العزيز: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي﴾. فهناك من يرى في نفسه ميزة على الآخرين بتقواه وعبادته فيتعالى على الناس ويحتقرهم ولا يشفق عليهم، وهل رأيت طبيباً يحتقر مريضاً!؟. نعم أحيانا تكون طريقتنا في التعامل مع الأخطاء أكبر من الخطأ نفسه! يقول معلم البشرية الرسول ﷺ: (بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم) و يقول المسيح عليه السلام: (من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر) من منا لا يخطئ؟ وكلنا ذاك الخطَّاء، بل ليس بالضرورة أنّ كل إنسان يعرف خطأه ويهتدي إليه. يقول الإمام الشافعي (ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يعصيه، ولا أحد يعصي الله ولا يطيعه. فمن كانت طاعته أغلب من معصيته فهو عدل).

في أحايين كثيرة لا يقع اللوم على من لا يقبل النصيحة، وإنما على من يقدمها بأسلوب غير مناسب! واختم بموقف تاريخي (ولعله من أجمل مواقف آداب النصيحة) فقد روي أن الأمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام كانا طفلين وقد مرا على شيخ يتوضأ ولا يحسن الوضوء؛ فاتفقا على أن ينصحا الرجل ويعلماه كيف يتوضأ ووقفا بجواره وقالا له: يا عم احكم أينا أحسن وضوءاً؟ ثم توضأ كل منهما، فإذا بالرجل يرى أنهما يحسنان الوضوء وأدرك هدفهما فقال متبسما: كلاكما تحسنان الوضوء وأشار إلى نفسه وقال: أنا الذي لا يحسن الوضوء وقد تعلمت منكما.

عندما يقتنع الناس أننا نلحظ حسناتهم، كما نلحظ سيئاتهم يقبلون منا التوجيه. فما أحوجنا إلى الشفافية والوضوح؟ على أن يكون الانفتاح والمصارحة مسكونان باللباقة والاحترام وحب الخير للآخرين.

اعتزال الناس والأمل المكتسب

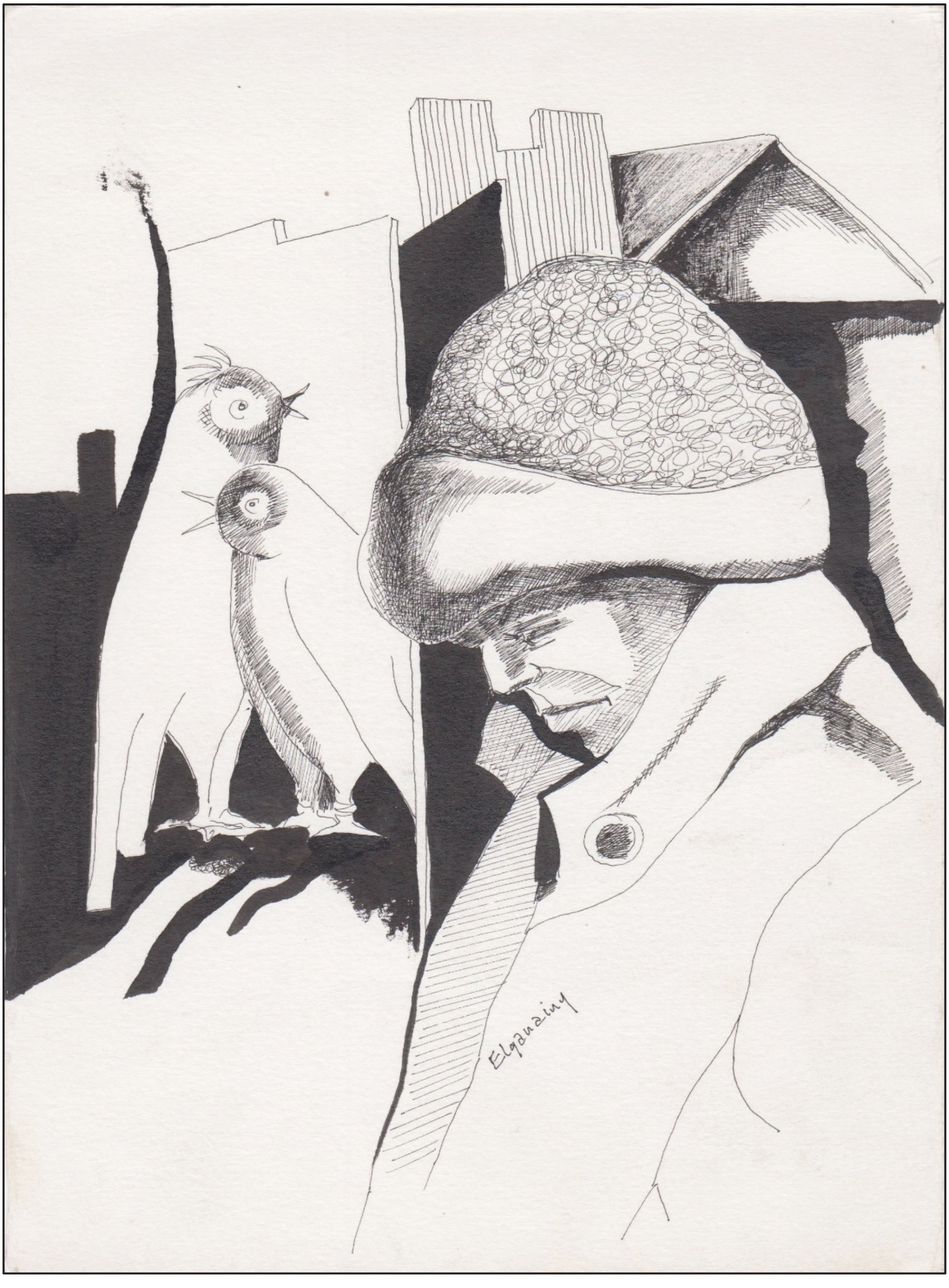

اعتزال الناس والأمل المكتسب

« لا يمكن إنجاز شيء دون بعض الانفراد بالنفس » .
بابلو بيكاسو

يصف بعض المفكرين والباحثين عصرنا هذا بأوصاف صاغوها على شكل تساؤلات منها: هل نحن نعيش عصر العلم والمعرفة؟ أم نعيش عصر الرعب النووي؟ أم عصر الاغتراب والقلق والوحدة؟

ومفهوم اعتزال الناس أو الاغتراب في الفكر الإسلامي الديني والفلسفي عرف بمعنى الاغتراب عن الحياة الاجتماعية الزائفة والاغتراب أيضا عن النظام الاجتماعي غير العادل؛ فأغلب الذين يعتزلون الناس هم الذين قاوموا الحياة ومغرياتها بطريقة إيجابية وسلبية فقهروا السلطتين معاً: سلطة الحاكم بالانحياز إلى الحق وسلطة النفس بترويضها على الطاعات.

ولطالما أمضى علماء الأخلاق أوقاتاً طويلة في بحوث مستفيضة محاولين الإجابة على تساؤلات ملحة مفادها: هل العزلة أفضل أم الاجتماع؟ ولطالما مضى فريق منهم يستشهد بالروايات الدالة على صواب رأيه والمحببة للاعتزال، فيما يورد الآخر الروايات التي تشير إلى فضيلة المعاشرة والتواصل مع الناس. والمحذور الأخلاقي لدى المؤيدين للاعتزال هو قابلية انغماس وانشغال الإنسان الاجتماعي بالحاجات العامة ونسيانه لواجباته الروحية وتهذيب نفسه أو أن يؤدي إكثاره من المخالطة إلى الوقوع في محاذير

النفاق أو الكذب؛ لذا فهم يفضلون العزلة والانكفاء عن الناس حتى بالغ بعضهم وقارن بين صفات الحيوان والإنسان في لغة منحازة وغير مباشرة لتجنب مخالطة الناس كما فعل (ابن المرزبان المحولي ـ ٣٠٩هـ) في كتابه (تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب).

يمكننا القول هنا وبشكل موجز: إن للغربة في المفهوم الإسلامي نوعان: غربة ممدوحة وهي غربة أهل الله التي امتدحها سبحانه وتعالى، وغربة مذمومة وهي غربة أهل الباطل، إلا أن العلامة ابن القيم الجوزية يضيف نوعا ثالثاً وهي غربة مشتركة: لا تحمد ولا تذم: وهي الغربة عن الوطن، فالناس كلهم في هذه الدنيا غرباء فهي ليست بدار مقام ولا هي بالدار التي خلقوا لها.

أما المقاربة الرائعة فقد جاءت في كتاب (فقه العلاقات الاجتماعية) للشيخ فوزي آل سيف والذي أكد على أن المعاشرة والانفتاح الاجتماعي هو المطلوب، وهو الأولى ديناً حيث يتجسد ذلك في جملة من العبادات كصلاة الجماعة والجمعة والعيدين والحج وإفشاء السلام والمبادأة به وزيارة العلماء والصالحين والمبادرة إلى مساعدة الغير.

ولأن علم السلوك علم حاذق وجميل يسلط أنواره الكاشفة على مناطق سلوكية جاذبة للانتباه؛ فقد لفت العديد من الباحثين الانتباه إلى عدم التركيز على النشأة التاريخية للاغتراب فحسب، بل يجب عدم إهمال الاهتمام بالأسباب.

وفي سياق الحديث عن أسباب الاغتراب (Alienation) يذكر (نيستون) في كتابه (اغتراب الشباب في المجتمع الأمريكي) أن الاغتراب يحدث في كل المجتمعات باختلاف أنماطها الثقافية والسياسية والاجتماعية؛ فنظرية الاغتراب تحمل معاني تشاؤمية ولا يتحدد وجود الاغتراب بعوامل معينة، بينما المفكر العربي (حليم بركات) يذهب في كتابه (المجتمع العربي المعاصر) الصادر عن مركز الوحدة العربية إلى أن المجتمع هو المسئول عن وجود ظاهرة الاغتراب؛ فالمجتمع العربي ـ كما يرى حليم ـ يحيل الشعب

وفئاته المحرومة إلى كائنات عاجزة لا تقوى على مواجهة تحديات العصر. لكن العالم (اريكسون) يؤكد في نظريته حول (أزمة الهوية) أن فترة المراهقة حاسمة في نمو هوية الأنا لدى الفرد، حيث يكون المراهق هدفاً مركزياً مما يعطيه إحساساً بالتوحد وتحديد هويته فيدخل مرحلة الألفة والانتماء؛ فعدم تحديد الهوية للمراهق يؤدي به إلى الشعور بالاغتـراب.

وفي هذه الأيام تتصاعد ظاهرة اعتزال الناس، فلم تعد هذه الظاهرة مقتصرة على المجتمع، بل هي آخذة في الزحف حتى على مؤسسات العمل حيث تقدر إحصائيات (غالوب) أن اعتزالية الموظفين disengagement تكلف الاقتصاد الأمريكي نحو ثلاثمائة مليار دولار سنوياً، وأن نحو سبعة عشر بالمائة من الموظفين منعزلون انعزالاً حاداً. كما أوردت دائرة الخدمة المدنية البريطانية إحصائية تشير فيها إلى أن ٢٢٪ من موظفي القطاع العام منعزلون!!.

وبالرجوع إلى أدبيات الاغتراب الوظيفي في مؤسسات العمل تشير الدراسات إلى أن مستوى اندماج الناس يتراجع مع امتداد خدمتهم في منظماتهم. وأن العزلة تمر عبر ثلاث مراحل: المرحلة الأولى الاغتراب النفسي، ثم مرحلة الاغتراب الذهني، وثالثاً مرحلة الاغتراب الجسدي. في المرحلة الأولى يشعر الموظف انه مهمش وأن علاقته بالمؤسسة التي يعمل بها غير طبيعية ومتوترة، وتتشكل لديه في هذه المرحلة مشاعر سلبية تجاه المؤسسة، أما المرحلة الثانية فتتميز بالشرود الذهني وعدم القدرة على التركيز وتكثر أخطاء الأداء الوظيفي. أما في المرحلة الثالثة فيكثر الغياب والتأخر عن الدوام والخروج أثناء الدوام وتكثر الاستقالات الجماعية من المؤسسة أيضا.

العزلة ظاهرة قديمة حديثة وأول طريق لقهر هذه الظاهرة (ولعله سر السعادة) يكمن في الصحبة السعيدة، أو ما يعرف حديثا بـ (الأمل المكتسب learned optimism وقد توج هذا الطريق قول سيد البلغاء الإمام علي: (يسعد المرء بمصاحبة السعيد).

الأبناء ومؤامرة الثقافة الاستهلاكية

الأبناء ومؤامرة الثقافة الاستهلاكية

> « إن الياباني كان ذكياً في تعامله مع الغرب لأنه وقف موقف التلميذ. بينما وقفنا نحن موقف الزبون » .
> المفكر الجزائري مالك بن نبي

لن نتحدث هنا عن دور جمعيات حماية المستهلك في الوطن العربي، فالحديث عن دورها مكرور بدون فائدة. وقد قالت العرب قديماً (إذا أراد الله بقوم سوءاً أعطاهم الجدل ومنعهم العمل). إضافة إلى أن هذه الجمعيات لم ترق إلى مستوى طموح المواطن، وفي الوقت نفسه ليس لها دهاء الشركات العملاقة المسلحة بموارد بشرية مدربة تدريب متقن، هذه الجمعيات المترهلة كان من واجبها أن تقوم بحملات مكثفة لنشر ثقافة حماية حقوق المواطنين وأن تضرب بعنف على يد الشركات الماكرة المتجاوزة للحدود والمستغلة لواقع وظروف المجتمعات الإنسانية.

والسؤال هنا؟ لماذا تقوم شركات مثل ماكدونالد بدراسة عادات الإنفاق لدى الأطفال الصينيين ومدى تأثيرهم على ذويهم في الإنفاق لكي تتخذها قنوات لترويج منتجاتها؟ هذا النشاط المريب للعديد من الشركات هو الذي جعل عدداً من كبار المفكرين الصينيين يطلقون صرخة مدوية يحذرون فيها مجتمعهم الصيني من السرطان الخفي المتمثل في تفشي القيم الاستهلاكية وهو تحذير يشبه ما قام به (غورباتشوف) في الاتحاد السوفيتي عندما أطلق البروسترويكا في ثمانينيات القرن الماضي محذراً أن انتشار نزعة القيم الاستهلاكية سيدمر قيم المجتمع وسيتسبب في انهيار الاتحاد السوفيتي.

المراقب للمشهد الاجتماعي يلاحظ أن الشركات تصول وتجول وتفعل ما حلا لها وطاب بما يستبطن نوع من الاستخفاف بإنسانية الإنسان في هذا الحيز المكاني من العالم، في الوقت الذي يروج فيه لحملة منظمة من أجل تسفيه كل نقد أو رأي معارض على أنهما تخلف وخروج عن روح ومتطلبات العصر. نعم نحن نعلم أن سيكولوجية الإعلان تستطيع تعطيل الحس الكتابي النقدي من خلال الإعلام المرئي وثقافة الصورة بما تتمتع به من فصاحة إلكترونية وقوة تأثير خصوصاً وأن هناك نسبة أمية عالية في الوطن العربي؛ مما يجعل الصورة أكبر تأثيراً من الكلمة.

في منطقة الخليج العربي المثال الأكثر وضوحاً لانتشار قيم الاستهلاك، وبمشاركة غير ذكية من قبل الوالدين نلاحظ الأطفال يتجولون في المجمعات والأسواق ويشترون بشكل لا يتفق مع صغر سنهم ولامع احتياجاتهم الحقيقية؛ بل أن هناك العديد من الأسواق تقوم بتوفير عربات صغيرة مخصصة لتسوق الأطفال فيقوم هؤلاء (الأبرياء) بتقليد آبائهم في جر عربات التسوق وكأنهم في برنامج تدريبي على أن يصبحوا كائنات استهلاكية في المستقبل! إلى جانب أن سلوك القدوة غائب والشواهد كثيرة، ومنها حجم نفايات المنازل التي تبلغ ملايين الريالات يومياً، وهذه النفايات ليست مؤشرا على القدرة المالية للأسرة، بل قد تعكس سوء عادات الأكل الباذخة، هذه العادات الغذائية السيئة تتحكم بها ــ أحياناً ــ عملية إغراق الأطفال بالإعلانات الغذائية خلال برامج الرسوم المتحركة والذي بدأ يشكل ظاهر مخيفة مقلقة، ذلك أن غالبيتها إعلانات عن مواد غذائية ضارة! يقول نورمان دوجلاس: (تستطيع أن تتعرف على مبادئ أي أمة بمشاهدة إعلاناتها).

الطفلة التي نشأت على متابعة آخر صيحات الموضة واقتناء أفضل الماركات العالمية عندما تصل إلى سن الزواج يكون الوقت قد تأخر كثيراً على تعديل سلوكها، ولسان حال الشاب الذي يتقدم لزواجها يقول: (لا يصلح العطار ما أفسد الدهر)؛ فالأرقام والإحصائيات حول الطلاق والانفصال قبل الزواج في مجتمعنا لها علاقة وثيقة بقدرة

الشاب الاقتصادية المتواضعة والتي حتما لا تلبي طموح الشابة القائم على اقتناء أفخر الماركات والمقارنة بالآخرين والسفر والبهرجة الاجتماعية (هناك حالة طلاق كل ٦دقائق بالسعودية)، لقد أفرز انتشار القيم الاستهلاكية جيلا لا يستطيع التحكم بسلوكياته المعيشية حيث تورط العديد من الشباب و العائلات في العيش بأسلوب لا يتناسب مع دخلها الشهري فلجأت شريحة عريضة من الناس إلى البطاقات الائتمانية والقروض المصرفية.

ولم يتوقف الأمر عند قيم الاستهلاك بل إن هذه الشركات عملت على خلط فكرة الترفيه بعملية التسوق، فالناس عندما يذهبون إلى المجمعات لا يدرون هل هي ذاهبة للاستجمام والتنزه أم للشراء والتبضع؟ الناس في ظل السكرة الرأسمالية والثقافة الاستهلاكية ليس مطلوب منهم أن يذهبوا إلى المسرح أو السينما أو معرض الكتاب أو أمسية موسيقية راقية أو ملتقى فن تشكيلي، لأن الإنسان في ظل هذه الثقافة قد تحول إلى كائن أعجمي يجيد عادة التسوق و الأكل في المطاعم؛ بل إن الهجمة الإمبريالية الإعلانية ذهبت أبعد من ذلك حيث استطاعت أن تدمج بين الاستهلاكي والتربوي، وتمكنت أخيرا من اقتحام فضاء المدرسة المقدس أمام صمت الجميع؛ فأبطال الأطفال المحببين في الرسوم المتحركة يتم استخدامهم اليوم كوسائط إعلانية في الحقائب التربوية والأدوات المدرسية وهي عملية تطال الملايين من الأطفال. فماذا يعمل الأطفال الفقراء؟ (يشير تقرير البنك الدولي عن مؤشرات التنمية لعام ٢٠٠١ أن هناك ١١٣ مليون طفل لا يستطيعون الذهاب إلى المدارس).

إن تنشئة الجيل على حب الاستهلاك وربطهم بمنتجات معينة يجعل منهم لقمة سائغة مستقرها بطن الشركات عابرة القارات؛ لذا يجب علينا أن نذهب مباشرة إلى تحصين المواطن ضد وحشية الثقافة الاستهلاكية لرفع درجة وعيه فيتحصن بمناعته الذاتية، وكذلك قناعته بأهمية دور الوالدين في الأسرة العربية.

ورغم أن هذه الشركات العملاقة مما تزال تستعرض عضلاتها، فالأمل الكبير معقود على ثقتنا بقدرة شعوبنا على صناعة استراتيجية عصامية تمنع الاستغلال وتحافظ على الهوية، وثمة في الأفق ما يبشر بتحقيق ذلك.

التشاور الحر

التشاور الحر

« من استبد برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولها » .

الإمام علي عليه السلام

ذكر ابن هشام في السيرة ما رواه ابن إسحاق في مشاورة الرسول ﷺ أصحابه في معركة بدر الكبرى، من أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال للرسول ﷺ: يا رسول الله: أرأيت هذا المنزل. أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال الرسول ﷺ: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال: يا رسول الله: إن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء بالقوم فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماءً ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال الرسول ﷺ: لقد أشرت بالرأي.

في أيامنا هذه وبسبب ثورة المعلومات وتنوع وسائل الاتصالات من الشبكة العنكبوتية والإعلام الاجتماعي والشبكات الاجتماعية (Twitter) (Facebook) والمدونات، وغيرها من وسائل الاتصال المختلفة، أصبح المواطن الذي قد يكون جالساً في بيته (بالفانلة البيضاء والسروال الأبيض) يحسب له ألف حساب، ليس من قِبل مؤسسة معينة (الشركات والجهات الحكومية ومنظمات المجتمع الأهلي... الخ)، بل أصبح قادراً على إحداث تغيرات على مستوى الفرد والمجتمع والدولة والعالم برمته (سواء كان ذلك التأثير سلبياً أو إيجابياً) لذا انطلقت فكرة تفعيل المشاركة بواسطة التكنولوجيا في الحياة العامة من خلال القناعة بإمكانية تحسين الأداء الحكومي وإثراء

الحوار وتمكين المواطن عبر فرضية غاية في الأهمية، وهي أن الناس أذكياء ولديهم الرغبة في العمل معاً.

القطاع الخاص -كعادته- كان سباقاً في توظيف الفرضية السابقة عبر التشاور الإلكتروني ضمن ظاهرة ما يُعرف بالاقتصاد التشاركي wikinomics للوصول إلى قرارات أفضل، متجاوزاً مراكز الخبرة المؤسسية ــ فعلى سبيل المثال ــ قامت إحدى الشركات شركة (آي بي إم) بعقد دورات حول التفكير الإبداعي باسم world jams، التي تسمح فيها للعاملين حول العالم بتقديم المبادرات وتحسينها بشكل جماعي. كما خطط الرئيس التنفيذي للشركة ذاتها بتوفير صندوق بقيمة مائة مليون دولار لتنفيذ أفضل عشر أفكار تم التوصل إليها في عصف ذهني جماعي عبر الإنترنت.

على الصعيدين العالمي والإقليمي، تجري استشارات أيضاً بين المنظمات الدولية ومنظمات المجتمع المدني بشأن السياسات الكبيرة ـ فعلى سبيل المثال ـ البنك الدولي يقوم باستشارة الجمعيات الأهلية بشكل مستمر، كما حصل عندما استفاد البنك في استراتيجيات تخفيض أعداد الفقراء، فأصبح التحاور في المنظمات الدولية من الأمور الشائعة حتى عند إعداد تقارير التنمية التي تصدر كل عام.

على مستوى المبادرات التطوعية العالمية، فإن موقع Wikipedia وهو موقع موسوعي، بل يمكننا القول إنه يمثل أكبر تجمع للمعرفة والمعلومات نلاحظ أن صيانة وإنشاء هذا الموقع يتم بواسطة متطوعين يقدمون خدماتهم بالمجان ومن كل أنحاء العالم وبواسطة التشاور الإلكتروني التعاوني.

وهكذا تطور مفهوم (التشاور الديمقراطي) عبر زمن التجربة الإنسانية، فهو اليوم يمثل شكلاً من أشكال التعاون المشترك في الشأن العام والمبني على فرضية فلسفية هي: تقوية مشاركة المواطنين في اتخاذ القرار السياسي والتنموي والاجتماعي، وهو يشير أيضاً إلى نموذج إبداعي هدفه زيادة انخراط ومشاركة المواطنين في إبداء الرأي في مختلف

القرارات، فعندما تتم الاستعانة بالناس لاستشارتهم في قضايا تعنيهم بشكل مباشر فإن درجة تحمل المسؤولية الجماعية لديهم تكون أكبر، ومن جانب آخر فإن التشاور الحر يعدّ قفزة في الممارسة الديمقراطية؛ فهو يهدف إلى التخفيف من عيوب الديمقراطية التمثيلية من خلال تعزيز دور المواطن الذي لا ينبغي أن يبقى دوره منحصراً فقط في الحق في التصويت أو الترشح في المجالس البلدية والنيابية والبرلمانية، بل يمتد ليشمل الحق في المتابعة وتقديم المشورة والتقييم، بمعنى آخر هو عملية تفعيل حقوق المواطن من حقوق موسمية تبدأ مع كل استحقاق انتخابي وتنتهي بانتهائه إلى حقوق دائمة ومستمرة تمارس بشكل يومي ومباشر؛ فإذا كانت الديمقراطية التمثيلية موسمية، فإن الناس هنا لا ينتهي دورهم بمجرد انتهاء الاستحقاق الإنتخابي؛ لأن التشاور الحر نشط وشفاف وواعٍ ومستمر.

إنها تعزيز لفكرة الديمقراطية بمنهج جديد يقوم على استغلال التكنولوجيا، ويتضمن التفاتة رائعة للانتقال من ثقافة تؤمن بالخبير الواحد إلى أخرى تتبنى (تجارب حل المشكلات) بشكل جماعي عبر قطاع عريض من الأفراد المشاركين، التشاور الحر يعزز ثقة الناس بأنفسهم، ويؤكد أن المعلومات والخبرات ليست حكراً على المحترفين؛ ففي كثير من الأحيان يكون الاعتماد على المتخصصين وحدهم سالباً؛ لأن اجتماعاتهم لا تكون علنية فتفتقر إلى الشفافية ويترتب عليه اتخاذ قرارات سرية في غرف خلفية، وقد تُنتهك فيه روح وحقيقة المشاركة الجماعية.

نعم في بداياته المعاصرة كان نموذج التشاور الحر يرتكز على (ثلاثة) أطراف رئيسة هي الحكومة والقطاع الخاص والمجتمع المدني.

أما الحكومة: فدورها يتمثل في وضع الإطار القانوني والتشريعي الثابت والفعال لأنشطة القطاع العام والخاص والأهلي على حد سواء، أما القطاع الخاص فيمثل المورد الرئيس لفرص تشغيل الأيدي العاملة على المستويات كافة، إضافة إلى أهليته لتحقيق التنمية الاقتصادية، أما المجتمع المدني: فهو مجموعة التنظيمات الاجتماعية التطوعية الحرة

التي تعمل في استقلال نسبي عن المؤسسات الإرثية مثل الأسرة والعشيرة والقبيلة من ناحية، وعن الحكومة ومؤسساتها من ناحية أخرى، أي أن تنظيمات المجتمع المدني كيانات وسيطة بين الحكومة والعائلة، بل هي قلب الحياة الاجتماعية المنظمة الذي من أهم سماته التطوعية والعطاء والاعتماد على الذات والاستقلال، وكأن العالم اليوم يحقق مقولة الفيلسوف الروماني (شيشرون): إن الحرية هي أسمى المعاني، وإن هذه الحرية لا تكون واقعة حقيقة إلا إذا كانت متاحة للجميع ويتمتع بها الأفراد المكوّنون للدولة.

رغبت التذكير فقط أنّ المسجد ـ تاريخياً ـ قد اقترب من ممارسة فكرة التشاور الحر بشكلها الإنساني والعفوي، فلم يكن دوره محصوراً في أداء العبادات، بل كان له دور سياسي وثقافي واجتماعي وتنظيمي وقضائي؛ فالمسجد ربى الأبناء على روح الجماعة والاتحاد، وكان بمثابة مؤتمر مصغر لطرح مشكلات الأمة وإيجاد الحلول لها.

التعاطف مع الناس

التعاطف مع الناس

« فليبارك اللّه أولئك الذين يستطيعون أن يعطوا دون أن يتذكروا وأن يأخذوا دون أن ينسوا » .
إليبرث بيبسكو

في قاعة التدريب ولسد فجوة الأداء بما يلبي مهارة النجاح في التنمية البشرية نستشهد بموقفين سلوكيين مدخلا للحديث حول (الذكاء العاطفي) الموقف الأول: (رجل يجلس في مقعده في الطائرة وإلى جانبه مقعد خال، هو لا يريد لأحد أن يجلس في المقعد المجاور له ويزعجه، يضع حقيبته على المقعد المجاور ويمسك بجريدة ويبدأ بقراءتها، تزدحم الطائرة بالركاب الذين يبحثون عن مقعد يجلسون فيه، يسترق النظر إلى الناس من وراء الجريدة ويبسطها أكثر ليجعل الناس لا يرغبون في الجلوس على المقعد المجاور له!!) الموقف الثاني: (يحدث خطأ في حجز المقاعد لزوجين في طائرة، فلا يجلسان بجانب بعضهما وفيما المضيف يبحث عن حل لهذه المشكلة تتقدم امرأة بجانبها مقعد خال من المسافرين وتعرض على أحد الزوجين أن تبادله المكان ليجلس الزوجان بجانب بعضهما).

من خلال تحليل الموقفين السابقين يمكن رصد شعور الإنسان بالغبطة والارتياح لمساهمته في تلبيه حاجات الآخرين وهو شعور يجسد قدرة الشخص على إنشاء شبكة من العلاقات الناجحة والحميمة مع الآخرين بحيث يجد الإنسان نفسه يسمو في مدارج الكمالات وهو يشاركهم آلامهم وأمالهم جاء في الحديث عنه ﷺ: (أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ وَتَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ).

ويحضرني في هذا الموقف حديث هايكو إرنست عن العلاقة بالآخرين وهو يذكر بأن التعاطف Empathy هو أكثر من مجرد المشاركة الوجدانية Sympathy فعندما نشارك الآخرين وجدانياً نتذكر كيف يكون الحزن او السعادة، فنتقاسم هذه الخبرات بحيث ينشأ بين الناس تشارك مصبوغ بالانفعال أو المشاعر، وعليه يكون التعاطف ليس مجرد المشاركة في المشاعر فقط، بل محاولة فهم الكامن خلف هذه المشاعر يقول الشاعر:

ولا بد من شكـــوى إلى ذي مروءة   يواســيـك أو يســليـك أو يتوجع

ويقول باحث: التعاطف وليم إكس (الاحتضان التعاطفي ليس أكثر من شكل من قراءة الأفكار الذي نمارسه في حياتنا اليومية من الذات نحو الآخرين) فإذا استطعنا «قراءة» ما الذي يفكر فيه الآخر ويحسه ودوافعه نحو موقف معين عندئذ يمكننا أن نتعاطف معه، يعرف دانيال جولمان التعاطف بــ (قدرتك على تفهم مشاعر الآخرين وإشعارهم بذلك). لذا يستخدم المختصون في المهن الإنسانية كالخدمة الاجتماعية والإرشاد النفسي التعاطف باعتباره وسيلة أساسية لتكوين العلاقة المهنية مع عملائهم بهدف تخليهم من المشاعر السلبية.

وقبل أن تطل علينا كتب ونظريات الذكاء العاطفي قام (أهل العرفان) قديماً بدراسة معمقة لفهم آلية الحب والعواطف وقاموا بتدريب أتباعهم على اعتماد هذا الخطاب لصناعة حياة خالية من الكراهية وبعيدة عن مكر السياسة وثقافة الحروب، ولعل وقفة صغير مع الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام سوف تمكننا من إطلالة فكرية على منهج روحي و تحليل فلسفي عاطفي بديع يجعلنا نفهم صورة التقوى على نمط جديد من التوازن النفسي.

وكذلك فقد أبدع الشعراء العرب قديماً وحديثاً في خلق حيز لا يستهان به من توظيف القوافي وترويض النفس على الحب:

أيقظ شعــــورك بالمحـــبة إن جفا　　لولا الشعور الناس كانــوا كالدمى
أحبب فيغدوا الكوخ قصـــــراً نيرا　　وابغض فيغدوا الكون سجنا مظلما

وتذكر كتب التاريخ أيضا أنه لما احتضر الإمام علي جمع بنيه وأوصاهم: «يا بني عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنّوا إليكم وإن فقدتم بكوا عليكم» وكان المسيح عليه السلام يحث ابتاعه على تدريب صعب على النفس في وصيه جديرة بالتأمل (أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى مبغضيكم) لهذا ذكره الحق جلا وعلى في القران محفوفاً بالسلام عليه يوم يولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً وقدم سيدي ومولاي رسول البشرية محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم أعظم درس في الحب عندما فتح مكة وأطلق كلمته الخالدة في رفض الكراهية (اذهبوا فأنتم الطلقاء)

وقد احتلت ظاهرة التعاطف مكانة عظيمة في التجربة الإسلامية، ليس مع الإنسان فقط، بل نجد أن الرسول يأمر الصحابة أن يقلموا أظافرهم قبل حلب الأبقار حتى لا يخدشوا ضروع المواشي!! مفارقة في الود والرفق في التعامل. يقول الرسول أرواحنا فداه (ومرهم أن يقلموا أظافرهم فلا يخدشوا ضروع المواشي إذا حلبوا)!!

نعم هكذا يكون الإسلام باعتباره رسالة حضارية تتجاوز التحيزات العصبية والمناطقية والقبلية ويتجاوز السكرة المذهبية التي تجتاح المنطقة حالياً بل تذهب النظرية الإسلامية إلى تعزيز التعاطف مع الإنسان مطلقاً روى عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (اصطنع الخير إلى من هو أهله والى من هو غير أهله؛ فإن لم تصب من هو أهله فأنت أهله) وقال الإمام الصادق (رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع الخير إلى كل بر وفاجر). وقد اتفق الفقهاء المسلمون جميعاً على جواز الوقف لخدمة غير المسلمين، كأن يوقف أحد المسلمين وقفاً ليصرف على فقراء اليهود والنصارى أو على تعليم أولادهم أو على علاج مرضاهم.

إنها دعوة تعاطف إنساني عمرها ألف وأربع مائة سنة، وهي سابقة على منظمة

أطباء بلا حدود Medicines Sans frontieres وهي أيضا دعوة إلى الآباء و المعلمين والمثقفين والحقوقيين أن يقوموا بإشاعة مبدأ (التعاطف) بين الناس على مختلف مشاربهم وصنوفهم في المنازل و المحاضرات وورش العمل وفي المصانع والمدارس؛ لكي يتحقق نداء الرسول ﷺ: كونوا شامة بين الأمم.

التعقل في فهم الأسباب والنتائج

Elganainy

التعقل في فهم الأسباب والنتائج

« الحكمة بحر والعلماء بسفن النجاة فيه يخوضون » .
الإمام علي عليه السلام

ورد في المأثور: (إذا جاءك أحدهم يشتكي وقد فقئت عينه فلا تحكم فلعل الآخر قد فقئت عيناه).

هناك نظرية في ميدان علم النفس جديرة بالتأمل ويطلق عليها مصطلح (نظرية العزو) أو نظرية التعديل Attribution Theory. ويقصد بهذا المصطلح إدراك أو استنتاج السبب (أي نسبة عزو السبب إلى مصدر معين)، والفرد بطبيعته يقوم بعملية التبرير (العزو) لكي يفهم أو يتنبأ ويتحكم في العالم من حوله، واحياناً لكي يبرر أفعاله وسلوكه بهدف التوافق النفسي والاجتماعي في الوسط الذي يعيش فيه.

ويعد (فريتز هايدر) من أوائل المهتمين بدراسة دوافع الأفراد التي تقف وراء تفسيراتهم السببية، وهو المؤسس لنظرية التبرير (العزو)، وقد قام هايدر بتقديم تحليل فلسفي لمشكلات التبرير (العزو) في مقالات متعددة، ثم قدم نظريته لكيفية حدوث عملية العزو في السلوك الاجتماعي في كتابه (سيكولوجية العلاقات بين الأشخاص) عام ١٩٥٨م، ونحن نتقصد ذكر بعض التفاصيل لأن هناك شريحة عريضة من القراء تجعل من المقال سبباً للمزيد من البحث والتعمق.

منظرو التبرير (العزو) يرون أن هناك دوراً مهماً للمعارف والمعلومات في عملية

التبرير (العزو)، حيث يسعى الفرد إلى تفسير وفهم المواقف والأحداث ومحاولة التنبؤ بها أحيانا كثيرةً، فعلى سبيل المثال لو أن أحد السائقين كان يسير في عكس الاتجاه أو في طريق غير صحيح، فنحن كرد فعل أولي سوف نغضب إذا كان لديه إمكانية تجنب هذا الطريق والسير في غيره، أما إذا عرفنا أنه لا يوجد أمامه سوى هذا الطريق فسوف يكون اتجاهنا نحوه إيجابياً ونلتمس له العذر.

وينظر علماء النفس الاجتماعي إلى أن المعلومات التي تصلنا أولاً تؤثر في أحكامنا أكثر من المعلومات التي تصلنا آخراً، ومن هنا جاءت حكمة القول المأثور بأن لا نحكم ونبني موقف على السماع الأولي، ولكن للأسف فإنه على المستوى الاجتماعي تتخذ الناس مواقف دون التريث؛ وتترتب على ذلك إجراءات سلوكية لمجرد أنهم سمعوا في مناسبة اجتماعية أحدهم يصف شخصاً لا يعرفه ولم يحتك معه، بل إن هذه الفئة من الناس لم تُعطِ نفسها فرصة ولم تتريث لسماع الرأي الآخر والذي قد يترتب عليه تغيير الصورة كلياً؛ لذا نلاحظ أن هذه العملية يتم استغلالها في السبق الإعلامي والصحفي؛ لأنه معني بدرجة كبيرة بتشكيل الانطباع الأولي عند الناس.

وهذه الهرولة للسبق الإعلامي ليست عبثاً، بل هي قائمة على دراسات علمية ممنهجة مرتبطة بصياغة اتجاهات الناس نحو القضايا والأحداث الهامة؛ وسنتوقف في مناقشة أعمق عندما نتحدث عن خطورة تكوين الانطباع الأولي عند المتلقي أو ما يعرف سيكولوجيا بأثر الأولية (primacy effect).

ولعل أهم فكرة أبرزها (هايدر) في تحليله للفرد (كعالم غر) هي تقسيمه للعزو الذي يقوم به الفرد إلى (عزو داخلي) و(عزو خارجي) والمرتكز على عملية العزو باعتبارها أسلوباً عقلياً يرجع إليه الفرد لتكوين أحكام حول أسباب سلوكه وأسباب سلوكيات الآخرين؛ ولتوضيح الأمر نأخذ المثال التالي: لو كان هناك معلم لاحظ انخفاضاً في مستوى أداء طلابه؛ فان تقييمه للطلاب سيختلف لو كان عزوه لانخفاض الطلاب عزواً خارجياً (مثلاً الظروف الأسرية أو الصعوبات المالية والاقتصادية

للطلاب) ويختلف عن تقييمه للأداء لو كان عزوه داخلياً (مثلاً عدم الاهتمام من قبل المعلم بالطلاب أو غياب المعلم المتكرر عن تقديم الدروس).

وقد تمت الاستفادة من فكرة العزو الداخلي والخارجي على مستوى المجتمعات أيضاً، فقد عمدت دراسة تربوية إلى المقارنة بين سلوك أمهات يابانيات وأمهات أمريكيات حيث كان هناك انخفاض لأداء الطلاب اليابانيين والأمريكيين وكانت النتيجة أن الأمهات اليابانيات عزون ضعف أداء أبنائهن إلى تقصيرهن في متابعة الأبناء وبدأن في حضور الدروس بأنفسهن في المدرسة وبذل جهد اكبر لتحسين مستويات أبنائهن؛ بينما الأمهات الأمريكيات كان (عزوهن خارجي) فقمن بلوم إدارة المدرسة ولوم و تحميل المدرسين المسئولية!!.

وتفاعل مع النظرية أيضا منظور تنمية الذات من خلال طرح فكرة مركز التحكم locus of control حيث استنتجوا أن معظم الشخصيات القيادية الإيجابية وأصحاب الإنجاز المتميز كانوا من ذوي التحكم الداخلي؛ بينما المتشائمين وغير الناجحين كانوا عادة ما يلقون أسباب فشلهم على الظروف الخارجية.

وعلى المستوى السياسي يمكننا رصد أن الدول الديكتاتورية تقوم باستخدام (العزو الخارجي) فإذا كانت هناك مطالب إصلاحية من قبل الشعب فغالباً ما ترفع هذه الحكومات شماعة المؤامرة الخارجية!! بينما تلجأ الدول الواثقة من نفسها إلى (العزو الداخلي) وتقوم بمراجعة وتقييم ذاتي لأدائها الحكومي ومشروعها الإصلاحي والتنموي، والأمر لا يتوقف على الحكومات فيمكن تعميم الفائدة لهذه النظرية لتشمل منظمات العمل والجمعيات والأحزاب وحتى على المستوى الشخصي وسلوك الأفراد.

وهكذا نستنتج أن (نظرية العزو) قدمت إسهامات غاية في الأهمية للباحثين والمفكرين في مجالات متعددة وأخرها الأبحاث المتعلقة بالتحيزات العزوية ومصادر

الخطأ في التفسير اليومي للإحداث وما مدى دقة تفسيرات (عالم العزو) أو ما يعبر عنه بالساذج؟ والذي يذكرنا بما جاء في نوادر الطفيليين من أنه جيء للأعمش يوماً بابن له صغير وهو عريان يلعب في الطين مع الصبيان فلم يثبته (يتحقق من رؤيته) فقال لبعض من كانوا معه، انظر إلى هذا ما أقذره من صبي ويجوز أن يكون أبوه أقذر منه. فقال له صاحبه: هذا ابنك محمد. ففتح عينيه ومسحهما ونظر إليه وتأمله ثم قال: انظروا إليه بحق الله عليكم كيف يتقلب في الطين كأنه شبل. عين الله عليه!!

ولعل القارئ المدقق يتساءل الآن: هل يمكننا الاستفادة من هذه النظرية في فهم وتطوير واقعنا المعاش؟

التفكير الناقد

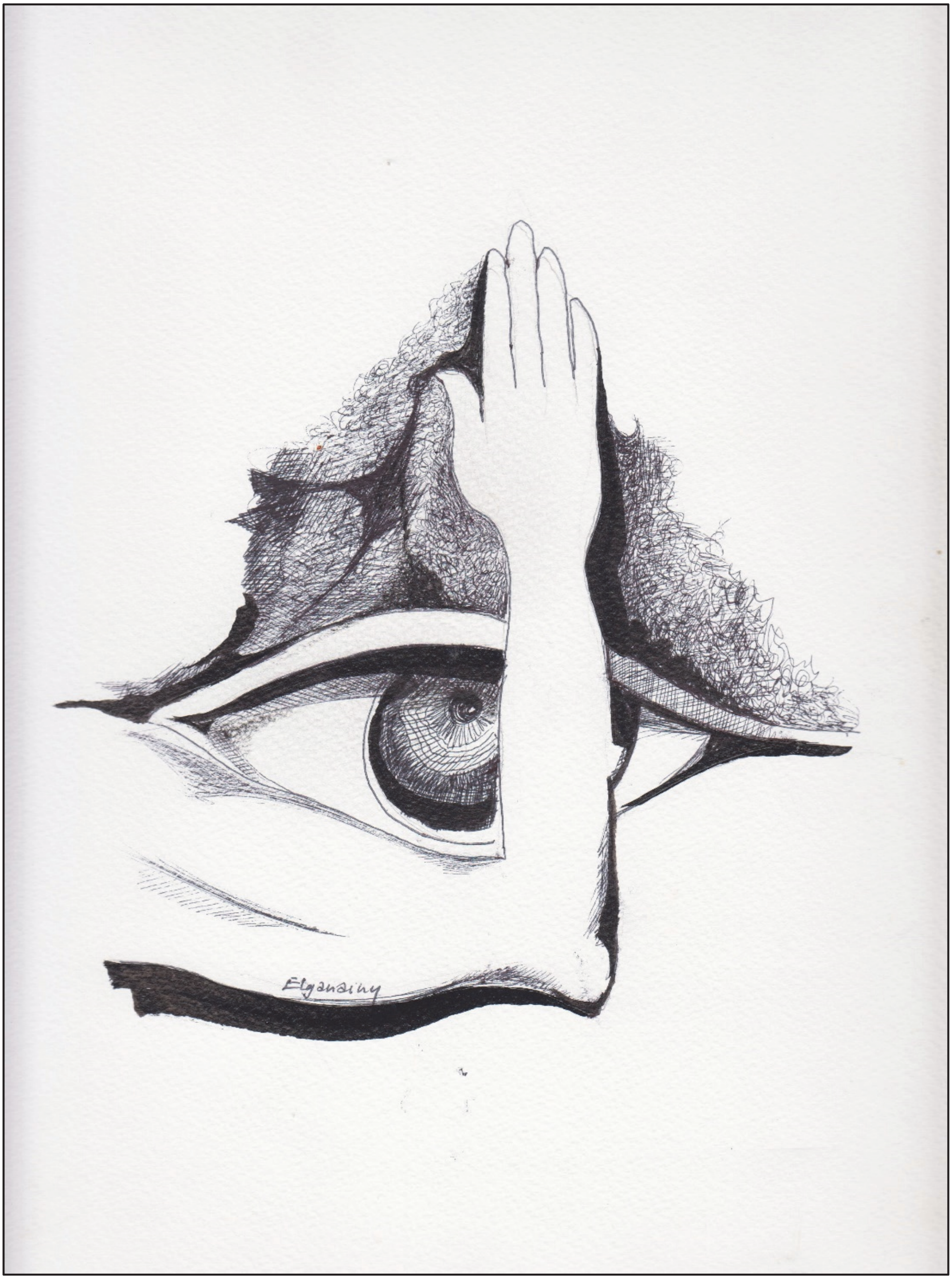

التفكير الناقد

« جئت إلى هذا العالم لكي أعتـرض » .
مكسيم جوركي

يسهم التفكير الناقد في تحرير الأفراد من التبعية للآخرين والاستقلالية في الرأي، ويمكنهم من استخدام معمق لقدراتهم الفكرية؛ مما يؤثر بشكل مباشر على تميز المجتمعات ورقيها، وهو الذي أسماه سقراط – ذات مرة – بـ(الحياة المتفحصة) وهو ما ذهب إليه أيضا (جون ديوي) حين أكد أن المنهج القائم على بناء مهارات التفكير الناقد سيكون مفيدا ليس فقط للمتعلم الفردي ولكن للجماعة أيضاً، وللديمقراطية بوجه عام، وفي هذا السياق نبه توينبي إلى أهمية تنمية قدرات التفكير الناقد والإبداعي فقال: إن إعطاء الفرص المناسبة لنمو الطاقات المفكرة هي مسألة حياة أو موت بالنسبة لأي مجتمع من المجتمعات.

كما ألح ديكارت في قاعدته المشهورة (البداهة): على أن لا يسلم المرء بأمر أنه حق ما لم يتأكد بالبداهة أنه كذلك. وفي الوقت نفسه ذكر العلامة ابن منظور في لسان العرب (النقد من الفعل (نقد) بمعنى: تمييز الشيء وإظهار محاسنه وعيوبه وتنقيته وعزل ما حاد عن الصواب، فالنقد هو التمييز بين الأصيل فيقال نقد الدراهم أي ميز الذهبية منها وأخرج الزيف منها). وورد الفعل (نقد)في المعجم الوسيط وجاء بمعنى إظهار ما في الشيء من عيوب فيقال (نقد الشعر): بمعنى أظهر ما فيه من عيب وحسن، والأبحاث المعاصرة تعرفه إجرائيا أنه: تفكير تأملي معقول يركز على ما يعتقده الفرد أو يقوم بأدائه،

وهو فحص وتقويم الحلول المعروضة من أجل إصدار حكم حول قيمة الشيء.

والسؤال المهم هنا: هل نجح النظام التعليمي في الوطن العربي في إعداد الفرد الناقد الذي يحكم على المعلومات والمعارف والخبرات المختلفة ويجد الأدلة التي يؤيد بها أفكاره وآراءه؟

قد نتفق أو نختلف على بعض التفاصيل، ولكن الذي نتفق عليه جميعاً أن لدى أبنائنا استعداد للتعلم؛ لأن الله عز وجل خلقهم كذلك، ونتفق أيضاً أن أعظم استثمار يمكن أن نقدمه لمستقبل أمتنا هو عقول ناشئتنا، وأن أدبيات علم التفكير الناقد والتفكير الإبداعي تجمع على أن التفكير الناقد مهارة مكتسبة يكتسبها الإنسان من التعلم، وهي تحتاج فقط إلى مران وتدريب.

فلماذا يجرّم السؤال؟

فلسفيا قيل إن السؤال نصف العلم! لكن التربية التلقينية تحول الإنسان إلى وعاء مغلق وتغتال فيه كل تفاعل خلاق، ويصبح السبيل الوحيد للاندماج في المجتمع هو التسليم الكلي للتصورات والخضوع للإحكام التي تفرضها القبيلة والعائلة أو الصحبة مع فقدان القدرة على مراجعة الأفكار المسبقة أو إنتاج أفكار جديدة؛ التربية التلقينية تجرم وتحرم النظر في فهم الدليل والاستنتاج وتنزع إلى إعداد الأجوبة الجاهزة لتكريس الخضوع والاستلاب؛ لذلك أضحت مناقشة الأستاذ عدم ثقة بإمكاناته! ومحاورة الأب قلة ذوق! والاعتراض على آراء الشيخ جرأةً على مكانته! والاستيضاح من القائد الإداري شك في قدرته!.

نعم التفكير النقدي لا يعني الاعتراض لمجرد الاعتراض، ولا التشكيك في كل ما يقال، كما أنه ليس بداية الطريق للنيل من مكانة الآخرين. من هنا تعمل التربية النقدية على تربية حرية الناس وعلى إكساب المتعلم عددا من المهارات من بينها أن يفرق بين الرأي والحقيقة والإلمام بالموضوع المراد نقده، وأن يكون منفتحا على الأفكار الجديدة،

وأن يبحث في الأسباب والأدلة والبدائل، وإذا اتخذ موقفاً تكون لديه القابلية أن يغيره عند توفر الأدلة، وأن تكون لديه ملكة التأني في إصدار الأحكام وحب الاستطلاع والمرونة. وأن يكون قادرا على الفصل بين التفكير العاطفي والتفكير المنطقي، وأن يتمتع بالقدرة على الحوار والإقناع؛ لذا لم يكن مستغربا من رئيس وزراء سنغافورة (جوه شوك تونغ) أن يطرح مبادرته لتطوير التعليم في بلاده تحت شعار (مدرسة تفكر... وطن يتعلم).

إنه مشروع نهضة، فنحن بحاجة إلى دمج التربية النقدية في المناهج لكي نحفز العقول على ثقافة السؤال والانتقادات البناءة التي تسعى وراء الحقيقة وتسهم في تنمية شخصية الطالب العربي من أجل مجتمع حر داخل وخارج أسوار المدارس؛ شرط أن يكون تحت إشراف المعلم البارع!!. ثقافة السؤال ليست نظرية طارئة على واقعنا، فالقرآن الكريم منذ نزوله على سيد الأولين والآخرين فتح باب ثقافة السؤال والتساؤل؛ لذلك جاء الأمر الرباني بالمجادلة والمحاورة والتدبر والتفكر (﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ ... ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ ... ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ ... ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ ... ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ ... عن الأشهر الحرم وعن المحيض وعن الروح وعن الأهلة وعن ذي القرنين...). لقد خلق الله سبحانه وتعالى الناس وجعلهم متباينين في أمور كثيرة، ولو شاء لجعلهم على قلب رجل واحد، فلا ينبغي إجبارهم على طريقة تفكير واحدة. وهذا مما يساعد على عمارة الأرض والأوطان واستمرار التقدم والازدهار فيها؛ ولكي تعمل التربية النقدية على تنمية ملكة النقد ينبغي لها استبعاد التلقين باعتباره معيقا رئيساً لأشكال التفاعل العقلي، وباعتباره أيضا الربيب الأول للامتثال والانغلاق والخضوع.

في ظل الكم الهائل من التدفق المعلوماتي والتكنولوجي الحديث يجب التنبه تربويا إلى احتمالية أن يكون الطلبة مستقبلين سلبيين – أقصد الطالب أو الشاب (الحاوية للمعلومات) – وعليه يحتاج الطلبة إلى أن يتعلموا كيفية اختيار اللازم والمفيد من

المعلومات، فالتفكير الناقد يتطلب إثارة الأسئلة و غرس ثقافة الحوار والتساؤل. وهذا مهم بالنسبة للمتعلم وللمجتمع حتى يبقى المجال المعرفي حياً ومتجدداً وتتحرر العقول من التعصب والأحكام المسبقة. وقد قارن فيلسوف الحرية في العالم الثالث باولو فريري برهافة مشوقة بين بنيتي للتفكير بقوله: (التعليم لا يكون محايدا ؛ فإما أن يكون تعليما للحرية، وإما أن يكون تعليما للاستعباد. وأنا أتعلم كي أتحرر)!!

الثقة بالنفس

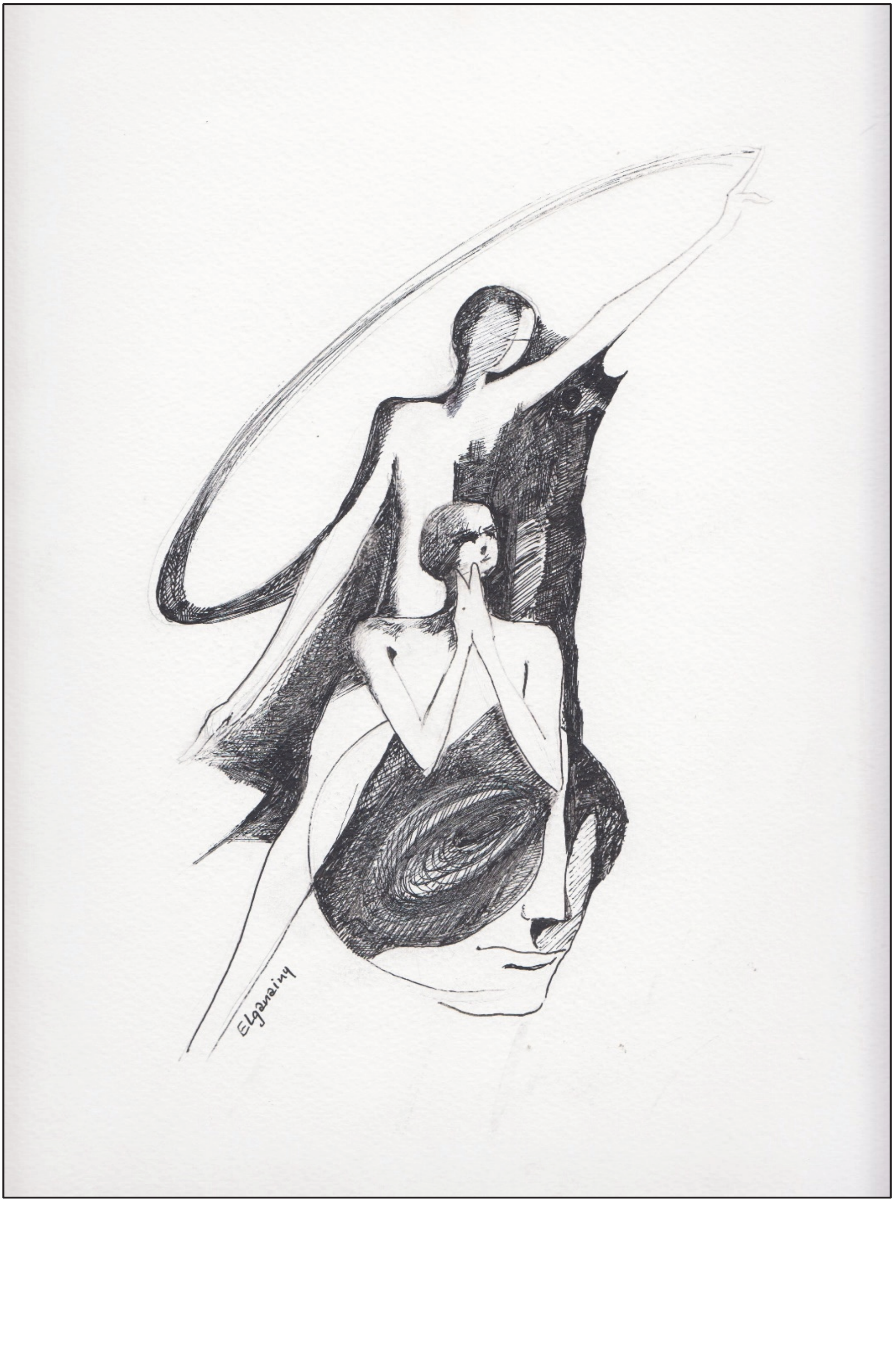

الثقة بالنفس

> « الثقة تشبه فيروس ينتشر في جسدك كله إذا كنت تتحلى بها فإنها سوف تصيب كل شيء بطريقة إيجابية » .
> **نولا**

جاء في السيرة أن وفداً من أهل الحجاز دخل على الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز فاشرأب منهم غلام للكلام. فقال عمر: مهلا يا غلام ليتكلم من هو أسن منك. فقال الغلام: مهلا يا أمير المؤمنين. إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه؛ فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً وقلباً حافظاً فقد أجاد له الاختيار؛ ولو أن الأمور بالسن لكان هاهنا مَنْ هو أحق بمجلسك منك فقال عمر: صدقت. تكلم فهذا السحر الحلال فقال: يا أمير المؤمنين نحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة قدمنا إليك من بلدنا نحمد الله الذي من بك علينا لم يخرجنا إليك رغبة ولا رهبة؛ لأنا قد أمنا في أيامك ما خفنا وأدركنا ما طلبنا. فنظر الخليفة في سن الغلام وأنشأ يقول:

تعلم فليس المـــــرء يولد عالما	وليس أخو علم كمن هـــو جاهل
وإن كبيـــر القـــوم لا علم عنده	صغيـــر إذا التفـــت عليه المحافل

المشهد التاريخي السابق يقدم أروع مثال على مسألة الثقة بالنفس؛ فهي شعور نفسي يعكس قناعة الإنسان بإمكاناته وأهدافه وقراراته، فالثقة بالنفس فضيلة وهي ليست غرور ولا مسكنة؛ أو كما عبر أرسطو عن الفضيلة: اختيار الإنسان للحالة

الوسطية بين رذيلتين (أي لا إفراط ولا تفريط) فالكرم حالة وسطية بين الإسراف والبخل والشجاعة حالة وسطية بين التهور والجبن؛ إذا نحن بصدد الحديث عن فضيلة هامة في حياتنا (لا غرور ولا مسكنة) إنه الشعور الداخلي بالاطمئنان للقدرات التي وهبها الله لنا، هي لا تعطى لأنها موجودة في دواخلنا، لكن ظروفا معينة منعت تطورها؛ لذا فأن عدم الثقة بالنفس تعرف بأنها: شعور الإنسان بالسلبية والتردد وعدم الاطمئنان للإمكانيات التي يمتلكها.

ربما تشكل الثقة بالنفس هاجساً للكثير من الناس كأن يقول الشخص إن ابني يعاني من عدم الثقة بنفسه، أو أن يقول الإنسان ليس لدي ثقة بقدرتي على التحدث أمام الناس، أو قد ينظر الإنسان للأغنياء أن لهم مالاً، وأن فلاناً لديه سيارة فارهة ومنزل ضخم، وفلان لديه شهادة علياً وأنا لا أملك شيئا؛ لذا فأنا غير موفق في حياتي. وهناك قصص واقعية تؤكد عدم قناعة الإنسان بما حباه الله به من ملكات، على سبيل المثال فقد كان هناك شاب ذكي يدرس في مدرسة أهلية راقية جداً حصل على منحة لتفوقه، لكن عندما كان زملاؤه يوصلوه إلى منزله كان يقف عند فيلا ليست لعائلته في بداية الحارة حتى يوهم الزملاء أنه ليس فقيراً!! ونسي هذا الشاب الحكمة القائلة: (من لا يقبلني كما أنا فلا أعتز بصداقته).

و معلوم أن الثقة بالنفس من السمات المكتسبة من البيئة الاجتماعية؛ لذا أوصي الوالدين هنا أنّ سلوك الثقة بالنفس لا يتم في يوم وليلة، بل يحتاج إلى تشجيع الأعمال الصغيرة حتى نصل إلى المشروعات الكبيرة، و الثقة بالنفس ركيزة أساسية لتحقيق التوافق النفسي والقدرة على قهر الصعاب وبلوغ النجاح والتميز، لكن ما نلاحظه في المجتمع من اهتمام بالمظاهر الزائفة يعتبر أحد أسباب التعويض عن الثقة بالنفس، كالاهتمام بالجوال الفاخر والحقيبة النسائية (الماركة) ورقم لوحة السيارة المميز، وجميعها لا تدل على النجاح لأن، النجاح يصنع مرتين: مرة داخل الإنسان ومرة في واقع الحياة أي تراه العين.

في الحقيقة أن العوامل المؤثرة على ظاهرة الثقة بالنفس متعددة، لكنني أوجز الحديث بالتركيز على عاملين جوهريين: الأول وضوح الهدف والثاني: المثابرة في أوقات الفشل، فعلى مستوى وضوح الأهداف هناك تجربة جديرة بالتأمل وقعت في جامعة هارفارد عام ١٩٧٩ حيث توجهت دراسة بسؤال لطلبة الدراسات العليا في ماجستير إدارة الأعمال عما إذا كانت لديهم أهداف واضحة و مكتوبة لمستقبلهم وخطة وطريقة لتحقيق تلك الأهداف، وقد أظهرت الدراسة أن ٣٪ فقط من الخريجين لديهم أهداف وخطط مكتوبة و أن ١٣٪ فقط لديهم ما يشبه الأهداف لكنها غير مكتوبة، و أن ٨٤٪ ليس لديهم أية أهداف واضحة على الإطلاق، بعد عشر سنوات أي عام ١٩٨٩ تم جمع مجموعة الطلاب نفسها حيث اكتشف الباحثون أن نسبة الثلاثة في المائة الذين كانت لديهم أهداف واضحة ومكتوبة يزيد دخلهم المالي بنحو(١٠) عشر مرات عن بقية الخريجين الذين تبلغ نسبتهم ٩٧٪ وهم الذين ليست لديهم أهداف واضحة ومكتوبة!!.

أما عن العامل الثاني والذي يتعلق بالمثابرة – فستكون لنا محطة فكرية مع تجربة نبي الله يوسف ﷺ (ويمكننا تتبعه عبر سيرة كل الناجحين)، حيث نلاحظ أنهم فشلوا بطريقة أو بأخرى، ولكن إصرارهم وثقتهم بأنفسهم قادتهم للتميز في الحياة فقد فشل (أبراهام لينكولن) في المجال السياسي ثماني مرات، لكنه ظل مثابراً حتى أصبح رئيس الولايات المتحدة الأمريكية!! وفشل (أينشتاين) في الاختبار الذي يتأهل بموجبه للحصول على مجرد شهادة دبلومه ثم تألق ليكون أشهر علماء العالم!! وكذلك الحال لتوماس أديسون الذي تعثر مئات المرات لكنه سطر لنا حكمة جميلة تقول:(الفاشلون هم أناس لم يعرفوا كم كانوا قريبين من النجاح حين توقفوا) أما (ونستون تشرشل) فقد فشل في اختبار القبول في الجيش أكثر من مرة ثم أصبح رئيسا لوزراء بريطانيا!! لذا لم يكن مستغربا أن يصرح قائلا: (النجاح هو القدرة على الانتقال من فشل إلى فشل دون أن تفقد حماسك).

الحاجة إلى تنمية مهارات الصداقة

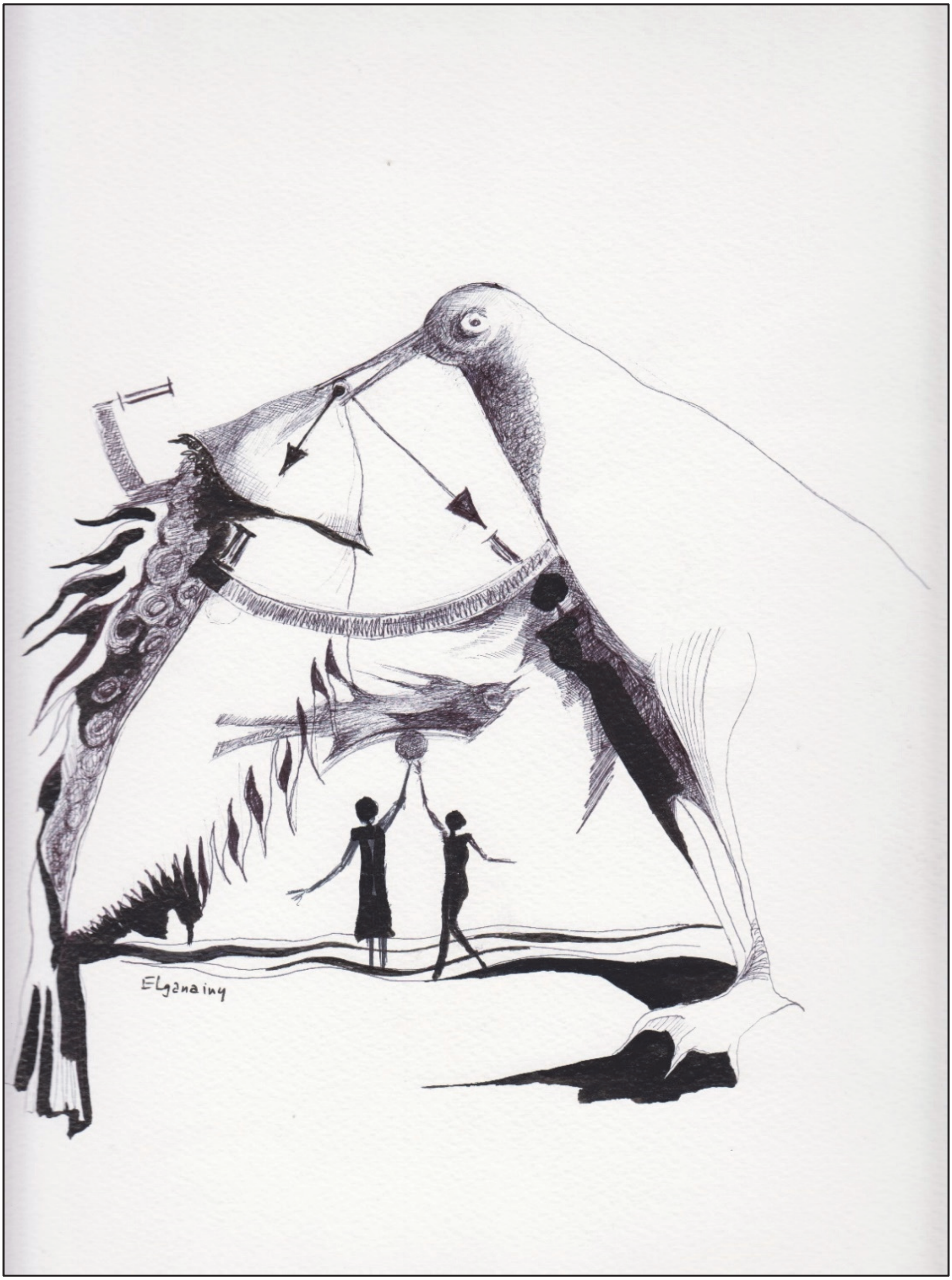
Elganainy

الحاجة إلى تنمية مهارات الصداقة

> « الأخ الصالح خير من نفسك؛ لأن النفس أمارة بالسوء والأخ الصالح لا يأمر إلا بالخير » .
> ابن أبي اصيبعة

يقول سيد الخلق أجمعين الرسول الأعظم محمد بن عبد الله ﷺ (المرء كثير بأخيه) وهو -بهذا القول -قد سبق قول الفيلسوف الفرنسي فولتير: (أيتها الصداقة: لولاك لكان المرء وحيداً، وبفضلك يستطيع المرء أن يضاعف نفسه وأن يحيا في نفوس الآخرين). هكذا يتعاظم موضوع الصداقة باعتبارها ظاهرة إنسانية لا تنحصر حدودها في إطار الفكر الفلسفي اليوناني القديم متمثلا فيما كتبه أرسطو في الصداقة وضمنه كتابه (علم الأخلاق)، ولا هي تقف كذلك عند حدود ما جاء في الكتابات الأدبية والدينية في تراثنا العربي والإسلامي، بل يتسع نطاقها ليشمل الدراسات النفسية والاجتماعية المعاصرة أيضا.

يعرف أرسطو الصديق أنه: من يعيش معك ويتحد وإياك في الأذواق، والذي تسره مسراتك وتحزنه أحزانك. وجاء في لسان العرب للعلامة ابن منظور: الصداقة من الصدق والصدق نقيض الكذب. فالصداقة هي صدق النصيحة والإخاء، والصديق هو المصادق لك، والجمع صدقاء وصدقان وأصدقاء وأصادق. كما جاء في كتاب (الفروق في اللغة) لأبي هلال العسكري: إن الصداقة تعني اتفاق الضمائر على المودة، وهو يفرق بين الصاحب والقرين، ويشترط أن تفيد الصحبة انتفاع أحد الصاحبين بالآخر، أما العالم المعاصر سيرز Sears فيعرفها بأنها علاقة بين شخصين أو أكثر تتسم بالجاذبية

المتبادلة المصحوبة بمشاعر وجدانية إيجابية.

والحقيقة أن هناك اهتماما غير مسبوق بالصداقة، هذا الاهتمام هو نتيجة علمية لموضوع (الاقتداء) بوصفه أهم الآليات المسئولة عن تشكيل آثار الصداقة في التنشئة الاجتماعية، حيث تفترض نظرية التعلم الاجتماعي أن قدراً كبيراً من التعلم يتم عن طريق مشاهدة شخص آخر يسمى القدوة (أو النموذج) model وهو يؤدي الاستجابة المرغوب فيها بحيث يتم تشجيع الشخص على محاكاة الاستجابات الصادرة عن القدوة؛ لذا فقد نبه الرسول ﷺ على أهمية الصحبة بقوله: (الرجل على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل) وقال سرفانتس: (قل لي من تصاحب. أقل لك من أنت).

ويمكننا أن نعتبر الأصدقاء نماذج اجتماعية يتعلم منها الأطفال والمراهقون (وعلى الأخص الشباب) العديد من الخبرات والمهارات وأنواع السلوك الإيجابي والسلبي، وقد عزز العالم باندورا (Bandura) هذه الفكرة بقوله: إن سلوك الاقتداء يتأثر ويزيد بسبب الدعم الاجتماعي؛ وذلك عندما يُشاهد القدوة وهو يتلقي الدعم عقب إصداره السلوك المرغوب فيه، وكأنها إشارة إلى ضرورة دراسة الحاجات الإنسانية للشباب.

ويظل هناك سؤال قديم يتعلق بأهمية (الحاجة) إلى الصديق طرحه أرسطو على النحو التالي: في أي الحالين يكون المرء أحوج إلى الأصدقاء؟ في الرخاء والسعادة. أم في الشدة والشقاء؟ وقد أجاب على ذلك قائلاً: إن المرء يحتاج إلى الأصدقاء في حالتي السعادة والشقاء؛ فعند الشقاء يحتاج المرء إلى أصدقائه ليقدموا له العون، أما عند السعادة فتنتعش حاجة الشخص إلى من يشاركه سعادته. ويبدو أن الإمام علي عليه السلام قد خالف أرسطو حين أشار إلى أهمية الصديق وقت الشدة في قوله:

ما أكثر الإخوان حين تعدهم ... ولكنهم في النائبات قليلُ

والعرب تقول (الصديق وقت الضيق). وعندما ينساب حبر القلم يداعب نسائم

المشاعر ويستذكر أن هناك زملاء دراسة وزملاء عمل قد تحولوا إلى أصدقاء أوفياء، وهناك أصدقاء طفولة تاج الرأس ويسكنون الفؤاد يقول لقمان (رب أخ لك لم تلده أمك) وينطبق عليهم قول الشاعر أبو العتاهية:

إن أخاك الصـدق من كان معـــكْ ومن يضرُ نفسه لـيـنـفـعـكْ
ومن إذا ريـب الزمـانِ صـدعـكْ شـتّـت فيك شـمله ليجمعـكْ

أما ضياء الدين السهروردي المتوفى سنة ٥٦٣هـ فيشير في كتابه (آداب المريدين) إلى أن الحاجة إلى الأصدقاء على ثلاثة أصناف: فمنهم صنف كالغذاء لا يستغنى عنه، وصنف كالدواء نحتاج إليه أحياناً، وصنف كالداء ننفر منه في كل حين، أما أبو حيان التوحيدي في كتابه (الصداقة والصديق) والذي خصصه بالكامل لموضوع الصداقة فهو يفرق بين الصداقة الطيبة وصداقة السوء، ويذكر أن المودة بين الصالحين بطيء انقطاعها سريع اتصالها كآنية الذهب بطيئة الانكسار هينة الإعادة. بينما المودة بين الأشرار سريع انقطاعها بعيد اتصالها كآنية الفخار التي يكسرها أدنى شيء ولا جبر لها، وفي فصل عن المؤاخاة في كتاب (أدب الدنيا والدين) لأبي حسن الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠هـ نجده يقسم الإخوان (وفقاً للحاجة والعون) إلى أربعة أقسام بقوله: فمنهم من يعين ويستعين، ومن لا يعين ولا يستعين، ومن يستعين ولا يعين، ومن يعين ولا يستعين. أما ابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١هـ (وهو من أشد الكتاب تأثراً بآراء أرسطو في الصداقة) فإنه يذهب إلى أن الناس يسعون في حياتهم لنيل واحدة أو أكثر من بين (ثلاث حاجات) هي اللذة أو المنفعة أو الفضيلة، وهو تصنيف سبقه أرسطو إلى إقراره، فصداقة الفضيلة تنعقد سريعاً وتنحل بطيئاً؛ لأن الخير باق بين الناس وهي صداقة الأخيار، أما صداقة المنفعة فتنعقد بطيئاً وتنحل سريعاً بانقضاء المصلحة كصداقة الأغنياء والتجار، أما صداقة اللذة فتنعقد سريعا وتنحل سريعا؛ لأن اللذة متغيرة وهي أكثر شيوعاً بين الفتيان. إلا أن جبران خليل جبران يقدم وصفا لطيفا في حاجة الصديق بقوله: (إن

صديقك هو كفاية حاجاتك. هو حقلك الذي تزرعه بالمحبة وتحصده بالشكر. هو مائدتك وموقدك؛ لأنك تأتي إليه جائعا وتسعى وراءه مستدفئاً).

نود في هذه المحطة الفكرية لفت الانتباه إلى أن تراثنا غني بالأفكار والتأملات المتعلقة بموضوع الصداقة؛ لكنها حتماً لا تغني عن قرع الجرس للتنبيه بضرورة إجراء الدراسات النفسية الميدانية لواقع شبابنا في الوطن العربي. تلك الدراسات القائمة على المنهج العلمي لدعم مهارات الصداقة وتحسين الكفاءة الاجتماعية وعدم الاكتفاء بنتائج الدراسات الأجنبية. فالفروق الثقافية شاسعة بين البيئات الغربية والبيئة العربية في كثير من الظروف والقيم والمعتقدات؛ وعليه فإنه يجب البحث عن الأساليب التي تعمل على تحسين الظروف الاجتماعية المحيطة بالشباب من خلال إشراك أفراد الأسرة والأقران والمعلمين في إشباع الحاجة إلى التواصل الاجتماعي السليم وتبني عمليات تدريب حديثة لصقل المهارات الصداقية. بشرط أن نتذكر دائما الحكمة اليونانية (أنت تملك أصدقاء. إذن أنت غني).

الخضوع للسلطة وتوجيه العدوان للأضعف

الخضوع للسلطة وتوجيه العدوان للأضعف

> «كل الرجال تقريباً يمكنهم الثبات في وجه المحن. أما إذا أردت أن تبتلي شخصية رجل ما فامنحه سلطة» .
> أبراهام لنكولن

روي أن والي الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز على البصرة بعث له برسالة يقول فيها: إن أناساً من العمال قد اقتطعوا من مال الله ولست أرجو استخراجه منهم إلا أن أمسهم بشيء من العذاب؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي بشيء من ذلك فعلت. فكتب إليه الخليفة عمر بن عبد العزيز: العجب كل العجب استئذانك إياي في عذاب بشر كأني لك جُنة من عذاب الله، وكأن رضاي عنك ينجيك من سخط الله عز وجل؛ فانظر من قامت عليه البينة أو أقر فخذه بما أقر. وأيم الله لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم أحب إليّ من أن ألقى الله بدمائهم.

المشهد التاريخي السابق يدعونا إلى التساؤل عن أهمية وجود جهاز يعمل على الحد من سلطات الأفراد أياً كانوا. وعن ضرورة وجود مؤسسات تراقب حالة ضعف البشر أمام شهوة السلطة وفي نزوع النفس البشرية للهيمنة والاستمرار في الزعامة على أن يكون وقودها فئات من البسطاء والمستضعفين؟ والأهم محاولة رصد ذلك التغير في القيم والمبادئ عند الأشخاص حال تقلدهم المنصب وصعودهم منصة السلطة.

تاريخياً كان الحجاج عابداً متهجداً ومعلماً للقرآن ولكن ماذا فعل عندما تمكن من السلطة؟؟ روى الترمذي في سننه (٢٢٢٠) عن هشام بن حسان قال (أحصوا ما قتل

الحجاج صبرا فبلغ مائة ألف وعشرين ألف قتيل) ولعلنا نوجز الحديث بذكرنا ما قاله الخليفة عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم. والخليفة العباسي أبو جعفر المنصور كان قبل توليه الخلافة زاهدا ورعا يخالط الفقهاء والعلماء، لكنه بعد وصوله للسلطة تغير وأصبح متجبرا وأوغل في الدماء يقول الرسول ﷺ: لأن تهدم الكعبة حجرا حجرا أهون على الله من أن يراق دم امرئ مسلم. وفي السيرة النبوية وقعت حادثة في عهد الرسول ﷺ تكشف عن مدى اهتمام الإسلام بحرمة الدماء، فقد وجد رجل مقتولاً من قبيلة جهينة ولا يعلم قاتله؛ فغضب الرسول ﷺ لذلك وأمر باجتماع المسلمين في المسجد وصعد فيهم خطيبا قائلا: أيها الناس أيقتل إنسان ولا يعلم قاتله؟ والله لو أن أهل السماوات والأرض اشتركوا في دم مسلم واحد بريء أو رضوا به لكان حقا على الله أن يكبهم كلهم على مناخرهم في نار جهنم. وقارون كان من الأخيار الصالحين وكان من قوم نبي الله موسى عليه السلام ولكنه عندما تجبر خسف الله به الأرض.

ولرصد تجربة التحول والانقلاب على المبادئ والقيم والقناعات نستذكر تجربة سلوكية عظيمة في تاريخ علم النفس وهي تجربة جامعة ستانفورد كاليفورنيا في عام ١٩٧١م والتي قام بها البروفسور (زيمباردو) وتتمثل في إنشاء سجن وهمي يكون الحرس والمساجين فيه من طلاب الجامعة المتطوعين. وكان الهدف من التجربة هو قياس سلوك الأفراد عندما يملكون السلطة وقياس كيف يفقد الإنسان توازنه عندما يملك مصدر القوة (منصب، مال، معرفة... الخ).

ما حدث في التجربة السابقة أن البروفسور المشرف على التجربة اختار نخبة من طلاب الجامعة المعروفين بالاستقامة والصلاح (أي أن البروفسور قسم الطلاب الشباب) إلى فريقين: فريق حراس وفريق سجناء) ولكن عندما أصبحوا من ذوي السلطة قاموا بتصرفات قاسية تجاه زملائهم المسجونين وقاموا بتطبيق الأوامر بدون رحمة، بل وبالغوا في العقوبة والقسوة إلى درجة أن أوقفت التجربة، وأرسل البعض من المسجونين للعلاج النفسي لتخلصهم من آثار القسوة والخشونة في التعامل!!

يمكننا أن نستنتج دروساً متعددة من التجربة السابقة؛ فتقلد المناصب ليس مشكلة في ذاته، ولكنه يكون تارةً وسيلة للعطاء وخدمة للوطن والمجتمع، وتارة أخرى يكون بمثابة حب للوجاهة وتضخم في الذات؛ فـ (حب المناصب) كظاهرة سلوكية لها أبعاد متعددة وصور متفاوتة؛ وعليه فلا يجب أن نفاجأ إذا شاهدنا في الانتخابات أن (بعض) الشخصيات ذهبت لترشيح نفسها وهي من الذوات المغمورة الهامشية التي ليس لها صلة بخدمة الضعفاء والفقراء من الناس، ولا تعلم بحاجات المجتمع؛ فضلا عن عدم أهليتها وكفاءتها! كما أن هناك شخصيات ذات قدرات عالية تحتجب تواضعا وتعففا وتتوارى عن الأنظار لكي تمارس دورها الإنساني والوطني خلف الكواليس!! ونقول: لا تثريب على أمثال هؤلاء أن يتقدموا؛ فالمجتمع والوطن بحاجة ماسة لعطائهم.

الدرس الآخر وإسقاطاً على واقع (المجتمع) المعاش هناك في تقديري قضيتان على قدر كبير من الأهمية هما: (التوحيد) (العدل)، أما التوحيد فقد احتل أولويته في بداية الدعوة الإسلامية عندما كان الشرك والوثنية هما القاعدة في مجتمع الجزيرة العربية، أما الآن- وحتى لا تكون المسيرة عرجاء – فقيمة العدل يجب أن تأخذ مساحتها من الاهتمام بمختلف مفاصل حياتنا، ويجب أن تلقى العناية التي تتناسب مع خطورتها؛ فقد يتعمد البعض تجنب الحديث عنها إيثاراً للسلامة وحتى لا يقال إن تلك الكتابات تتعرض لأوضاع قائمة وسائدة في عملية إصرار مبيت على التورط في التزييف الجمالي للحياة. يقول الإمام علي عليه السلام: (أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم) أي أن لا يسكتوا حين يكون هناك ظالم متخوم ومظلوم محروم.

فالعدل قيمة هامة لا يمكن أن تستقر إلا تحت ظلال الحرية، وهنا ينشأ توأمان للانطلاق الصحيح والطريق السليم في أوطاننا هما: العدل والحرية، وبذلك تتفجر طاقتنا الروحية لتختزن حركة بمنتهى الآدمية في وجه أولئك الذين يصرون على ظلم الضعفاء.

الديمقراطية تبدأ من البيوت

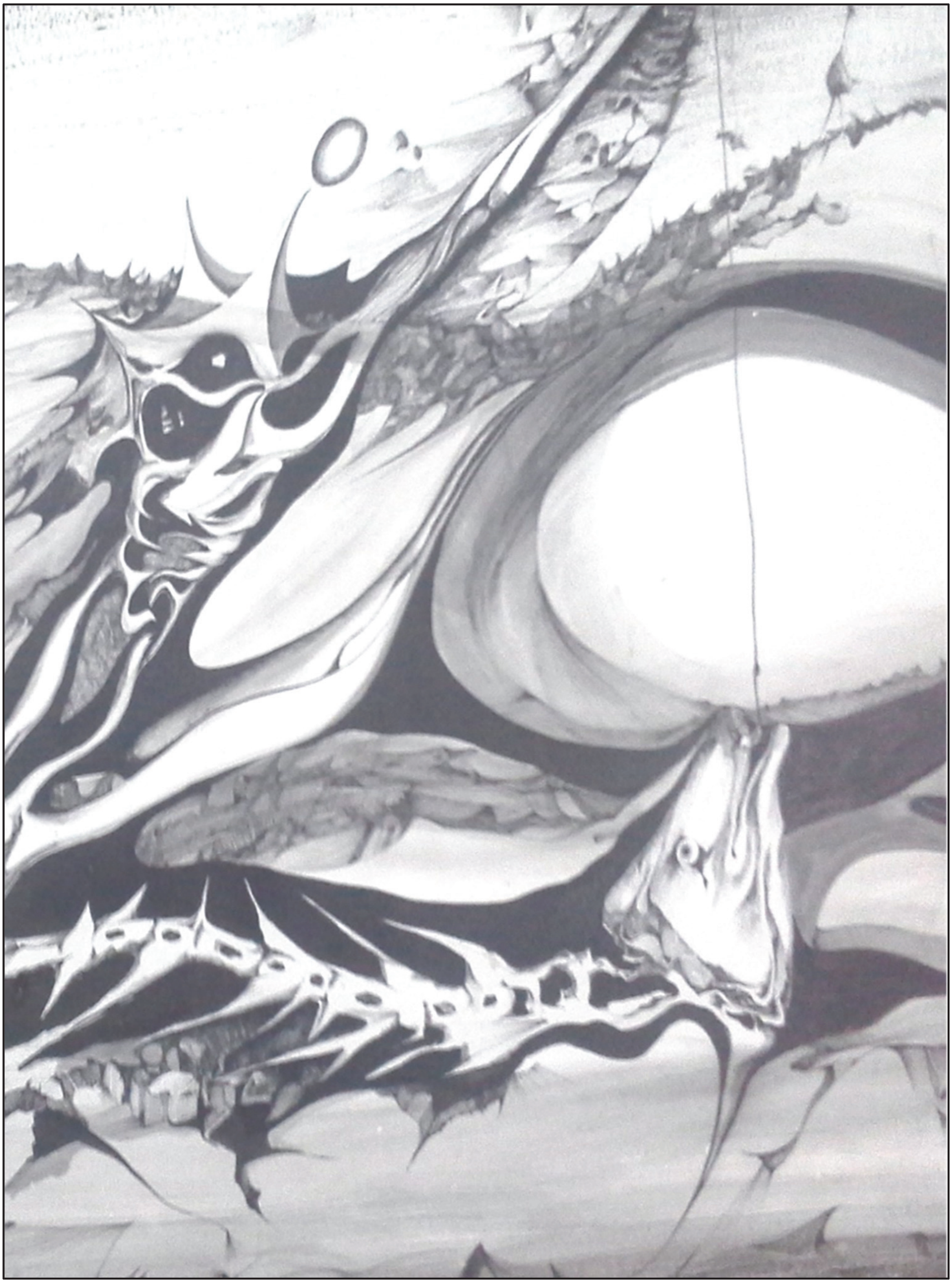

الديمقراطية تبدأ من البيوت

« لو أن كل عصفور بحاجة إلى تصريح من وزير الداخلية... ليطير.. ولو أن كل سمكة بحاجة إلى تأشيرة خروج لتسافر... لانقرضت الأسماك والعصافير » .
نزار قباني

قال لزوجته اسكتي. وقال لابنه: انكتم. صوتكما يجعلني مشوش التفكير. لا تنبسا بكلمة. أريد أن اكتب عن حرية التعبير. (أحمد مطر).

لكي تترسخ الديمقراطية ومفاهيم الحوار على مستوى الأوطان، وحتى تنتشر قيم احترام الآخر وقبول الاختلاف والتنوع في المجتمع، فإنه لابد من غرس هذه القيم في الأبناء منذ الصغر. إن أردنا ذلك فعلينا أن نتخلص من (فكرة أنا على حق وغيري على خطأ). يقول الإمام الشافعي في دعوة صريحة إلى ترسيخ خط الاعتدال: (قولي صواب يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصواب).

الأسرة هي البنية الأولى لأي مجتمع، والتنشئة السليمة داخل الأسرة حين تقوم على مبدأ المشاركة في اتخاذ القرار؛ فلا شك أنها تؤسس لوطن يعتمد على فكرة الشورى والديمقراطية باعتبار الأسرة مؤسسة هامة من مؤسسات الدولة والمجتمع.

نحن (في وطننا العربي) معنيون بتحقيق تراكم كمي يفضي إلى تحول نوعي مبني على الديمقراطية. تقول غادة السمان (لم يترك البعض لنا في الوطن إلا حرية الانتحار أو الرحيل؛ فتعلمنا التنفس تحت الماء كالأسماك، وأتقنا الطيران في الفضاء كالعصافير، عبثاً

يفرغون هواء الروح من الأوكسجين ويقصون أشجار الغابات. سنظل نحلق ونبني أعشاش الكلمة الحرة داخل الغيوم).

بهذا الإصرار على غرس كل جميل، والتبشير بحفظ كرامة الإنسان (بدءاً من البيوت وانتهاءً بأكبر مؤسسات الدولة) نقول: يمكننا هنا أن رسم صورة مجازية لأوجه التشابه بين شكل الدولة والأسرة في فكرة التدريب على ممارسة الديمقراطية؛ ورغم التعقيد والتداخل الموجود؛ إلا أن الأسرة تضم مجموعة من الأفراد يعيشون في منزل واحد يدار من قبل الأب والأم؛ باعتبارهما يمثلان السلطة ولهما مرجعية قانونية ودستورية؛ لاعتبار الأسرة كيانا مصغرا جداً للدولة، غير أنه يدار بواسطة؛ مجموعة من القيم (management by values).

من بين هذه القيم، قيمة التشاور والمشاركة في صنع القرار.

أُتي رسول الله ﷺ بقدح من لبن وغلام عن يمينه والأشياخ أمامه وعن يساره، فشرب رسول الله ﷺ. ثم قال للغلام: يا غلام أتأذن لي أن أسقي الأشياخ؟ قال: ما أحب أن أوثر بفضل شربتك على نفسي أحداً من الناس. فناوله رسول الله ﷺ، وترك الأشياخ. مشهد رائع؛ فالأمر لا يتعلق فقط بأحقية من في الجهة اليمنى، بل يتعلق هو يتعلق باحترام رأي الغلام وحقه في المساواة والعدالة وبالجدية المتناهية في التربية داخل البيوت، كان بإمكان ذلك الغلام أن يتنازل للأشياخ؛ لكنه متمسك بحقه، ونشأة الطفل على المشاركة في اتخاذ القرار الذي يمسه هو السبيل الأمثل لتحقيق فكرة الشورى والديمقراطية.

وما دمنا في هذا المجال؛ فلا بد من الحديث عن قيمة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها وهي قيمة تكامل الأدوار بديلا عن الصراع والمنافسة، بمعنى أن لكل فرد اختصاص محدد، وكأن هذا النشاط الأسري يشبه قطاع الخدمات في الدولة؛ فالمرأة في مجال خدمات المنزل هي الأجدر، و لا مانع -مع ذلك- من مساعدة الرجل لها، وكذلك

الحال بالنسبة لقطاع التربية والتعليم والذي يسير فيه الرجل والمرأة بالتعاون والشراكة على أن يتم بدون تمييز أو تحيز لكي تتحقق قيمة المساواة والعدل بين الأبناء والبنات يقول (أل جور نائب الرئيس الأمريكي السابق): (الحكومة تفشل عندما تفشل مدارسنا) وأضيف: إذا دخلت العنصرية والتحيز إلى المدارس فإنها تدمر العملية التربوية. شأن قطاع التربية والتعليم في موضوع المساواة يشبه تعامل الدولة مع المواطنين بدون تحيز إقليمي أو طائفي أو عرقي مما يضمن ولاءهم وانتماءهم، فإذا لم يجد الابن في الأسرة الحنان والمساواة مع بقية الأخوة فسيتحول إلى ولد عاق سيء الخلق.

وإذا كانت الدولة تحرص على تنظيم علاقاتها الخارجية بدول الجوار ؛ فإن التربية الأسرية تغرس في الأبناء مراعاة حقوق الجيران والأصدقاء وزملاء المدرسة والأقارب على أساس الحقوق والواجبات؛ ذلك لأن الديمقراطية ثقافة تنطلق من البيوت أولا وهي تبدأ من تجنب الزوج فرض الأوامر على الزوجة والأبناء، و أن يمارس معهم بدلا من ذلك الحوار دون وعيد أو تهديد، وهذه المعاملة سوف تنتقل بشكل طبيعي إلى المدرسة، فلا يفرض المدرس آراءه على التلاميذ ويسمح لهم بإبداء وجهات نظرهم وقناعاتهم ؛ لأننا نعيش في إطار فكر عالمي يفرض علينا أن نواكبه، وهو مدعاة إلى الاستقرار والسلم الاجتماعي، وهذا ما أكد عليه الرئيس البوسني الأسبق علي عزت بيجوفيتش في كتابه (هروبي إلى الحرية) حين قال: (الديمقراطية والاستقرار يشترطان بعضهما تبادليا. الديمقراطية ضرورية لنا من أجل الاستقرار والاستقرار ضروري من أجل الديمقراطية).

كما تؤكد جميع التجارب العالمية أن الدول التي تعيش الدكتاتورية قد تأخرت وتعطلت مشاريعها التنموية؛ بينما استطاعت الدول التي اعتمدت الديمقراطية منهجا لها أن تتقدم وتتطور؛ فالهند -على سبيل المثال -يوجد فيها أكبر تعدد طائفي وعرقي في العالم، لكنها مع ذلك حافظت على وحدة هذه التنوع والتعدد ويعيش بها مليار نسمة في تآلف وانسجام، وكذلك فان ماليزيا نموذج آخر للتعدد والتنوع العرقي والديني؛ فقد

حافظت الديمقراطية فيها على وحدة البلاد بل وأسهمت في تقدمها وازدهارها.

اختم بلفته تربوية رائعة، ذكرها ذات مرة عباس محمود العقاد: (يقول لك المرشدون اقرأ ما ينفعك، ولكنني أقول: بل انتفع بما تقرأ).

السياحة المعرفية

Elganainy

السياحة المعرفية

سويسرا من صناعة الساعات إلى كنز أموال الحكام

> « العلم أكبر من أن يحاط به فخذوا من كل شيء أحسنه ».
> ابن سيرين

أود في بداية حديثي أن أوكد على عادة حسنة قبل السفر إلى أي بلد من البلدان وتتمثل في القراءة المكثفة عن تاريخ وثقافة هذا البلد قبل البحث عن الأماكن الترفيهية والمنتجعات والمطاعم وأماكن التسوق.

وقد جرت العادة بعد انقضاء العطلة الصيفية أن يتحدث كثيرٌ من زملاء العمل والأصدقاء والأقارب عن زياراتهم ورحلاتهم، ومن بين أشهر هذه الأماكن السياحية يأتي الحديث عن سويسرا باعتبارها مقصد الباحثين عن الهدوء والجمال وكذلك الأثرياء من كل أنحاء العالم. أما الأزواج الذين يقضون شهر العسل فإنهم لا يتوقفون عند جمال وهدوء مدينة جنيف، بل يقارنون بمدن أكثر روعة مثل برن العاصمة السياسية والإدارية لسويسرا وكذلك زيوريخ التي اختيرت من عام ٢٠٠٠ حتى عام ٢٠٠٨ كأجمل مدينة للعيش بها في العالم.

بقراءة متأنية لتفاصيل التاريخ السويسري يمكن الخروج باستنتاج أولي يفيد أن هذه الدولة قد حمت نفسها (بحيادها السياسي) رغم أنها كانت في فترة تاريخية معينة مسرحاً لحروب أهلية استمرت سنوات بين البروتستانت والكاثوليك وبين الناطقين

بالفرنسية والألمانية وبين الريفيين والمدنيين والليبراليين والمحافظين، ولكنهم رغم كل ذلك التباين و الاختلاف نجحوا في عام ١٨٤٨م في وضع دستور أسس لإنشاء مجموعات من الهيئات السياسية التي نجحت في حماية سويسرا عبر نظام فيدرالي رئاسي يتمتع بلامركزية واسعة تعبر عن الديمقراطية التوافقية المستندة للأغلبية التي تقبل بالتنوع دون إقصاء لأي جماعة وفي هذا الجانب تحديدا درس جدير بالتعلم للدولة العربية.

منهج سويسرا في (الحياد السياسي) جعلها أيضاً مقراً للكثير من المنظمات الدولية كالأمم المتحدة ومنظمة التجارة العالمية ومنظمة العمل الدولية ومنظمة الصحة العالمية والصليب الأحمر الدولي والملكية الفكرية ومجلس حقوق الإنسان. وبالمناسبة فإن اليوم العالمي للديمقراطية الذي يوافق ١٥ سبتمبر قد تقرر إحياؤه في مصر تقديراً واحتراما لثورة مصر السلمية، والجهة التي أعلنت عن الاحتفال هو (الاتحاد البرلماني الدولي) والذي يضم كافة برلمانات دول العالم ويمارس دوره كأكبر تجمع لشعوب الكرة الأرضية ويمثل الضمير الديمقراطي في عالم اليوم، ويشبه عمله أدوات الأمم المتحدة، لكن الفرق بينهما هو أن الأمم المتحدة تمثل تجمع الحكومات، بينما الاتحاد البرلماني الدولي يمثل تجمع الشعوب.

اللافت في الأمر إن اسم سويسرا أخذ يتردد كثيراً في الإعلام العربي بعد نجاح الربيع العربي وبزوغ المطالبات الحقوقية كما هو الحال في مصر وهروب بعض رموز نظام حسني مبارك ومن بينهم (حسين سالم) الذي يقال إنه متواجد في سويسرا رغم أن اسمه ضمن أسماء النشرة الحمراء التي أصدرها الإنتربول الدولي.

الجهات الحقوقية والجمعيات الإنسانية واصلت طرح علامات الاستفهام والتساؤلات: كيف لدولة مثل سويسرا التي تتبنى سياسة الحياد التام أن تقوم في الوقت نفسه بفتح بنوكها لكل المفسدين في العالم دون مسائلتهم عن مصدر تلك الأموال الطائلة؟ بل وتضمن لهم سرية الحسابات وكأنها تشجع الناس على الفساد وتقدم لهم

وسائل الحماية للأموال التي نهبوها؟. والمدهش أن سويسرا أعلنت تجميد حسابات بعض الروؤساء العرب الذين سقطوا بعد الربيع العربي، ولكنها لم توضح للشعوب المنهوبة كيف أنها قبلت ابتداءً تلك الحسابات الغير مشروعة من الأساس؟

البنوك السويسرية تتعامل بنظام مشفر يزيد عمره على مائتي عام ولا يسمح هذا النظام حتى للموظفين بمعرفة أصحاب الحسابات. كما أن العميل يستطيع إيداع أمواله بأسماء مستعارة أو استبدالها بأسماء سرية لا يعرفها غيره.؛ لذا تساءل بعض المحامين: ماذا لو مات أحد العملاء؟ هل ستحتفظ سويسرا بالأموال؟. وهذا عيناً ما قام به المحامون في الفلبين عندما مات الرئيس الفلبيني الدكتاتور ماركوس؛ إلا أن الأمر كان بحاجة إلى أحكامٍ مدنية وأوراقٍ قانونية لاسترداد تلك الأموال. فهل بقيت تلك الأموال وغيرها من الأموال العربية في رصيد سويسرا العام؟ وعليه انعكس ذلك على المواطن السويسري الذي ما يزال يتمتع بأعلى مستوى من الرفاهية عالمياً؟

معلوم لدى العقلاء أن الرفاهية لا تدوم، ففي أواخر الستينيات كان السويسريون هم المهيمنون على صناعة الساعات، حيث زاد نصيب سويسرا في السوق العالمي للساعات عن ٦٥٪، ثم فجأة تناقص نصيبهم في السوق من ٦٥٪ إلى ١٠٪ فقط، بحيث تراجع السويسريون من هيمنة كاملة على مستوى العالم إلى مجرد لاعب لا وزن له. يقول خبراء الاقتصاد إن السبب هو التكنولوجيا التي باغتت صناعة الساعات، فقد بادر السويسريون بعرض ساعة جديدة لم يكن لها مثيل في المؤتمر الدولي للساعات، وتصادف وجود شركة سيكو Seiko التي سرعان ما التقطت الفكرة وقامت بتسويقها على مستوى تجاري فأُخِذَ السويسريون الذين اخترعوا الساعة الجديدة على حين غرة.

إذا السياسة تتغير، والأوضاع الاقتصادية أيضاً تتغير، وقد جاء في المأثور: (تنعموا واخشوشنوا فإن النعم لا تدوم) لكن المعرفة ثابتة بما تشتمل عليه من أدب عالم الرحلات الذي يزخر به تراثنا العربي. فالثروات الثقافية لدى الكثير من الأمم أصبحت محطات استقطاب للسياح الذين تتنوع اهتماماتهم أثناء وصولهم للدولة المقصودة لزيارة معالمها

والتعرف على ملامحها الثقافية والفكرية عن كثب، وباعتبار أن الرحلات ليست للاسترخاء والاستجمام والتلذذ بأنواع الأطعمة فقط، بل هي مزارات ثقافية؛ وتماهياً مع ما جاء في المقابسات لأبي حيان التوحيدي تجعل النفوس تتقادح والألسن تتفاتح والعقول تتلاقح فتشبع نهم السياح وفضولهم المعرفي.

السينما صناعة ثقافية للشباب

السينما صناعة ثقافية للشباب

> « أسوأ ما يواجه المخرج أن يسمع شخصاً خارجاً من القاعة يقول (الفيلم لطيف) المخرج يتمنى أن يجد عراكاً فكرياً عن أهداف المخرج ونواياه » .
>
> بول هاجيس

بداية بجب التأكيد على أن السينما مؤثر رئيس في صناعة ثقافة الشباب، وإن كانت ما تزال بحاجة إلى المزيد من الاهتمام لكي تجعلنا نقترب من واقع هذا الجيل ونتعرف عليه، ولو أخذنا الأفلام القصيرة وبرامج اليوتيوب مثالا فسوف نجد فيها تجارب جريئة ناجحة في حدود ومستوى إمكانيات الشباب، لكنها تبقى ظاهرة تتسيد مطالعات الشباب وتبادلهم المعرفي ورسائلهم الالكترونية؛ بل إن بعضها تجاوز حالة التسلية ليفرض واقعا تهكميا من صعوبة العيش و تمردا على حالة التزييف الذي يزاوله الإعلام الرسمي وابتعاده عن مناقشة مشاكل الشباب الحقيقية، ويوظف منتجو هذه الأفلام في ذلك مساحة الحرية التي يوفرها الفضاء الافتراضي المتاح حالياً أمام الجميع.

صحيح أن مختلف فروع الفن والأدب من موسيقى وشعر وقصة ورواية وفن تشكيلي قد سبقت السينما في هذا الاتجاه؛ إلا أن السينما استطاعت أن تأتي بشيء مختلف - وإن كان هو في الواقع مزيجا من ذلك كله لكنه الأجمل- لأن الجميع يشترك في العمل (مخرج – مؤلف- ممثل- مصور...الخ) فيتألق النص الإبداعي في صورة حميمية راعشة

مليئة بنبض الحياة وإيقاعها.

يمكننا القول إن هناك حالة حراك سينمائي من خلال الأفلام القصيرة المختلفة في أساليبها ومدارسها والتي يجسدها الشباب في إنتاجهم دون دعم مادي، بل هم قد يضطرون أحيانا إلى بيع أشيائهم الخاصة من أجل تحويل فكرة يؤمنون بها ويدافعون عنها إلى منتج سينمائي، و قد ظهرت كثير من أعمالهم التي شاركوا فيها في مهرجانات عربية وعالمية على مستوى عال من الجودة؛ مما حدا بهذه المهرجانات لأن تعترف بأعمالهم وتضمنها في برامجها، كما هو الحال في أفلام الإمارات في دبي وفي مهرجان الخليج السينمائي الذي أحذ بيد العديد من المخرجين الشباب في الوطن العربي و الخليج.

وإذا كانت السينما صناعة ثقافية (وهي كذلك فعلا)؛ فإنها تحتاج إلى دعم حكومي بالدرجة الأولى، إضافة إلى ما تستحقه من دعم جهات متعددة أخرى، وخاصة تلك الجهات المهتمة بالثقافة وصناعتها والرأي العام وتوجيهه وتوعيته، ويتوجب على الجميع بداية دحض تلك الفرضية الخاطئة التي تقول: إن السينما مضيعة للوقت!! فلو استطعنا إيجاد السينما الجادة التي تخضع أعمالها لحلقات نقاش علمي من قبل المثقفين والأكاديميين؛ لأمكننا خلق حراك فني وثقافي يتناسب مع التحولات التي يعيشها الشباب والذي اتجه إلى قناة جديدة خاصة به هي تصوير الفيديو كليب والأفلام القصيرة التي تعالج قضايا غاية في الجمال والحس الوطني.

ربما يتجه أغلب الشباب إلى الأفلام والبرود كاست يتابعونها في منازلهم وفي تجمعاتهم وديوانياتهم وبعد العودة من العمل لتفريغ جرعات التعب والإحباط وتقييد الحريات والإهمال الذي يلقونه في الشارع ومكان العمل، هذه المشاهدة بالنسبة للشباب هي بمثابة استراحة ذهنية من هموم دفع إيجار الشقة وأحلام التطلع إلى تملك منزل (ذلك الحلم الذي ربما لن يتمكن من تحقيقه مدى الحياة حتى لو عمل ستة عشر ساعة في اليوم!) إضافة إلى أنها (المشاهدة) نوع من التواصل مع العالم!!

تكبر المدن وتتسع هذه الأيام، في الوقت الذي ما يزال فيه أغلب الشباب موظفين على الهامش، لم ينفض أغلبهم عن نفسه غبار الإهمال والإقصاء، مع غياب نوادي السينما التي يمكن للشاب الانضمام إليها، ينمون فيها مهاراتهم ويطورون ذائقتهم الفنية ويصوغون اتجاهاتهم الفكرية الراقية والسلمية. فأين من ذلك الجمعيات الأهلية التي يمكن للشباب من خلالها أن يتعلموا العديد من الأشياء كتقنيات كتابة السيناريو، أو التي تقوم باستضافة مخرجين وكتاب مشهورين ومؤلفين أو بعرض الأفلام وتخصيص الجوائز لتصقل مواهبهم؟؟ وأين الصالات والمسارح لمناقشة الأفلام الحائزة على الأوسكار؟ دعونا نجرب وسوف نرى كيف ستغص الصالات بجمهور الشباب؟

ولكن: هل يحق لنا أن نطالب القطاع الخاص بالمشاركة في تنمية مهارات الشباب وأن يستثمر أمواله في الإنتاج السينمائي دون وجود صالات العرض أولا؟ فقصة السينما في الوطن العربي تشبه قصة الدجاجة والبيضة، فبناء صالات للعرض ينتظر توفر الإنتاج السينمائي والإنتاج يعرقله غياب الصالات!

المشكلة لدينا هي – في الواقع – أكثر تعقيدا من ذلك بكثير؛ ففي بعض بلدان الخليج لا تتوفر النوايا الحسنة تجاه السينما، وبالتحديد من قبل المؤسسة الدينية!! وكأننا بحاجة إلى إثبات أن السينما اليوم مهمة! ولها دور كبير في صياغة اتجاهات الشباب وتشكيل ميولهم وقيمهم! مع أن رغبات الشباب والمعطيات الموضوعية قد تجاوزت هذه الشكوك بمراحل. لماذا؟ لأن الناس –وبكل بساطة –يمكنهم متابعة أي فيلم عالمي على القنوات الفضائية بحيث يصبح محور حديثها ويأخذ بنواصي جلساتها بعيدا عن القيود الوهمية التي تعيش خارج الزمن، (تشير دراسة حديثة إلى أن عدد الشباب مستخدمي الانترنت في السعودية يقدرون بنحو ١٣ مليون مستخدم) هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن عجلة الإنتاج السينمائي الشبابي سوف تتواصل دون إذن من أحد، وكأن ذلك احتجاج مبطن على بيروقراطية المؤسسات الرسمية.

السينما ظاهرة ثقافية وفنية آخذة في الصعود، وهي بحاجة إلى تمتين العلاقة بينها

وبين المتلقي (الشباب) ومن المهم التفكير في إقامة علاقة حوارية بين السينما والشباب؛ لأن ذلك يعد انتباها ذكيا من قبل (قادة الرأي) نظرا لغياب ساحات حوار يسمح باحتضان حاجات الشباب الفنية وعطشهم إلى الفن السابع ويشبع رغباتهم في استكشاف عوالمه الغرائبية والعجيبة.

في تقدير المنتج السينمائي أنه يمكنه تفجير نقاش عميق حول الأسئلة المشاغبة والمستفزة التي يسعى الشباب إلى طرحها من خلال الصورة السينمائية وما يدور في مضمارها من قضايا تتعلق بالحياة المعاصرة وجوانبها الإنسانية المتعددة سواء كانت معيشية أو وطنية أو فنية أو جمالية أو إبداعية. في هذا السياق علق الروائي والسينمائي (محمد ملص) في كتاب صدر عن جمعية الشجرة لإحياء الذاكرة والتراث الفلسفي: (إن القول بأن السينما أداة سمعية وبصرية بالنسبة لي هو تحجيم لها، فهي لا تخاطب العين أو الإذن فقط، بل هي شحنة كهربائية تكهرب كل الحواس التي يملكها الإنسان من أجل الوصول إلى وجدانه).

الطموح

Elganainy

الطــمــوح

« أصحاب الهمم العالية دائما يواجهون معارضة شرسة وعنيفة من أصحاب العقول البسيطة » .
ألبرت اينشتاين

هناك مشهد تاريخي غاية في الأهمية وله صلة وثيقة -في تقديري- بمسألة الطموح، فقد روي أن أعرابيا أكرم الرسول ﷺ وأراد عليه الصلاة والسلام رد الجميل؛ فقال للأعرابي: سل حاجتك؟ قال: ناقة نركبها وأعنز يحلبها أهلي (أعنز جمع عنز) فقال الرسول ﷺ: أعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل!! قالوا: يا رسول الله وما عجوز بني إسرائيل؟ قال: إن موسى عليه السلام لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلوا الطريق فقال: ما هذا؟ فقال علماؤهم: إن يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا. قال: فمن يعلم موضع قبره؟ قالوا عجوز من بني إسرائيل فبعث إليها فأتته فقال: دليني على قبر يوسف قالت: حتى تعطيني حكمي قال: وما حكمك؟ قالت: أكون معك في الجنة.

الأعرابي يطمح إلى تملك قطيع من الماشية!! والمرأة العاقلة تطمح في جنان الخلد وكأنها تلبي نداء خاتم الأنبياء وسيد البشر الذي كان يذكرنا بسقف عال من الطموح: (إذا سألتم الله فسلوه الفردوس الأعلى) وقول الإمام علي عليه السلام: (ما رام امرؤ شيئاً إلا وصله أو ما دونه) وقول أبي القاسم الشابي:

أبـارك في الـنـاس أهـل الـطموح ومـن يسـتـلـذ ركـوب الخطـر
ومـن يـتـهـيـب صـعـود الجبـال يـعـش أبـد الـدهـر بـين الحـفـر

والعلامة ابن منظور في معجمه (لسان العرب) يذكر أن الطموح: هو الارتفاع، فيقال بحر طموح الموج أي مرتفع الموج، والطموح هو السعي إلى المراتب العليا والآمال الواسعة، ومعاجم علم النفس تشير إلى أن الطموح عبارة عن المستوى الذي يتوقع الفرد أن يصل إليه على أساس تقديره لمستوى قدراته وإمكانياته، وبالنظر إلى واقع الحياة نجد أن التطور إنما يأتي على أيدي الطامحين الذين يسعون لتحقيق أحلامٍ وأمنيات سامية وغايات نبيلة، حيث كانت مبادراتهم دائماً وأبداً الدعامة الهامة لرقي مجتمعاتهم وشعوبهم؛ بل مثلت تلك الطموحات أساس التقدم العلمي والصناعي والتجاري والثقافي، فلو تخيلنا جدلا أن الحضارة البشرية تجمدت واكتفت بما لديها من إنجاز لكانت معيشة الناس في بيت من طين، و لأمضى الناس ليلهم في ظلام دامس يستخدمون زيت السراج وينتقلون بواسطة الدواب والبغال.

لكن موضوع الطموح ليس من الموضوعات السهلة، وما نطرحه هنا هو تشكيل من قراءة متأنية لتراثنا الديني وما استفدنا من مدرسة الموارد البشرية - وعلى الأخص كتابات «ستيفن كوفي» ومزجه ببعض التجارب الشخصية في الحياة -ففي تقديري أن الاهتمام بالطموح ما يزال في بداياته، و قد مرّ عبر عدة أجيال من الفكر حيث كان في بداياته مندساً بين ثنايا علم إدارة الوقت، وكان حينذاك يتمركز حول جدولة الأعمال، بمعنى أن يقوم الإنسان بالتفريق بين الأمور الروتينية والأمور غير الروتينية، فيقوم بحذف الأمور غير المهمة، فيحقق ما يصبو ويطمح إليه، ثم جاء الجيل الثاني من الاهتمام بالطموح وركز على ما يسمى بالأوليات، وكانت الفكرة أن يركز الإنسان على جدول الأعمال حتى يكشف من خلال خارطة الوقت عن الأعمال التي ليست على درجة عالية من الأهمية، أي (أن يبدأ بالأهم قبل المهم) فيحقق غاياته في الوجود، ثم جاء الجيل

الثالث واهتم بما يعرف بإدارة العمر، بمعنى أن يكتب الإنسان رسالته في الحياة (أي بدلا من أن يبرمج الإنسان ساعته بحسب تعبير كوفي يبرمج بوصلة حياته).

ومن خلال تواصلنا المباشر مع ألاف المتدربين والمتدربات نلاحظ أيضا أن هناك إشكالية قائمة تتمثل في الخلط بين الطموح والأهداف!!. الطموح رغبة قوية داخل النفس لتحقيق أمر ما وإنجازه فهو (أي الطموح) نوع من الاشتعال الداخلي، ولعله يمثل الخطوة الأولى والمحفزة لكل أشكال النجاح، بينما الهدف نقطة تراها أمامك وتريد أن تصل إليها وتنتهي؛ لذا فالطموح قد يتكون من عدة أهداف مرحلية تساعدك لكي تصل إليها في المستقبل، فالطموح مرتبط بما يتحدث عنه علماء النفس الدافع والحافز والباعث والرغبة؛ فرغم اختلاف المعنى فإنها تتضمن التحريك ودفع النشاط والإلهام، وكأن الطموح بوصلة ترشدك في الوصول إلى غاياتك. يقول الرسول ﷺ: (لو تعلقت همة أحدكم في الثريا لنالها) و يقول الإمام علي (رب همة أحيت أمه) و تقول لويسا ماي: (أجد إلهامي حيث تشرق الشمس، قد لا أصل إليها، لكن يمكنني النظر إلى جمالها وشق طريقي على ضوئها).

قبل الختام أرغب التوقف عند محطة تربوية تتصل بالنظريات المفسرة لحاجات الإنسان وعلاقتها بالطموح، ولعل أقرب النظريات هي نظرية محددات الذات Self-Determination Theory وتفترض هذه النظرية أن هناك ثلاث حاجات نفسية للإنسان وهي (الحاجة إلى الاستقلال والحاجة إلى الانتماء والحاجة إلى الكفاءة) وبما أن المجتمع يلعب دوراً هاماً في تحديد الطريقة التي يشبع بها الأفراد حاجاتهم، فمثلا في دول الغرب يسهل تحقيق الحاجة إلى الاستقلال؛ لأنها من ضمن القيم الناشطة هناك، وفي المقابل فإن الحاجة إلى الانتماء أو الصلة في البلاد العربية من القيم القوية؛ لذا فان الإنسان في وطننا العربي بحاجة إلى تنشيط حاجتين أساسيتين: الحاجة إلى الاستقلال والحاجة إلى الكفاءة فيكتمل بذلك مثلث الحاجات وفي الوقت نفسه يتحقق الشعار الذي نكرره دوما (إن تكن ذا همة تصل للقمة).

الفــراغ

الفــراغ

« عمل يجهد خير من فراغ يفسد ».
الإمام علي عليه السلام

الأصبغ بن نباته من تلامذة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب وكان يصف الإمام بقوله (كان يصل الليل بالنهار والنهار بالليل تعباً وعملاً) قال الأصبغ للإمام علي عليه السلام: يا أمير المؤمنين ألا تستريح؟ فقال الإمام: يا أصبغ كيف أنام؟ إن نمت النهار ضيعت رعيتي وإن نمت الليل ضيعت نفسي؟!

يمكننا أن نستنتج من الموقف السابق دروسا متعددة؛ فالكسل سيكولوجياً ناجم في أحد أسبابه عن الإحساس بالضعف والقصور أي: الإحساس بعدم جدارة الشخصية والعكس صحيح. فإن النشاط يفصح عن الإحساس بالثقة والكفاءة؛ مما يدفع صاحبه إلى ممارسة وظيفته بحيوية وتفاؤل؛ لأن الشخصية التي تتمتع بالصحة النفسية لا تجد لديها مجالاً للفراغ، أو كما قيل: الفراغ مفسدة؛ فالإنسان السوي لا يجتر مشاكله، بل هو مشغول عن ذلك بالعمل، بل إنّ بعض علماء النفس يعالجون مرضاهم بإشغالهم بـ(العمل) حتى لو كان ذهنياً أو عادياً لا قيمة اجتماعية له.

إن الشخصية الناجحة السوية (بالمعيار السلوكي) تتميز بفاعلية في حياتها بحيث تنشط في ممارسة وظيفتها؛ باعتبار أن رصيد مكونها النفسي مرتبط بمحددات (النشاط –الكسل) في الحياة بشكل عام؛ لذا فقد قال الفيلسوف البريطاني برتراند راسل (إن آخر

نتاج للحضارة هو أن يستطيع المرء ملء فراغه بذكاء).

وهناك تعاريف متعددة للكسل، منها ما تشير له كتب علم اجتماع الفراغ (هو الوقت الفائض بعد خصم الوقت المخصص للعمل والنوم والضرورات الأخرى من ساعات اليوم الأربع والعشرين) كما أن هناك تعريف طريف، حيث يقول جول رونار: الكسل هو الاعتياد على الراحة قبل التعب. وسئل فيلسوف من هو الكسول؟ قال: هو ذلك الشخص الذي لا يرغب المشي في الشمس حتى لا يحمل ظله!!. وبعض علماء النفس يحددون معايير للصحة النفسية بين الشخصية السوية والشخصية الشاذة وتتمثل في فارق لمظهرين سلوكيين هما: (الحب والعمل) وقد جاء في الدعاء عن الرسول ﷺ: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل.

والحقيقة أن وقت الفراغ يرتبط بمنظومة القيم لحضارة أية أمة من الأمم؛ لذا فهو يصطدم بالقيم السائدة في المجتمع، وباستقراء تاريخي سريع نرصد كيف أن ضعف التمسك بالقيم الأخلاقية الحاكمة في المجتمعات الإسلامية ينعكس على انهيار الحضارة؛ لذا كان سقوط الأندلس!! هنا نوصي أن يخضع وقت الفراغ في مجتمعنا للدراسة والتمحيص والتخطيط وأن ينظر في القيم الناشطة في المجتمع، ومن ثم تربط نتائج تلك الدراسات بقرارات وبسياسات التنمية الاجتماعية وبرامجها حتى لا يتحول وقت الفراغ إلى عشوائيات. وبالنظر إلى تجارب الشعوب وجديتها في العمل كتب (ميشيل ألبير) الفرنسي في كتابه (الرأسمالية ضد الرأسمالية): إن ١٠٪ من الذكور البالغين في اليابان يموتون بسبب كثرة العمل؛ لذا اقترحت الحكومة اليابانية تخفيض ساعات العمل من(٤٤) ساعة الى (٤٢) ساعة أسبوعياً، واللافت هنا أن أكثر الشعب الياباني قد خالف هذا المقترح!!. ومن أهم ما يميز تجربة كوريا الجنوبية عمل الناس هناك بلا كلل ولا ملل حتى إن عدد أيام الإجازة السنوية التي يتمتعون بها لا يتجاوز عشرين يوماً. ولكي لا نذهب بعيداً، فانه يمكننا ملاحظة العمل الدؤوب من قبل العمالة الوافدة في المملكة، فهناك (١٧) مليار ريال يتم تحويلها إلى الخارج سنوياً من الأراضي السعودية، وهي تمثل

حجم التحويلات المالية التي تبعثها العمالة الأجنبية إلى بلدانهم و (هي بالمناسبة تعادل ٣٧٪ من الدخل السعودي من النفط؟!) وكأن هذه العمالة تتبع قول الرسول ﷺ: (من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفوراً له).

كما أن اغلب الدول في هذه المرحلة وظفت وقت الفراغ للأنشطة التي تخدم مجتمعاتها، فاليابان -على سبيل المثال- تعتبر ذات نسبة متدنية من الجرائم (ومعدلات الجريمة في تناقص) بسبب النشاط التطوعي لمنظمات مكافحة الجريمة واستغلال أوقات الفراغ، حيث يوجد بها (٥٤٠) ألف وحدة ارتباط كما يوجد (١٢٦) ألف متطوع من الشباب في منظمة إرشاد الشباب، وكذلك النشاط النسائي المذهل (٨٠ ألف عضوة) إلى جانب جمعية الضباط المتطوعين، وقد تحدثنا ذات مرة بالتفصيل حول فكرة شرطة المجتمع.

الأمر اللافت هو أن التوصيات الدينية لا تكتفي بمجرد التحذير من الفراغ والحث على العمل، بل تربط بينه وبين الهدف العبادي. يقول الرسول ﷺ: نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ) ويقول الإمام علي عليه السلام: (إن الله ليبغض العبد الفارغ) ويقول: (من كسل عن أمر دنياه فهو عن أمر آخرته أكسل) وقال أيضاً: (الكسل يفسد الآخرة) هنا نلاحظ كيف تتصاعد التوصيات؛ فتربط قيمة العمل بالسعادة والنجاح في الحياة الدنيا.

وهناك محطة رائعة تتصل بفئة المتقاعدين عن العمل (وهي طاقة مسكوت عنها في مجتمعنا) فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أن أحد أصحابه وهو معاذ بن كثير كان تاجراً للألبسة، وقد أعرب للإمام عن رغبته في ترك العمل بالسوق لاكتفائه المادي قائلاً: قد هممت أن أدع السوق وفي يدي شيء. فقال له الإمام الصادق: (إذاً يسقط رأيك ولا يستعان بك على شيء).

هذا التوبيخ يستحثنا أن نتعلم من ذلك المشهد التاريخي درساً عظيماً، وهو أن

العمل له تأثير كبير على نضج شخصية الفرد وكمال رأيه وسعة تجربته، وكذلك له صلة بتنمية إمكاناته وقدراته الذاتية وفعاليته الاجتماعية، وأن الأمر لا يتعلق بأن يملك الإنسان المال فقط دون أن تكون له فاعلية في المجتمع! فقيمة الإنسان الحقيقية بقدر ما يعطي لا بقدر ما يملك.

القناعة

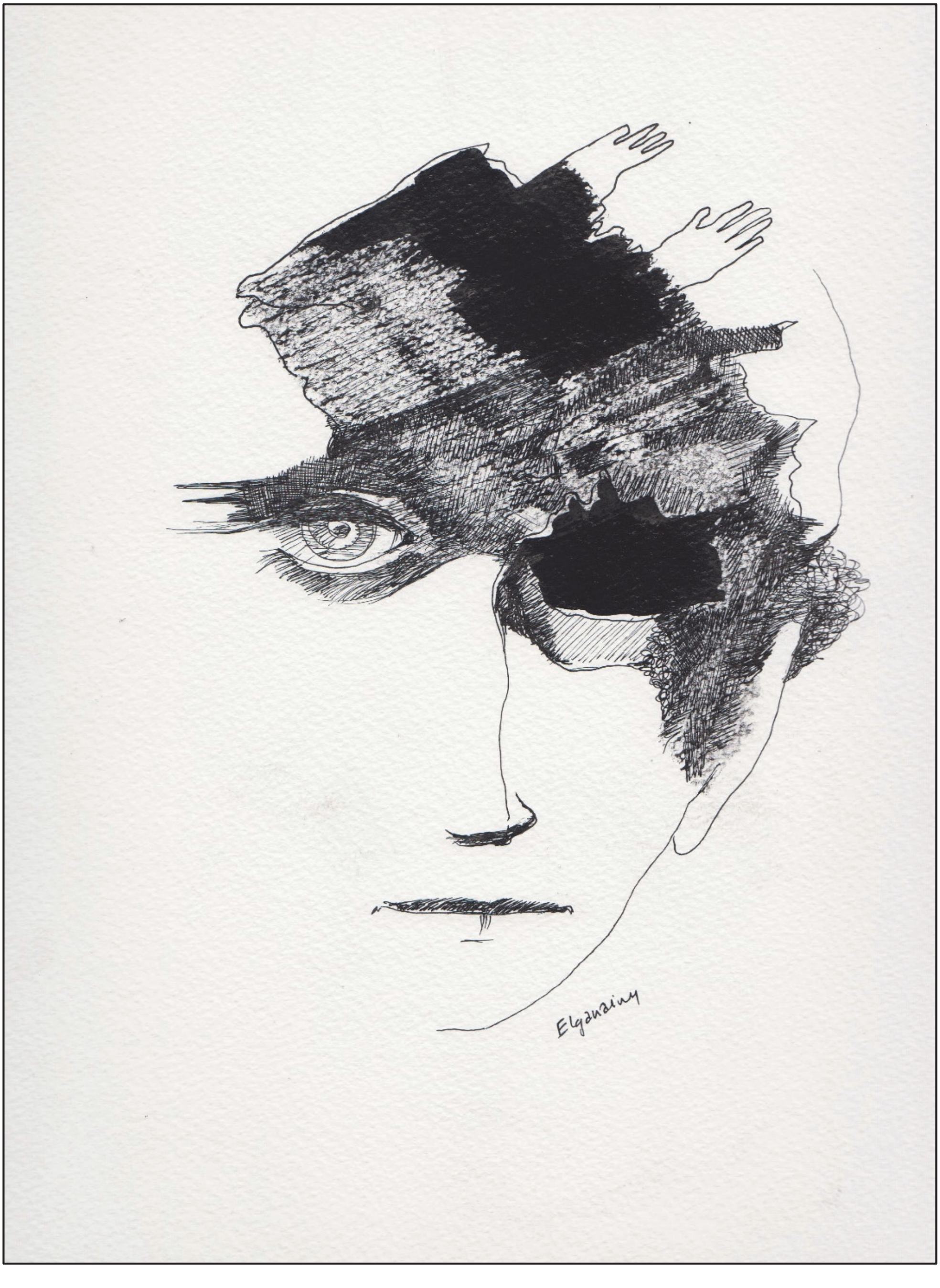

القناعة

> « كفى بالقناعة ملكاً وبحسن الخلق نعيماً » .
> الإمام علي عليه السلام

يقول سيدي ومولاي الإمام علي عليه السلام: (ثمرة القناعة الراحة، وثمرة التواضع المحبة) والقناعة ملكة نفسية توجب الاكتفاء بقدر الحاجة والضرورة من المال من دون سعي وتعب في طلب الزائد عنه، وهي صفة فاضلة يتوقف عليها اكتساب العديد من الفضائل.

وفي تقديري هناك خلط اجتماعي في مسألة القناعة وكأنها مسألة نسبية أو وقتية (أي ليست مطلقة) ولعلها تتقاطع مع الطموح، ولكنها ليست ضده، بل هي في النسق الصحيح أفضل منه؛ فالقناعة تريحك لكنها لا تغنيك، والقناعة قد تسعدك، لكنها لا تصنع منك إنسانا ناجحاً؛ لأن هناك فرق بين الإنسان السعيد والإنسان الناجح!!.

لماذا الحديث عن القناعة في هذه المرحلة إذاً؟

نحن نعيش في عالم استثنائي متخم بنزعة التملك المادية، هذه النزعة التي تجتاح العالم والمجتمعات، وهي -على ما أظن- تقدم مسكنات ضعيفة لقلق وأزمة الإنسان المعاصر، يزول تأثيرها كلما زاد استعمالها. إن الإنسان السلبي المتعطش للتملك لا العطاء هو أرخص ما نملك: لأنه -بلغة الاقتصاد- يقع في خانة (الخسائر) لا الأصول. وقد قيل: إن من يعتقد أن المال يفعل كل شيء فإنه يفعل كل شيء من أجل المال!! هنا نؤكد

على قيمة العطاء وقيمة العلم، ولعلنا جميعاً بحاجة إلى أقوال وحكم ونماذج سلوكية نتذكرها، ولا مانع من وضع بعض العبارات أمام أعيننا لكي نخفف من تأثير التوجه المادي (الرأسمالية المفروضة علينا) ولكي تنغرس تلك القناعات ونجعلها تستقر في نفوسنا وفي الجانب اللاوعي من عقولنا. ومن بين تلك العبارات الجميلة التي كنت وما أزال أشتهي أن تعيها عقولنا، قبل أن تعلق في مزارعنا ومصانعنا ومدارسنا وبيوتنا وهي حكمة (للإمام علي) يقول فيها: (أقل الناس قيمة أقلهم علماً) فليس هناك حدود للاستزادة من العلم.

القناعة إذاً محمودة في بعدها المادي. يقول سيد الخلق الرسول الأعظم ﷺ: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال فلينظر إلى من هو أسفل منه، فذلك أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم». والخلط يأتي عندما نضع القناعة مقابل الطموح يقول المتنبي:

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

ويقول أمير الشعراء أحمد شوقي في معرض ذم من لا طموح له:

شباب خنع لا خير فيهم وبورك في الشباب الطامحينا

دعونا في الختام ننحاز للقناعة بذكر موقفين معاصرين جديرين بالتأمل:

ينقل أن أحد الألمان بعد أن ربح عام ١٩٦٩ مبلغ نصف مليون مارك ألماني دخل مندوب الشركة إلى منزله ليسلمه المبلغ، فرفض الرجل استلامه، وأمام دهشة مندوب الشركة قال الرجل: إنني الآن في السابعة والستين من عمري وأعيش حياة هادئة وعندي ما يكفيني وحصولي على هذا المبلغ سوف يسبب لي التعاسة والقلق في شيخوختي!!

وينقل أيضاً أن (معلمة) في إحدى المدارس الأمريكية رفضت استلام راتبها الشهري لسنوات طويلة، حتى بلغ المتجمد لها أكثر من (١٠٠) ألف دولار؛ فاجتمع

مجلس الإدارة واحضروا (المعلمة) لمناقشتها في الأمر فقالت: إنني قانعة بمعاش بسيط ورثته عن أبي، وقد تعلمت في هذه المدرسة وأحببتها. وأنا الآن أرد الدين الذي طوقت به عنقي، وإنني أتبرع بكامل المبلغ لهذا المدرسة التي علمتني!!. سؤال للقارئ العزيز: هل هناك دروس مستفادة من هذه المواقف وأمثالها؟

السعادة كما الزهور تنتعش في الحدائق؛ فاجعل عقلك أرضاً خصبة مشبعة بالقناعة والتفاؤل.

اللاعنف في التغيير

Elganainy
2008

اللاعنف في التغيير

(القوة الناعمة)

« إن ثمرة اللاعنف هي المصالحة وإيجاد المجتمع الحبيب » .
مارتن لوثر كينج

يستمد معظم المدافعين عن اللاعنف مبادئهم من خلفية قائمة على اتجاهين: اللاعنف الديني الأخلاقي واللاعنف النفعي (البراغماتي) وفي هذه السطور سنحاول تأصيل أو التأكيد على أهمية اللاعنف في الفكر الإنساني بشكل عام، وفي خط بنية الأديان السماوية بشكل خاص.

بداية نقول: إن هناك قاسم مشترك في مشروع اللاعنف يقوم على أن سلطة الحاكم تعتمد على موافقة الرعية (عقد اجتماعي بينه وبين الرعية) وإذا فقدت هذه الموافقة بأي شكل من الأشكال السلمية يصبح النظام الإداري للدولة (بما يشتمله من مؤسسات كالجيش أو الشرطة) عاجزاً عن أداء دوره بسبب عدم الانصياع، والمعادلة تقول إن السلطة تعتمد على تعاون الآخرين، و اللاعنف يسعى إلى التقليل من سلطة الحاكم من خلال الانسحاب المتعمد من هذا التعاون والخضوع، هنا تشتد الحاجة إلى ضبط ولجم الدول باعتبارها أكبر الهيئات امتلاكاً لوسائل العنف (الجيوش الدائمة)، والحذر والتوجس من هذه القوة العاتية قديم. يقول الحسن البصري: إذا رأيتم شرطيا نائما عن صلاة فلا توقظوه. فإنه يؤذي الناس إذا قام فنومه أحسن) وعليه فإن اللاعنف هو وسيلة عادلة تسعى إلى تحقيق نتائج عادلة، وهذا ما أكدت عليه تكراراً ومراراً في لقاءاتنا مع

الشباب، والأمر يحتاج إلى تثقيف وإعداد وقيادة، فالبعض يرى في اللاعنف ضعفاً!! والبعض الأخر يخلط بين الوسيلة والهدف!!، فهل المظاهرات والاعتصام والاحتجاجات السلمية وسيلة أم غاية؟

قال غاندي: (الوسائل للنتائج كالبذرة للشجرة) وهي رسالة مجازية عميقة لأنصار اللاعنف في التغيير، باعتبار أن الوسائل السلمية تؤدي في نهاية المطاف إلى خلق مجتمع مسالم والعكس صحيح، وهذا ما عززته الدراسات النفسية في تفسيرها لظاهرة حلقة العنف المفرغة، فهي إن بدأت لا تنتهي، وقد نبه إلى ذلك عبد الغفار خان القادم من بيشاور وصديق غاندي حيث عملا معاً حتى عام ١٩٤٧ وهو شخصية لم تأخذ نصيبها من الاهتمام. إذ يقول: سأقدم لكم سلاحاً فريداً لا تقدر الشرطة ولا الجيش على الوقوف ضده، إنه سلاح النبي. لكن لا علم لكم به، هذا السلاح هو الصبر والاستقامة، ولا توجد قوة على وجه الأرض تستطيع الوقوف ضده.

اللاعنف هو إذا الآلية البديلة التي تنتج مجتمعا مسالما هي (قوة الحقيقة) أو (قوة المحبة) وهو الوسيلة التي حارب بها غاندي، هذا الرجل النحيل صاحب الروح العظيمة الذي انتصر على (الإمبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس) ودحر الاحتلال البريطاني عن شبه القارة الهندية، وكذا الحال بالنسبة لتلميذه مارتن لوثر كينغ الذي حرر السود في أمريكا من العبودية والتمييز العنصري بسبب اللون، وهو من الشموع التي أنارت الطريق ليكون اوباما الأسود رئيسا لأمريكا اليوم، وتبعه نيلسون مانديلا المعاصر الذي استطاع أن يتغلب وهو قابع في سجنه ٢٧ سنة على حكومة جنوب أفريقيا التي أذلت أهله وناسه لأكثر من قرن كامل عبر سياسة الفصل العنصري ضد السود.

إنني أدعو هنا إلى تبني (الاستراتيجية اللاعنفية) باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من بنية القيم والفكر الديني الإسلامي، وليس باعتبارها أداة أو أسلوبا براغماتيا نفعيا يركز ويهتم بفاعلية اللاعنف السياسية دون النظر إلى أي بعد ديني أو أخلاقي كما تفعل بعض الأحزاب السياسية، ويمكننا تتبع ورصد منهج اللاعنف في جميع الأديان الإبراهيمية

الثلاثة (الإسلام والمسيحية واليهودية) وكذلك في تقاليد الأديان الكبرى الأخرى (الهندوسية والبوذية والسيخية).

وأكثر ما تبدو هذه الإستراتيجية إشراقا في قول الحق جل وعلا: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت ٣٤]، وأدعو أن تكون هذه الآية بارزةً في مجالسنا ومصانعنا ومزارعنا ومدارسنا ومقرات أعمالنا، لكي تحفر بعمق في دواخلنا وتنعكس في مسلكياتنا ميدانياً، كما أشجع أن تحضر أطروحات الدكتوراه حول (اللاعنف في المنهج الإسلامي) حتى نقدم للعالم تشريح ثقافي دسم ورؤية تاريخية مشبعة بالنص، خصوصاً ونحن نرصد حالة الغياب اللافت للبحوث والدراسات المتعلقة باللاعنف في الساحة الثقافية؛ مما أدى بشكل غير مباشر إلى انتشار الفكر المتعصب وعقلية تكفير الآخرين والتفجيرات الإرهابية في الأبرياء المسلمين وغير المسلمين؛ ولعلنا بذلك نقرع الجرس أمام الغفلة الفكرية والأكاديمية لدور الجامعة والجامع في المجتمع.

إن عملية تتبع للاتجاهات اللاعنفية في الإسلام تبرز الجواب الرائع لأول صراع ذكر في القرآن هو جواب ابن سيدنا آدم حينما توعده أخوه بالقتل فقال له ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة ٢٨]، وقد دعم الرسول الأعظم هذا الاتجاه بقوله (كن خير ابني آدم) يقصد قابيل وهابيل، كما أطلق سيد البشرية شعارات تغرس في النفوس الميل إلى المسالمة وعدم اللاعنف حيث قال (تكون فتن، فكن فيها عبدا لله المقتول، ولا تكن القاتل) وقد قدم الرسول ﷺ القدوة والمثل عندما حول هذه الأقوال إلى ممارسات ميدانية في كفاحه اللاعنفي الناجح ضد قريش طوال ١٣ عاماً من دعوته وكان يكرر ﷺ مقولته المشهورة (ويح قريش أكلتها الحرب) وتبعه تلميذه الإمام علي عليه السلام حين أطلق حزمة من الشعارات: من عامل بالعنف

ندم. رأس السخف العنف. راكب العنف يتعذر مركبه.. الخ.

وتقرر أدبيات اللاعنف ما يزيد على (٢٠٠) طريقة تكتيكية لاعنفية، إلا أن هذا المنهج يختزن في تقديري جنبة أو مسحة أخلاقية يمكن متابعتها حتى يومنا هذا من خلال ممارسات مجموعات إنسانية متعددة تذهب إلى أن اللاعنف أعلى وأسمى نوع من أنواع العبادات بالمعنى الغاندي المتمثل في فلسفة (الامتناع عن الإيذاء) بل تذهب رؤية أنصار اللاعنف إلى (احترام الأعداء ومحبتهم) وهنا يتصاعد هذا المنهج ليكون أكثر قرباً إلى البعد الروحي في فهم اللاعنف ويتجسد ذلك في قول السيد المسيح عليه السلام في موعظة الجبل (أحبوا أعداءكم وصلوا من أجل الذين يسيئون إليكم) وقول (حكيم الكوفة) الإمام علي (أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون عدوك يوماً ما، وابغض عدوك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما).

ويرتقي هذا المنهج إلى مستويات عليا من السمو ومن نكران الذات حتى يصل الأمر إلى التعاطف مع مطالب الآخرين وتبني قضايا المحرومين. يقول جيفارا (إنني أشعر على وجهي بألم كل صفعة توجه إلى مظلوم في هذه الدنيا، فأينما وجد الظلم فذاك هو موطني). هنا يقف الجميع وقفة إجلال لـ (حلف الفضول) باعتباره أقدم وثيقة بشرية في مجال حقوق الإنسان، بل وعن طريقها يمكن الكشف عن الريادة العربية في إنشاء أول جمعية للدفاع عن حقوق الإنسان عالمياً، وقد بارك تأسيس هذه الجمعية الرسول الأعظم حين قال (لو دعيت لمثله في الإسلام لأجبت).

دروس رائعة من التاريخ ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين الذي أتمنى أن يكون الأقل سفكاً للدماء من سابقه، والأحفظ لكرامة الشعوب، والأروع في نصرة المظلوم، والأوسع للحريات، وأختم هذه السطور بسؤال ينعش الحلم: هل يصعب على حضارتنا العربية الإسلامية أن تبدع كائناً مثل غاندي، أو داعية لا عنف وتسامح مثل مانديلا؟ سؤال لشحذ الهمم!

المجاهدة في العلم

Elganainy

المجاهدة في العلم

« لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج » .

الإمام زين العابدين عليه السلام

بدأت وزارة التربية والتعليم تطبيق اشتراطات جديدة على المتقدمين للعمل في مجال التدريس، ومنها اجتياز اختبار المركز الوطني للقياس والتقويم، واجتياز المقابلة الشخصية، وبقى -في تقديري-أمر هام هو: اشتراط الوزارة على المعلمين والمعلمات -وهم على رأس العمل-التقدم للحصول على (رخصة مزاولة مهنة التدريس)!! لماذا؟ الجواب: حتى نضمن مواكبة النقلة التعليمية الحديثة.

فالتعليم رسالة قبل أن يكون مهنة، وقديماً كان يرى بعض العلماء -احتراما منهم للعلم -عدم جواز أخذ أجر من قبل المعلم؛ لأنها مهنة الأنبياء وعلى رأس هؤلاء العلماء الفيلسوف أبو حامد الغزالي. فماذا لو أن شريحة عريضة من المعلمين والمعلمات ظلوا بعيدين كل البعد عن مواكبة أحدث النظريات العلمية والتربوية وحضور المؤتمرات والاشتراك في المجلات والدوريات الإقليمية والعالمية؟؟

في هذه السطور نتوقف مع محطات من المجاهدة في حب العلم والقراءة والتأليف، فقد روى أن شخصا جاء إلى الإمام علي عليه السلام وقال له: أحس في نفسي أني أموت بعد ساعة. فقال له الإمام علي: كلنا نموت. فقال الرجل: ماذا أعمل في هذه الساعة؟ فقال الإمام علي: (اطلب العلم) هكذا كانت قدسية العلم، بل إن الأقدمين كانوا

يحتفلون بالمنجز العلمي بشكل جماعي، وعلى سبيل المثال فقد قام العلامة مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ) صاحب كتاب (تاج العروس من جواهر القاموس) بدعوة طلاب العلم بعد أن أنجز الجزء الأول من الكتاب وأطلعهم عليه واغتبطوا به وشهدوا بفضله وكتبوا عليه تقاريظهم نظماً ونثراً، ولما أكمل الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ) كتابه (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) أقيم لختمه احتفال عظيم، وكان الشيخ النراقي (١١٢٨هـ) صاحب كتاب (جامع السعادات) فقيرا لا يستطيع تهيئة فانوس للمطالعة، وكان يستفيد من ضياء الفوانيس الموجودة في الشوارع العامة. وكان السيد نعمة الله الجزائري(١٠٥٠هـ)، وهو من تلامذة العلامة المجلسي المقربين غير مقتدر ماديا أيضا؛ فكان يستفيد من ضوء القمر للمطالعة والكتابة والتأليف في ليالي الشتاء القارصة. وكان الشيخ الخوارزمي(١٦٤هـ) الملقب. (سراج الدين السكاكي) وصاحب كتاب (مفتاح العلوم) في بادئ أمره حداداً، وبدأ الدراسة وعمره ما يقارب الثلاثين عاماً، لكنه حاز قصب السبق بالجد والمثابرة. هؤلاء نفر نذروا أنفسهم لخدمة العلم، خاضوا أعباء الحياة بشظف العيش وقلة الموارد فأصبحوا منارات علمية.

وإذا توقفنا مع المعاصرين نبدأ بكتاب عبدالله الغذامي الجديد (اليد واللسان) والصادر عن المجلة العربية العدد (١٧٢) حيث يواصل الدكتور الغذامي تفكيكه للأنساق المختلفة خلف الظواهر الثقافية، ويقدم تشريحا لمفاهيم القراءة والأمية ورأسمالية الثقافة (ظاهرة الكتب الأكثر مبيعاً). ويستعرض الدكتور الغذامي ثلاثة كتب أولها: كتاب (لا تحزن) للشيخ عايض القرني الذي فاقت مبيعاته الثلاثة ملايين نسخة، ويعزو الغذامي الإقبال الشديد للقارئ العربي على كتاب (لا تحزن) إلى الحاجة النفسية المستجدة في منافحة حزنه وإلى شيوع الفردية التي تسللت إلى الشباب المعاصر بفعل الاحتكاك بالنمط الغربي ويخلص إلى أننا في حال كتاب (لا تحزن) لسنا أمام ثلاثة ملايين قارئ ولكن أمام ثلاثة ملايين حزين. أما الكتاب الثاني فهو كتاب (تصرفي كامرأة فكري كرجل) لمؤلفه الممثل الكوميدي والإعلامي سيتف هارفي الذي يعزف على وتر

العواطف والرغبة الملحة للمرأة في معرفة فكر الرجل وكيفية الاحتفاظ به.

أما الكتاب الثالث للمؤلف هربت نسون (الأستاذ بجامعة هارفارد) الذي استثمر قيمة الإيمان باعتبارها سبيلاً للشفاء، لكنه حتى يعزز كتابه بتجربة عملية ماذا صنع؟ اضطر الرجل إلى السفر إلى جبال الهملايا وقام بمصاحبة رجال الدين التبت؛ للاطلاع عن كثب على درايتهم في تحقيق سلمية النفس والبدن؛ ولكي ينقل للناس صدق تجربته، وعندما نطالع مقدمة كتاب الدكتور ناصر الشهراني (الكونفوشيوسية) الصادر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدارسات نرصد قوله: «إنه لقصور من علماء العرب المسلمين في دراسة كتب التراث الصيني وترجمتها، ولعدم وجود مراجع قمت برحلة إلى بلاد الصين أبحث عن كل ما يفيد في مجال موضوعي».

وهكذا فعل المفكر العربي هادي العلوي البغدادي حيث سافر أيضاً إلى الصين، وتعلم الصينية لكي يبدع في الكتابة عن فلسفتها، ومن المفارقات أن كتب هذا المفكر ممنوعة في جميع الدول العربية!! ومن المفارقات أيضا أن يمضي إلى مثواه الأخير ويدفن في مقبرة دمشق إلى جوار أترابه من العراقيين كالشاعرين الجواهري ومصطفى جمال الدين بسبب بطش الطاغية صدام والإعلام الرسمي في غفلته المقصودة، وهناك من تعاطف مع كل من ساند المعرفة كما فعلت غادة السمان، عندما قامت بإهداء روايتها (كوابيس بيروت) إلى عمال المطبعة حيث قالت: «أهدي هذه الرواية إلى عمال المطبعة الذين يصفون في هذه اللحظة حروفها رغم زوبعة الصواريخ والقنابل، وهم يعرفون أن الكتاب لن يحمل أسماءهم، إنهم الكادحون المجهولون دونما ضوضاء كسواهم من الأبطال الحقيقيين». وقد يصل التعاطف في التأليف حتى مع الجماد كما فعل تركي الدخيل في كتابه (ذكريات سمين سابق) حيث أهداها إلى الميزان ويقول (إلى الصامد أمام أوزان البشر يا من تتحمل البدين منهم والنحيف يا من تصر على ثقل دمهم قبل ثقل أجسادهم إلى الذي أبكاني وأفرحني وأحسن رسم البسمة على محياي) وقد يصل التعب والانشغال بالتأليف إلى درجة الفكاهة الساخرة كما فعل يوسف عوف في كتابه (هموم

ضاحكة) حيث قال في إهداء الكتاب: (إلى زوجتي خيرية وابني كريم اللذين لولاهما لجاء هذا الكتاب أفضل كثيراً).

لا شك أن المجاهدة والمواكبة في العلم يختزن جانبا روحيا وأخلاقيا وجانبا يتصل بقوة الشخصية والإصرار على تحقيق الأهداف مهما كان حجم الصعاب.

المسايرة الاجتماعية

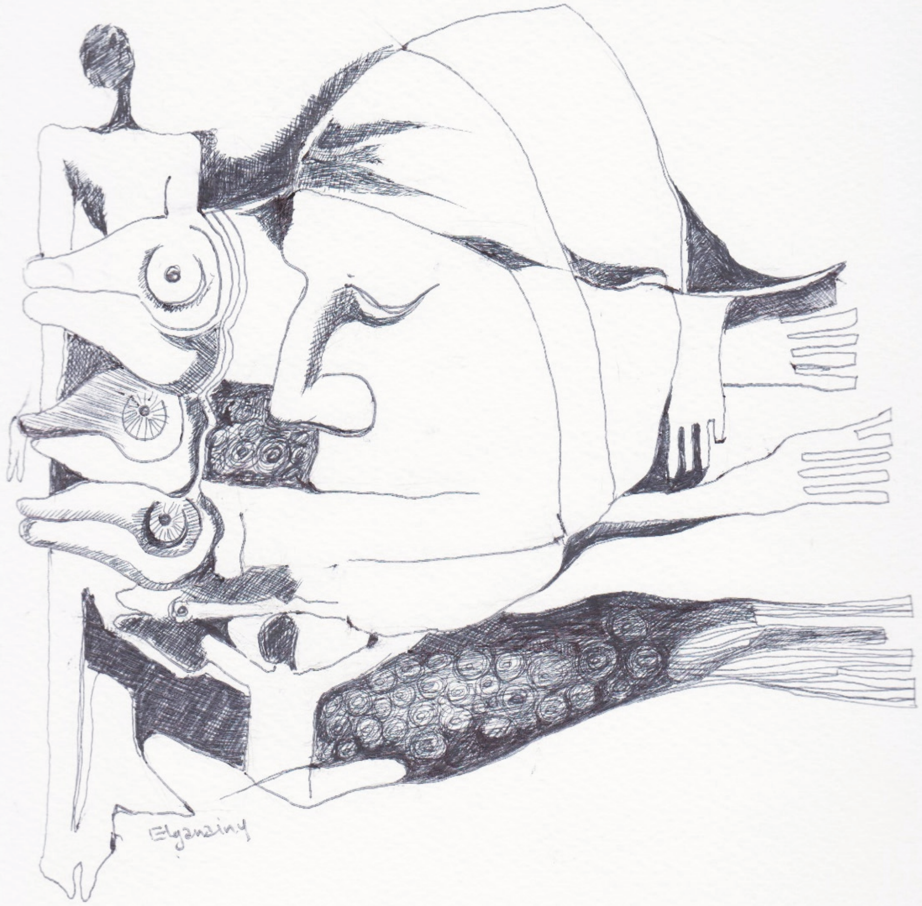

المسايرة الاجتماعية

(الاهتمام بالوقت مثالاً)

« لا تنس أبداً انه لا يسبح مع التيار إلا السمك الميت » .
مالكوم موجاريدج

لوكان لدينا شيء من الجرأة مع واقعنا الاجتماعي في محاولة نقده نقدا ذاتيا بناء؛ فإننا نقول إن من أبرز عوامل إهدار الوقت شيوع «المسايرة الاجتماعية» conformity وهو من الأمراض الاجتماعية الشائعة في الأسرة العربية، فالتنشئة الاجتماعية في بعدها الواسع -وبكل بساطة -ما هي إلا عملية تلقين الفرد قيم ومقاييس ومفاهيم مجتمعه الذي يعيش فيه، بحيث يصبح الفرد متدربا بارعا على إشغال مجموعة أدوار تحدد نمط سلوكه اليومي بما في ذلك عاداته وطريقة تفكيره وكيفية توزيع وقته، وكذلك أولوياته وقائمة نشاطاته ضمن جدوله الزمني.

تبدأ عملية (إهدار الوقت) في البداية تحت مظلة المحاكاة وتقليد أدوار الآخرين، فالطفل يرى ويلاحظ سلوك الكبار؛ فيتربى منذ الصغر على محاكاة سلوك من يحيطون به، فيكتسب منهم الأدوار الاجتماعية التي تدخل ضمن الترس الكبير لدوامة الحياة، فلا يستطيع الانفكاك من حالة الاندماج غير الواعي، خصوصا وأن الناس يخلطون بين النشاط والانجاز؟ فهناك أنشطة إنجاز وهناك أنشطة إهدار، وهو صاحب (العقلية السنجابية) فالسنجاب كثير الحركة لكنه قليل النتائج؛ لأنه لا يخطط للمستقبل، والجانب المرادف لهذه الحالة (ولعله سبب هام لتعميق هذه الحالة) هو غياب الدراسات العلمية

والاستفتاءات العامة في مجتمعاتنا العربية، والتي قد تساعد على بناء تصور يتيح للفرد والأسرة الانطلاق في علاقات سليمة لبرمجة نشاط مواردنا البشرية بما يوصلنا إلى منافسة الشعوب المنتجة والمتميزة. هنا يبرز السؤال: أين موقع الفرد من خريطة العطاء الإنساني وسط هذا الفضاء الاجتماعي؟

يمكننا القول إن الناس أربعة: الشخص الناجح الذي يوفق بين تطوير قدراته وملكاته، وفي الوقت نفسه يخدم المجتمع (خير الناس أنفعهم للناس) والنموذج الثاني المنشغل بذاته ولسان حاله يقول أنا ومن بعدي الطوفان، أما النموذج الثالث فهو المهمل لذاته المقصر في تنميتها وصقلها والحفاظ على درجة من الأداء المتزن بين تنمية ذاته وعطائه للناس، وأخيرا النموذج السلبي الذي تقبل أن يعيش حياة لا مناقب يؤثر بها ولا صفات حميدة تخلد ذكره إن حضر لا يعد و إن غاب لا يفتقد، وأبرز صفة لهذا النمط هو الانشغال بدائرة الأكل والنوم يقول لقمان (لا تكثر من النوم والأكل؛ فإن من أكثر منهما جاء يوم القيامة مفلسا من الأعمال الصالحة).

التوجيه بدفع الناس للمربع الأول (الشخصية الناجحة) حيث التوازن في تنمية الذات وخدمة المجتمع، مما يعني التجسيد الفكري للآية (إن خير من استأجرت القوي الأمين) أو لنقل (كفاءة + إخلاص)؛ لأن الإنسان يشكل الثروة الحقيقية لأية أمة –وعلى الأخص الشباب عصب تلك الثروة–ومن المهم التركيز على بنائه وتشجيعه في عالمنا الإسلامي والعربي؛ لان تلك الطاقات هي أقرب إلى التهميش في الوقت الذي نجد أن نفس هذه الطاقات عندما تتواجد في الخارج تفرض وجودها على مستوى مراكز الأبحاث العلمية المتقدمة وكبريات الجامعات في كل من أوروبا وأمريكا.

من المهم أن تحسن الأمة استيعاب أبنائها وتربيتهم على قيم الحرية وتنمية الذات وإدارة الوقت والمسؤولية الاجتماعية؛ فالدراسات الجاهزة من المؤسسات الأجنبية قد لا يعنيها واقعنا أو مستقبلنا، فعندما نطالع على سبيل المثال كتاب (إدارة الوقت: سلسلة فن وعلم إدارة الأعمال)وهو من الكتب المترجمة من قبل معهد الإدارة العامة، فإننا نجد

ما يقارب ستين مقالا وبحثا، لكننا لا نجد مقالا واحدا يتعرض للبعد النفسي أو الاجتماعي لإدارة الوقت في مجتمعاتنا، وهذا لا يعني عدم التفكير أو حتى مجرد محاولة التفكير للقيام باستفتاء عام حول إدارة الوقت وعلاقتها بالضغوط الاجتماعية في وطننا العربي، فربما نحصل على مؤشرات من هذه الدراسات والاستفتاءات قد تذهلنا، أو تقودنا إلى صياغة معطيات جديدة في واقعنا الاجتماعي والإداري.

ومن خلال الدراسات الجادة قد نستطيع أن نبشر بقدوم مدرسة عربية للإدارة تنطلق من خصوصيتنا الثقافية والاجتماعية على غرار المدرسة اليابانية (التي اهتمت بالوقت وأوقات الفراغ) فالتحولات الكبيرة في فكرة علم اجتماع الفراغ لم تأت إرهاصاتها إلا من خلال الدراسات، على سبيل المثال لا الحصر أجرت وزارة العمل الألمانية عام ١٩٧٣م استفتاء حول أيهما الأفضل والأهم للفرد. التمتع بأوقات العمل، أم بأوقات الراحة؟؟ وكانت النتيجة أن (٦٦٪) فضلوا أوقات الراحة على أوقات العمل.

هذه النتائج ليست للترفيه أو المتعة، بل هي التي جعلت الباحث الغربي يترجم دراساته إلى قرارات انعكست على المنظمة الإدارية والأسرة والأفراد، ويلاحظ الجميع أن بعض الدول بدأت تعيد النظر في إجازة نهاية الأسبوع، فعندما كان هناك يوم واحد للإجازة (يوم الجمعة) أصبح الآن يومين (الخميس والجمعة أو السبت) وهناك تفكير جاد لبعض الدول في جعل الإجازة ثلاثة أيام في الأسبوع!.

الدراسات العالمية تشير إلى أن الفرد عندما يبلغ سن السبعين، فإنه سوف يصرف هذا العمر كما يلي: (٢٤) سنة في النوم، (١٤) سنة في العمل، (٨) سنوات في الترفيه، (٦) سنوات في الطعام، (٥) سنوات في المواصلات، (٤) سنوات في النقاشات، (٣) سنوات في التعليم، (٣) سنوات في القراءة، (٣) سنوات في مشاهدة التلفزيون، (٥) شهور للعبادة!!. نعم الحياة العظيمة يجب ن تقاس بالأعمال، وليس بالسنين، وفي تقديري أن الدراسات والبحوث والاستفتاءات تقودنا حتما إلى معرفة شبكة القيم

الناشطة بين جيل الشباب، ومن ثم العمل على رسم خريطة للتغيير الثقافي وفق منهج علمي يركز على الدراسات الاجتماعية التحليلية.

هذه الدراسات طوعها الباحث الأجنبي، فتاريخياً كانت العائلات الأوروبية في الأربعينيات والخمسينيات تركز جل انتباهها على السكن والأثاث والكماليات، ولا تعير أهمية كافية لأجهزة وخدمات الفراغ والترويح، لكنها بعد ذلك بدأت تعطي أهمية بالغة لأنشطة وأجهزة وخدمات الفراغ (الترويح)، ومن ثم بدأ التحول الكبير و النوعي في قيم هؤلاء؛ فارتفعت أعداد الاستشارات العائلية في مجالات الثقافية وتطوير الشخصية من خلال أوقات الفراغ، حيث أخذت معظم العائلات والأسر (بغض النظر عن خلفيتها الاجتماعية والمهنية والثقافية) بالتركيز على ممارسة أنشطة ثقافية وتربوية، والذي من شانه أن يطور قابلية الإنسان ويفتح مواهبه ويعمل على توظيف قدراته الإبداعية الكامنة. لسنا هنا بصدد المقارنة بين مجتمعاتنا العربية والمجتمعات الغربية أو الشرقية، ولا حتى المفاضلة بينها، إننا نعتز بمجتمعنا وبثقافتنا الإسلامية، لكن لنا وقفة تأمل مع العادات والأعراف والتي قد نتفق على إنها ليست مقدسة!.

إن شروط التغيير (أو التبشير بمفاهيم وعادات جديدة) تبدأ على شكل أفكار ومفاهيم يتم تباحثها وتدارسها وإثارة الحوار حولها، لكي ننتقل بعد ذلك إلى حالة جديدة وصحية.

مازلنا هنا نتساءل: هل يمكننا أن نبشر بنمط جديد من العلاقات الاجتماعية يتم فيه مراعاة الانشغال الداخلي بتنمية الذات، وفي الوقت نفسه خدمة الناس؟ أو طرح مفاهيم جديدة في التدريب على «فن المعاشرة» وليس المسايرة؟ لأن المسايرة على حساب الإنتاجية والتنمية والعطاء الحقيقي هو وضع اجتماعي يغري الغرباء بانتهاك إنسانيتنا، ويزيد من لذة التفاعل الاجتماعي الفطري الغريزي (غير الهادف)، ويدعم الميل نحو

التسلية والتأنس والمؤانسة فقط!! ولطالما كررنا في قاعات الدرس والتدريب على مسامع الناس (إذا لم تكن لك خطة فأنت ضمن خطط الآخرين) ومسايرة الآخرين تعني أنك بلا هدف محدد وبلا خطة. اختم حديثي بنقطتين: النقطة الأولى: جميل أن نكون مستقلين عن الآخرين، ولكننا على وفاق معهم والثانية: أن نتذكر أن لكل شيء جلاء، وجلاء القلوب الموعظة.

المسؤولية الاجتماعية للشركات

ليست صدقة

المسؤولية الاجتماعية للشركات ليست صدقة

« أتظن أنني إن جلست يوماً معك على طاولة طعامك أشاهدك وأنت تأكل من صحنك ولا شيء يملأ صحني، أتظن أننا قد اشتركنا في العشاء؟ » .
مالكون إكس
زعيم المهمشين السود بأمريكا

عند تقديمنا لإحدى ورش العمل في المنطقة الشرقية، (تحديداً بالقرب من إحدى المناطق القريبة من الحدود الكويتية) ذكر لي بعض المتدربين أن نخبة من وجهاء تلك المنطقة ذهبوا إلى المسؤولين في الشركة اليابانية التي كانت تنقب عن النفط (وقد عملت لأكثر من عشرين عاماً) وهي عازمة على الرحيل نظراً لقرب انتهاء العقد معها، وقد اعترض الوجهاء على الشركة لأنها لم تقدم أي مشروع إنساني أو تنموي لمجتمعهم المحلي وهي الآن على وشك الرحيل؟ فماذا كان جواب المسؤولين بالشركة؟ علق المسؤولون: لماذا سكتم طوال هذه السنين؟؟

نعم الشركات والمؤسسات التجارية والاقتصادية والمالية سواء الوطنية أو الدولية ليست مؤسسات خيرية، بل إنها منظمات أعمال هاجسها الأساسي هو تحقيق أكبر عائد من الربح، ومن هنا برزت عالميا وبالتدريج فكرة وجوب «تذكير» هذه المؤسسات الربحية بمسؤولياتها الاجتماعية والأخلاقية تجاه المجتمعات التي تعمل بها. وقد عرفت الغرفة التجارية العالمية المسؤولية الاجتماعية (social responsibility) بأنها (جميع المحاولات التي تساهم في تطوع الشركات لتحقيق التنمية؛ وذلك لاعتبارات أخلاقية

واجتماعية بحيث تعتمد على المبادرات الحسنة من القطاع الخاص، سواء كانت شركات أو رجال أعمال دون وجود إجراءات ملزمة قانونياً؛ وبهذا فإنها تتحقق من خلال الإقناع والتعليم). أما البنك الدولي فقد عرف المسؤولية الاجتماعية أنها (التزام أصحاب النشاطات التجارية بالمساهمة في التنمية المستدامة من خلال العمل مع موظفيهم وعائلاتهم والمجتمع المحلي كله لتحسين مستوى معيشة الناس بأسلوب يخدم التجارة ويخدم التنمية في آن واحد). ويشير (بلوم ستروم) إلى تعريف المسؤولية الاجتماعية للمنظمات بقوله (هي الأفعال التي تلتزم بها المنظمات لحماية ازدهار ورفاهية المجتمع كله مع الاهتمام بالمصالح الذاتية للمنظمة).

انطلاقاً من أدبيات المسئولية الاجتماعية وتواصلا مع حديثنا بالمبادرة التي قام بها الوجهاء (والتي ندعمها ونؤيدها) نقول: إن المنطقة الشرقية تحتل الصدارة في ارتفاع نسب الإصابة بالسرطان على مستوى المملكة، كما أن الأطفال في هذا الجزء من بلادنا الحبيبة هم الأكثر إصابة باللوكيميا، إضافة إلى أن نساء المنطقة الشرقية هن الأكثر إصابة بسرطان الثدي، وقد لا توجد أسرة لم تفقد عزيزاً عليها بسبب هذا المرض الخبيث، نحن هنا نعيش وسط ملحمة بترولية تهتز لها الأسواق العالمية، والشركات العملاقة تسرح وتمرح و تملك المليارات، ولكنها للأسف لا تقدم إلا القليل اليسير (الفتات) للمجتمع المحلي لذر الرماد في العيون، أو تقدم أعمالا خيرية رمزية لا ترضي طموح المواطن، ولعل المدهش في الأمر أن بعض هذه الشركات يتشدق بالشراكة المجتمعية!. تلك المشاركة السطحية التي لا تتناسب وحجم الحاجة الملحة للناس، وهي بذلك تذكرنا بكلمة مالكوم إكس زعيم المهمشين السود حين قال: (أتظن أنني إن جلست يوما معك على طاولة طعامك أشاهدك تأكل من صحنك. ولا شيء يملأ صحني أتظن أننا قد اشتركنا في العشاء؟؟). هذه الشركات مدعوة ليس إلى بناء مستشفى واحد فقط، بل لبناء عدة مستشفيات للأورام السرطانية في جميع مناطق المملكة، وكذلك إنشاء عيادات متنقلة للاكتشاف المبكر للسرطان. والسؤال المنطقي أيهما أولى: بناء المستشفيات أم ضبط عملية

التلوث بسبب المصانع؟.

إن هذا الحيف والإجحاف الذي يتعرض له الناس من تلوث بيئي وارتفاع لمعدلات الأمراض والتهديدات الصحية وغياب الرقابة على العمليات الصناعية وما يتبقى من فضلات الإنتاج والذي يهدد البيئة البحرية، كل ذلك يدعونا إلى البحث عن أدوار تكاملية وأدوات رقابية تضمن سلامة المسيرة، ولدينا قناعة تامة أن الشيء الوحيد الذي يكبح جماح شهوة هذه الشركات لتعظيم وجمع الأرباح هو الضغط الاجتماعي والإعلامي والذي يجب أن يتزايد بهدف دفع هذه الشركات إلى الانخراط في هموم ومعاناة الناس لتحقيق أكبر فائدة للمجتمع. وقد نلاحظ أحياناً أن هناك شيئا من عدم الاكتراث واللامبالاة من قبل هذه الشركات للقيام بمسؤولياتها الاجتماعية؛ لذا نقترح أن تكون الجهات الرسمية ملزمة بوضع قوانين وأنظمة لتوفير شروط مناسبة لتشجيع هذه المنظمات على تحمل مسؤولياتها، وفي الوقت نفسه نرى ضرورة توسيع نطاق المشاركة في القرارات على مستوى مجالس الإدارة ليشمل أبناء المجتمعات المحلية ليكونوا أعضاء شرف في هذه المجالس. فهل ماتت الكفاءات؟ إذا لماذا يتم تغييب أبناء المنطقة؟ علما أن أهل مكة أدرى بشعابها. هذا الطرح ليس مثالياً؛ ففي العالم المتقدم معظم الشركات برهنت على مسؤولياتها الاجتماعية بإنشاء مؤسسات غير هادفة للربح بداخل هيكلها التنظيمي، بل ذهبت العديد من الشركات إلى التواصل مع الناشطين البيئيين وأنصار حماية البيئة للحصول منهم على الخبرة والأفكار وقامت بتقديم مبادرات لدعم ومساندة القضايا الاجتماعية.

في الحقيقة إن مفهوم المسؤولية الاجتماعية له أبعادٌ أكبر من مجرد أنشطة تطوعية أو تبرعات موسمية تشبه الصدقات، بل يتعداه ليصبح برامج وخطط واستراتيجيات، ويمكننا التأمل في تجربة محلية للمسؤولية الاجتماعية تبنتها أرامكو منذ عام (١٩٥٠م). كان الهدف من تلك الاستراتيجية هو تنمية قطاع الأعمال المحلي كوسيلة لتخفيض التكاليف وكنوع من المسؤولية الاجتماعية للشركة تجاه المواطنين بحيث مكنت عددا

كبيرا ممن تدرب على أعمال الشركة ليقوم بإنشاء شركته الخاصة بالتنسيق مع الشركة الأم. هذه الاستراتيجية كان لها زخمٌ من العطاء وعلى الأخص في توطين الوظائف في العديد من المدن في المملكة عبر شركة أرامكو والتابلاين من خلال خط الأنابيب الممتد من المنطقة الشرقية ماراً بأراضي شمال السعودية والأردنية والسورية واللبنانية لنقل البترول في تلك الفترة عبر الخليج إلى البحر الأبيض المتوسط.

من خلال تلك التجربة برز كبار رجال الأعمال في المملكة، لكن هناك تحولا، أو لنقل طرأ تغير شكلي على مسمى تلك التجربة حيث بدأ التوجه في هذه المرحلة لما يعرف بسياسات التعميد (outsourcing) بمعنى إسناد الأعمال الثانوية إلى مقاولين أو متخصصين خارج الشركة لكي تتفرغ الشركة وتقوم بالتركيز على أعمالها الأساسية (core business). صحيح أن سياسة التعميد في الدول المتقدمة أصبحت ظاهرة إدارية متميزة، بل أصبحت تخصصاً مثل المحاسبة والتسويق والمالية لأهميته؛ ولأن نقل الأعمال الثانوية إلى مقاولين أو إلى شركات خارجية بالتعميد له فوائد عظيمه أهمها أن ينصب جهدها على الأعمال الأساسية لوجودها.

لكن ثمة مجموعة تساؤلات على تجربة التعميد والمسؤولية الاجتماعية: ما هو مصير تلك التجربة؟ أين هذه الشركات؟ وأين دورها تجاه مجتمعاتها المحلية؟. ختاماً ارغب التذكير فقط بأضلاع ثلاثة أكد عليها مجلس الأعمال العالمي للتنمية المستدامة وهي: النمو الاقتصادي والتقدم الاجتماعي وحماية البيئة.

الوجه الآخر للرياضة

Elgandiny

الوجه الآخر للرياضة

> « الكرة لتركل وعقلك لتفكر به فلا تخلط بينهما ».
> مجهول

يشهد العالم في عصرنا الحاضر حركة متنامية في أبحاث ودراسات علم اجتماع الرياضة من منظور إنساني وحقوقي، ويبرز ذلك واضحا في اتجاهات واهتمامات الأفراد، كما يبدو واضحا أيضا في توجهات الدول والحكومات ومنظمات المجتمع المدني؛ بل وينظر للمنجز الرياضي على المستوى العالمي باعتباره أحد المؤشرات التي يمكن من خلالها قياس مستوى التقدم الاجتماعي والثقافي للمجتمعات.

وأرغب هنا أن أبرز الدور الإيجابي للحراك الإنساني (غير الملحوظ من قبل منظمات المجتمع المدني) في الحفاظ على نبل الأهداف التي تأسست من أجلها الألعاب الرياضية، وكيف أن هناك اتجاها جديداً آخذاً في التصاعد جعل غايته أن يوظف الرياضة لصالح الإنسان.

فعندما نتتبع على سبيل المثال حركة الرياضة للجميع (Sport for All) فإننا سنرصد بوضوح حجم البعد الإنساني لهذا الاتجاه حيث تتصدى هذه الحركة (التي انطلقت من أوروبا) للأفكار التي ترى أن تقتصر ممارسة الرياضة على أصحاب القدرات البدنية العالية وتدعم فكرة إشراك الفئات المحرومة كالمرأة (كما هو الحال في المجتمعات

العربية) وكبار السن وأن تشمل الرياضة جميع السكان حتى أولئك الذين يقيمون في المناطق البعيدة عن المدن الكبرى كأهل الريف والبدو و المناطق الرعوية والمعاقين.

وقد استطاعت منظمات المجتمع المدني أن تفرض على الحكومات دعم الرياضة مادياً و أدبياً تماماً، كما تدعم التعليم والصحة والضمان الاجتماعي، وتساير هذه الحركات المؤسسات الرياضية الحكومية ولا تتعارض معها، فقد قامت في ألمانيا حركة اهتمت بمن تخطوا سن الرياضة التنافسية أطلق عليها اسم الطريق الثاني (The second way) وقد تعمدت الحركة إشراك أكبر عدد ممكن من الطلاب الفقراء والعمال عبر مسابقات الجري المفتوح للجميع، كما ظهرت في أمريكا حركة الترويح للجميع واتخذت عدة أشكال منها الهرولة في الطرقات Jogging وهكذا انتشرت هذه الفكرة عالمياً بفضل جهود المنظمات الأهلية غير الحكومية.

نعم في المجتمعات الاستهلاكية يقوم الناس بتقليد نفس الأفعال دون إدراك أن هناك جهدا جماعيا وحراكا إنسانيا يتم بناؤه على أهداف مقصودة؛ حتى أصبح من المألوف مشاهدة الأفراد من الجنسين يهرولون في الطرقات الجانبية وعلى شاطئ البحر وفي الحدائق، وفي الصباح الباكر وقبل مغيب الشمس. وفي هولندا ظهرت حركة مشابهة أطلق عليها حركة تشكيل أو تهذيب الجسم (Trim action) وكانت تهدف إلى خدمة القرى البعيدة عن المدن. وفي إسبانيا ظهرت حركة التمرينات المتحركة حيث تجري السيدة ومعها طفلها في عربة الأطفال فلا تعيقها تربية الأبناء عن حقها في التدريب واللياقة. وفي السويد تم ابتكار فكرة الجواز الرياضي (Sport Passport) والذي يسمح لحامله بممارسة الرياضة مقابل مبلغ زهيد او رمزي بغض النظر عن السن والجنس.

وقد ذهبت هذه الحركات الإنسانية كذلك إلى فرض رقابة حقوقية من خلال اعتبار الرياضة إحدى قنوات العمل المهني (للأقليات) لإكسابهم حقوقهم وإعطائهم مكانتهم الاجتماعية التي تليق بهم؛ فالسود -على سبيل المثال -كانوا يعانون الاضطهاد في جنوب إفريقيا العنصرية وأمريكا إلى عهد قريب حيث يتعرضون للتمييز و التفرقة، (خصوصا

فيما يتعلق بحقوقهم في التمثيل الرياضي لبلادهم) مما دعاهم إلى الهجرة واللعب تحت أعلام دول أخرى.

وتفوق الأقليات رياضياً من الظواهر الجديرة بالدراسة، حيث وسعت الأقليات من أدائها الرياضية إلى آفاق أبعد بكثير من حجمها الاجتماعي، وهذا يذكرنا بحديث أستاذ الجيل الواعي المرحوم السيد فضل الله عندما قال: (على الأقليات أن تعوض قلتها بالجودة). ويمكننا – على سبيل المثال –ملاحظة تفوق الأقليات الهندية في زيمبابوي وجنوب إفريقيا، وكذلك تفوق الأقليات المسلمة في الإتحاد السوفيتي في رياضة المصارعة.

والمعركة بالنسبة لمنظمات المجتمع المدني لم تنه بعد! لماذا؟

لأن هناك توجهاً خطيراً يعمل على تشويه الرياضة وتحويلها من وسيلة للترويح والتواصل بين الشعوب إلى صناعة مالية ومصالح متشابكة للشركات التجارية، ويمكننا القول إن الألعاب الأولمبية حافظت على أهدافها وصمدت أمام محاولات إخضاعها للغة المال، كما صمدت طويلاً أمام فكرة (تسليع الرياضة) أي تحويلها إلى سلعة كالاحتراف وممارسة الرياضة من أجل المال؛ لكنها - للأسف - رضخت أخيراً وسمحت بقبول الاحتراف.

هذا الحذر من الرأسمالية الأمريكية البشعة يذكرنا بحركة (احتلوا وول ستريت Occupy Wall Street) حيث يعترض المحتجون في الحركة على تلك القلة من الأثرياء التي تستحوذ على المال والسلطة، ويقول المحتجون إن هناك في أمريكا (٤٠٠) فرداً يملكون أكثر من نصف الثروة، كما تقول الحركة نفسها إنها حركة التسعة والتسعين ٩٩٪ في المائة مقابل ١٪ واحد في المائة من أصحاب الثروة والنفوذ وتدعو إلى توزيع أكثر عدالة للثروة.

حركات المجتمع المدني لها العذر أن تتوجس خيفة من الرأسمالية الوقحة؛ فرغم أن

كرة القدم هي لعبة العصر؛ إلا أن لاعبيها من الفقراء والمعدمين، ففي قائمة ضمنتها مجلة (الإيكونوميست) في دراسة عن الرياضة عام ١٩٩٧م يتبين أنه ليس هناك ضمن قائمة الأغنياء لاعب كرة قدم واحد!! مما يعني أن اللاعبين الفقراء مرتع خصب للتجارة الدولية بالبشر.

والجميل أنه على هامش فعاليات دورة الألعاب الأولمبية ألمقامه في لندن ٢٠١٢ استطاعت الجمعيات غير الحكومية أن تفرض عقد مؤتمر حول المجاعة في العالم، وجاء في الرسالة التي أشرفت على تحريرها جمعيه (أنقذوا الطفولة) الخيرية (تمثل دوره الألعاب الاولمبية فرصه نادرة لتغيير مستقبل ملايين الأطفال حول العالم، خاصة وأن أعين المليارات من بني البشر مصوبة نحو لندن التي يتجمع فيها العديد من زعماء العالم). وفي لفته إنسانية غاية في الروعة عبر عدد من نجوم اولمبياد لندن ٢٠١٢، عن دعمهم لحمله تهدف للقضاء على سوء التغذية في الدول الفقيرة وذلك في رسالة مفتوحة قبيل افتتاح نفس المؤتمر.

وهكذا يستمر الحذر والمواجهة الخفية بين الجمعيات الإنسانية وبين فكرة (تثوير المال والأعمال) حتى لا تتحول الرياضة من وسيلة للترويح والمنافسة الشريفة إلى مصالح متشابكة للشركات العملاقة التي تدفع الملايين مقابل الإعلانات ومقابل حقوق النشر التلفزيوني حيث دخلت بعض الأندية إلى البورصة على فرضية أنه كلما زاد دخل الأندية ارتفعت مرتبات اللاعبين، وعليه فالحركات والمنظمات الإنسانية لا ترغب أن تنتهي الرياضة إلى نفس ما انتهت إليه بعض الأنشطة الإنسانية الأخرى، و لكن هناك إصرارا على أن الرياضة كما بدأت بأهداف نبيلة وشعارات جميلة في سبيل الترويح و الهواية ومن أجل توطيد العلاقات بين الشعوب؛ فانه يجب عليها أن تستمر كذلك.

نحن جميعا في حاجة إلى تقييم المسيرة؛ ليس من أجل الحكم عليها فقط، بل من أجل فهم ما يجري ومحاولة أن نكون فاعلين في الحراك الإنساني لا متفرجين سلبيين؛ لكي نساهم في رسم مستقبل زاهر للبشرية. والشباب اليوم مدعوون ليس لمعرفة اللاعبين من

أمثال مارادونا وبيليه، ولا أن سعـر اللاعـب البرازيلي رونالــدو ٣٠ مليون دولار.... الخ. بل هم مدعوون مع ذلك أيضا لمعرفة أن هناك وجها آخر للرياضة ينبغي أن يتعرفوا عليه عبر شعار البارون الفرنسي المتوفى عام ١٩٣٦م (بيير دي كوبرتان) مؤسس الألعاب الأولمبية ومصمم رموزها (كالعلم والشعار) و هو نفسه الذي كتب القسم الأولمبي (وهو قسم تربوي يحلف به الرياضيون عند الافتتاح) وهو المصلح الاجتماعي الذي ترك في فرنسا أكثر من (١٥) ألف صفحة من الكتابات التربوية، والذي أوصى بدفن قلبه في مدينة اوليمبيا، وهو من أكد على إدخال الرياضة في المدارس وأن تستخدم القفازات في الملاكمة، وهو أيضا باعث الألعاب الاولمبية من مرقدها، و يحلو لنا أن نختم بنص كلمته الرائعة التي تهذب الصراع و المنافسة بين البشر والشعوب حين قال: (أهم شيء في الألعاب الأولمبية ليس الانتصار، بل مجرد الاشتراك وأهم ما في الحياة ليس الفوز بل النضال بشرف).

تأثير الديوانيات
في نشر الوعي السياسي

Elganainy

تأثير الديوانيات في نشر الوعي السياسي

« في وقت الخداع العالمي يصبح قول الحقيقة عملا ثوريا » .
جورج اورويل - روائي بريطاني

يرجع وجود الديوانيات في الجزيرة العربية إلى مئات السنين حيث استخدمت القبائل العربية مصطلح المجلس في حال اجتماع كبار رجال القبيلة لمناقشة قضايا ذات أهمية تحتاج إلى قرار. ثم تطور المفهوم في فترة من الخلافة الراشدة واستخدم لفظ الديوان بدلاً من المجلس ليكون حلقة اتصال بين الخليفة والمسلمين، ثم استبدل العرب هذا المصطلح تدريجياً لكي ينسجم مع التركيبة القبلية في الجزيرة العربية والخليج.

بعد استقرار الناس في المدن وتشكل الدولة الحديثة قامت مختلف الفئات الاجتماعية بإيجاد ديوانيات لها لكي تناقش القضايا المتعلقة باهتمامات أفرادها؛ خاصة تلك التي تهم جميع قطاعات المجتمع. ويمكننا تصنيف أو تقسيم الديوانيات إلى ثلاثة أنواع، ويشمل هذا التصنيف كل ما يقع تحت مصطلح الديوانية من ألفاظ مرادفة كلفظ منتدى أو ملتقى أو أسماء أحد ليالي الأسبوع أو اسم شخص معين سواء كان مسئولا أو وجيها اجتماعيا على النحو التالي:

١- الديوانيات الثقافية السياسية: ويقوم أصحابها بدعوة المفكرين من داخل البلاد أو خارجها؛ لإلقاء محاضرات وإقامة الندوات والأنشطة الاجتماعية.

٢- الديوانيات الرسمية: وتطلق هذه الديوانيات على من يكون أصحابها من المسئولين في الحكومة أو أعضاء المجالس النيابية والبرلمانية، ويكون روادها عادة من الطبقات الاقتصادية الاجتماعية العليا في المجتمع.

٣- الديوانيات الترفيهية: ويقوم رواد هذه الديوانيات بمشاهدة التلفزيون ولعب الورق ومناقشة القضايا والأخبار الرياضية والأمور الثانوية مثل الأسواق وأسعار الأسهم.

إن أهمية الديوانية ووظائفها تشجعنا على الاهتمام بدراستها باعتبارها ظاهرة اجتماعية مهمة، وعلى القيام (بدراسات متنوعة) لمعرفة تأثيرها على عملية المشاركة السياسية ونشر الوعي؛ باعتبار أن هذه المؤسسة- غير الرسمية -تلعب دوراً مؤثراً في الحراك المجتمعي؛ وباعتبار أن هذه المؤسسات ذات نكهة وخصوصية خليجية، ولعل التجربة تتميز ببعدها عن الانقسامات الحادة التي تشهدها المجتمعات العربية الأخرى التي يكون فيها للأحزاب سلطة ونفوذ واضحين.

والصورة ليست دائما وردية، فبعض الديوانيات تحول دورها من مجالس للعلم والثقافة والأدب إلى أماكن للهروب من المسؤوليات الاجتماعية وقضاء وقت بعيداً عن مطالب الزوجة والأولاد، لكننا في الوقت نفسه لا يمكننا التنكر لهذه المؤسسة الشعبية التي لا توجد عليها قيود قانونية أو تشريعية، بل ما تزال تمارس دورها لما فيه صالح الأوطان وفي هذا السياق أوصى الأديب اليوناني كاز انتزاكيس أن يكتب على قبره (لا أطمع في شيء ولا أخاف شيء.... أنا حر) ويقول مالكوم اكس: (نريد الحرية العدل المساواة بأي طريقة) لذا فلتمارس الديوانيات دورها في تنشئة المواطنين، ولتناقش القضايا الساخنة والمستجدة، والجميع يتذكر كيف لعبت الديوانيات أيام احتلال الطاغية صدام للكويت دورا في حشد الجهود والطاقات لمقاومة الاحتلال، وهي ما تزال تمارس مهمتها في دفع الناس إلى الاهتمام بالشأن العام.

مساحة الكتابة لا تسمح بالتوسع، لكن حتى نكون عمليين أحببت أن أسلط الضوء على أمر هام يتعلق بتكثيف الدراسات لهذه الظاهرة وتعزيز الاهتمام بالرأي العام، وأشير هنا إلى أنني سبق وأن قمت بدراسة لقياس رضا المواطنين عن خدمات أحد أجهزة القطاع العام، وكانت العينة مكونة من آلف من الذكور والإناث كما قمت بتقديم تصور مبدئي Proposal لأكثر من مجلس بلدي في دورته الأولى بهدف قياس رضا المواطنين عن التجربة الانتخابية. وهي دعوة للباحثين خاصة وان لدينا -ولله الحمد- كم كبير من الباحثين الذين لديهم الوقت والكفاءة لتقديم مثل هذه الدراسات حتى ننتقل من مرحلة الرؤى النظرية إلى مرحلة التشخيص العلمي، وفي الدول المتقدمة تقوم المؤسسات البحثية بأنشطة تجسد المعنى السابق، ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر ما يقوم به مركز الدراسات الدولية، وكذلك معهد التقنية في ماسوتيتس والمركز الوطني لسلامة الأداء السياسي Center For Public Integrity.

لا شك أن هناك صعوبات في المشهد الحالي أبرزها أن الحراك الديمقراطي في مجتمعات مجلس التعاون يتم بطريقة بطيئة جدا فيما يشبه حركة الديناصورات. يقول زعيم النضال السلمي في القرن العشرين (نيلسون مانديلا) في كتابه رحلتي الطويلة من أجل الحرية: (الحرية لا يمكن أن تعطى على جرعات؛ فالمرء إما أن يكون حرا أو لا يكون حرا) كان لنا تحفظ على المثقفين التيئيسيين؛ فإننا نشير إلى أمر مشجع و هو الفعل الميداني للمثقفين والناشطين الاجتماعيين الذي جعل من الديمقراطية الخليجية غير مشروطة أو هبة تأتي من أعلى إلى أسفل، بل تشكلت من قاعدة الهرم الاجتماعي (أي شعبياً) فهذه الديوانيات قامت بدور مؤثر وبمبادرات وطنية شملت قضايا هامة كالتسامح والتنوع المذهبي والحريات وحقوق الإنسان وقامت بدور اجتماعي عظيم كمبادرات التواصل بين مختلف التيارات والقوى الوطنية وتخفيف الاحتقان الطائفي عبر استضافتها لرموز دينية ووطنية من مختلف الأطياف لكسر الحواجز النفسية، كما عمدت بعض الديوانيات إلى توثيق نشاطها عبر إصدار العديد من الدراسات والكتب التي تعالج ذات

القضايا.

في تقديري فإن الديوانيات هي أحد أشكال مؤسسات المجتمع المدني، بل هي من الآليات الهامة التي تسهم في تسريع الحراك الديمقراطي خليجياً؛ فتأثيرها كبير في رفع مستوى وعي وثقافة إنسان هذه المنطقة من وطننا العربي. الكبير وهنا أستذكر عبارة جميلة لـ (طه حسين) يقول فيها: (إن بناء مكتبة وسد العجز الذي يعانيه الطلبة خير عندي من بناء جامعة، فإن عشرة طلبة مثقفين خير عندي من مائة خريج سطحي).

التدريب على تحمل المسؤولية

Elganainy

التدريب على تحمل المسؤولية

> **« العمل لا ينبع من التفكير بل من الاستعداد لتحمل المسؤولية » .**
> **ديثريت بوهيفر**

للأسد في اللغة العربية العديد من الأسماء والصفات التي نجدها في شعرهم أولاً، ثم في المصادر التاريخية والأدبية العديدة بعد ذلك، ومنها على سبيل المثال ما جاء في قول ابن خالويه: إن للأسد خمسمائة اسم وصفة، وقد اعتادت العرب أن تسمي أبناءها تفاؤلاً بما ترجو أن يكونوا عليه من السمات حينا، أو بما تظن أنه يخيف الأعداء حينا آخر؛ لذا نجد أن أسماء بعض الأبناء جاءت على هذه الشاكلة: ليث – أسد – ضرغام – أسامة – حيدرة. وهلم جرا.

في هذا السياق روي أن رجلا كان له ولد اسمه ضرغام يصحبه إلى الغابة ويدربه على صيد الحيوانات والطيور حتى صار شاباً قادراً على العمل. فنصحه أبوه أن يعتمد على نفسه ويخرج للصيد وحده. خرج الشاب حاملا زاده ذاهبا إلى الغابة، وفي طريقه رأى ثعلباً هرماً جائعاً، وبينما هو يحدث نفسه متسائلا: كيف يحصل هذا الثعلب الهرم على قوته؟. أحس (ضرغام) بحركة غريبة؛ فاختبأ خلف شجرة فإذ بأسدٍ يجر فريسة أكل منها حتى شبع، ولما انصرف الأسد زحف الثعلب ليأكل مما خلفه الأسد من الفريسة.

عجب الشاب مما رأى، وقال في نفسه: لقد أصاب الثعلب رزقا بلا كد ولا تعب. فلماذا أبتعد عن أهلي وأتحمل متاعب السفر ومشقة العمل في طلب الرزق؟ عاد الشاب

إلى أبيه وقص عليه ما رأى ليبرر أسباب عودته. فقال له أبوه معاتبا: أريدك يا بني أن تكون أسداً تأكل من فضلاتك الثعالب، لا ثعلباً تأكل من فضلات الأسود، وتذكر يا بني أن العرب تقول: «لكل امرئ من اسمه نصيب». فهم الشاب مقصد أبيه؛ فخجل من نفسه وعاد من جديد ليعمل ويكد ويحصل على رزقه معتمداً على نفسه.

تذكرنا هذه القصة بقول روي أليكساندر في تعريفه لمفهوم تدريب الناس في مؤسسات العمل على تحمل المسؤولية إنه: منح السلطة للآخرين للقيام بمهام محددة تحت إشرافك، ولعلها رسالة إدارية تربوية نسوقها للآباء لتدريب أبنائهم على تحمل المسؤولية، ليس عبر النصائح والخطب الرنانة، بل بالتطبيق العملي حيث يقوم الأبناء بالتنفيذ ويقوم الآباء بالإشراف والمتابعة.

في كتابهما الرائع (القيادة تحدٍ) يقول جمس كوزس وباري بوستر: إن موقف الموظف هنا يقول: كنت أعرف أنني سأتمكن من عمل ذلك، فيما تقول توقعات الرئيس: كنت أعلم أن بإمكانك عمل ذلك.

هكذا تبنى الثقة بين الوالدين والأبناء على تكليف واضح ودقيق ومحدد للمسؤوليات، ثم يتم بعد ذلك التدرج في تحمل المسؤولية شيئاً فشيئاً حسب قدرات الأبناء. ومما يلاحظ غالبا أن التوجيهات تكون عامة؛ مما يخلق نوعا من سوء الفهم بين الأطراف. ومثال ذلك أنه عندما يقول الأب للابن: لا تتأخر في العودة للمنزل!!. فإن هذه توجيهات مبهمة وغير محددة. فما هي الساعة التي يعتبرها الأب تأخيراً؟. وعندما يعود الابن في وقت يراه الاب متأخرا بينما يراه الابن غير متأخر ينشأ الخلاف. لماذا؟ لأن التعليمات كانت غير واضحة وغير محددة.

وأود أن أقف هنا مرةً أخرى مع كتاب (القيادة تحدٍ)؛ لأنه وثيق الصلة بموضوع (تحمل المسؤولية) و هي الخطوة الأولى لصناعة قادة جدد من جيل الأبناء (جيل الشباب) الذين يمثلون – في تقديري – الرصيد الاستراتيجي للمجتمع، فقد كان هدف

المؤلفين (كوزس و بوستر) من نشر كتابهما معالجة قضايا اكتشفاها أثناء بحث أجرياه على أ ناس عاديين حققوا «مستويات قيادية ممتازة». علماً أن البحث شمل ثلاثة آلاف قيادي في مجالات متعددة ومن مستويات مختلفة، وفي ظني أن مبادئ الكتاب مفيدة على مستوى الأسرة والمجتمع ومؤسسات العمل أيضا، وقد حدد المؤلفان نتائج هامة لهذا البحث تشمل عناصر أساسية للقيادة هي: القدوة والريادة والإلهام وإقناع الآخرين وبناء رؤية مشتركة وتمكين الغير من الفعل وتشجيع الجرأة والإقدام.

أتساءل هنا: من منا لا يطمح أن يرى أبناءه يُشهد لهم بالصلاح والنجاح؟ لذا فإنني أنصح الآباء بفتح قنوات حوار إيجابي ومرن وبشكل هادئ مع الأبناء؛ فالحوار لغة القرآن ومنهج العصر. يقول كوزس: «الذي اكتشفناه، وأعدنا اكتشافه هو أن القيادة ليست ملكا خاصاً لعدد قليل من الرجال والنساء ذوي الشخصيات الكاريزمية»، ويضيف بوستر: «يقوم الناس بإنجازات مذهلة من خلال إطلاق القائد داخل كل منهم».

وعلى صلة بحديثنا حول تحمل المسؤولية نورد ما أشارت إليه دراسة مقارنة معاصرة بين المجتمعين التركي والأمريكي وهو أن الدافع للإنجاز لدى الأمريكان أعلى منه لدى الأتراك. وكشفت الدراسة عن السبب الذي يقف وراء ذلك السلوك وهو العلاقة الإيجابية بين المسؤوليات التي يتحملها الطفل في البيت وبين الدافعية للإنجاز. فكلما زادت واجبات الإبن نحو البيت ارتفع مستوى دافع الانجاز عنده؛ وبذلك يمكن القول إن دفع الطفل إلى الاعتماد على نفسه وتكليفه بأداء مهامه والتأكيد على استقلاله في وقت مبكر من حياته يؤدي إلى ثقته بنفسه. يقول الإمام علي عليه السلام: (إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته).

نخلص مما سبق إلى أن الأب إذا كان حصيفا وراغبا في تدريب أبنائه على تحمل المسؤولية فعليه القيام بأمرين:

- أولا: أن يقوم بتدريب الأبناء بالتدريج على تحمل المسؤولية وأن يمنحهم هامشا من الحرية للتطبيق، ثم يتابع صقل قدراتهم ومهاراتهم شريطة أن لا يغفل عن تطبيق مبدأ هام هو (تقبل الأخطاء الناجمة عن التجريب).
- ثانيا: منح الثقة مع التقدير والثناء على الإنجاز. تماهياً مع توجيهات علماء الأخلاق (شكر المنعم واجب عقلا) أو كما في المأثور (قل للمحسن أحسنت). ويؤكد د. غازي القصيبي في كتابه (حياة في الإدارة) أنّ منح الثقة سر عظيم!! وفي ذلك يقول: افتح المجال أمام الآخرين وسوف يذهلك ما تراه من منجزاتهم.

نشير ختاماً إلى أنه إذا كان أحد الأبوين مأزوم الشخصية فاقداً للثقة في نفسه وفي قدراته ومعلوماته؛ فإنه لا يمكن أن يثق في الآخرين، والأمر في غاية البساطة ففاقد الشيء لا يعطيه. وقد استنتج الباحثان (كوزس وبوستر) من دراستهما الثرية التي تحدثنا عنها هذا الأمر وعبرا عنه بقولهما: إن الزعماء لا يسيطرون بل يمكنون الآخرين من التصرف. وأرغب تذكير الآباء إلى أنه إذا دربت بنيك على فن الصيد فلا تنس أن يكونوا أسوداً.

تفاعل الطلاب مع الأحداث الجارية

تفاعل الطلاب مع الأحداث الجارية

(قضية القدس أنموذجاً)

« يتوقف مصير كل أمةٍ على شبابها » .
الفيلسوف غوته

قرر ذلك المعلم في مدرسة الأغنياء (أبناء الذوات) أن يفرض على الطلاب موضوع إنشاء (تعبير)؛ فأمرهم أن يكتبوا حول موضوع (الفقر) فكتب أحد التلاميذ من طبقة الأغنياء الارستقراطيين: كان يا ما كان في سالف العصر والزمان (أسرة فقيرة)؛ الأب فقير والأم فقيرة والأولاد فقراء، حتى السائق فقير وطباخ الأسرة فقير والشغالة التي تخدم الأسرة فقيرة وحارس المزرعة فقير....)!! دعابة محزنة لكن هكذا تفعل الأسوار المغلقة على فكر التلاميذ.

والسؤال هنا: ماذا سيكتب طلابنا لو أمرهم المعلم بالكتابة عن قضية القدس؟

في الحقيقة إن هناك أدوات كثيرة لجعل (قضية القدس) حاضرة في وجدان الأبناء، ولكننا سوف نقصر الحديث في آليتين اثنتين: (المنهج المدرسي) و (الإعلام ممثلا في الفيلم الكرتوني).

المناهج الدراسية في وطننا العربي آلة تفريخ معزولة عن النسيج الاجتماعي، حيث ظل الطالب وما يزال يشعر بأن المدرسة موقع جامد للمعرفة يقبع فيه ساعات طويلة يومياً، ويدرس لسنوات عديدة فيمتلئ عقله بكم هائل من المعلومات النظرية داخل

فصل محاصر بأربعة جدران وخلف سور عال لا يرمز لغربة المكان فقط، وإنما يرمز أيضاً لحالة من العزلة بين المدرسة وبين الواقع الاجتماعي.

وإذا استخدمنا أدوات الباحث في ميدان الأنثروبولوجيا الثقافية، فإننا نستطيع اعتبار أسلوب تعامل أي شعب من الشعوب مع قضاياه الوطنية يقع ضمن ما يعرف بالثقافة المقنعة (Cover-Culture)؛ فهي عبارة عن مجموعة من القناعات وراء أنماط السلوك والتفكير؛ بمعنى أنها تجسد التصور القائم خلف تلك المسلمات.

وقد نستعين هنا بتصنيف (ألف لنتون) في الأبعاد الثلاثة للثقافة: أولاً: الجانب المادي والثاني: أنماط السلوك الظاهرة والثالث: هو الذي يتضمن (المعرفة والقيم والاتجاهات) المشتركة بين الأعضاء.

فالجانبان الأول والثاني يؤلفان الثقافة الظاهرة، والجانب الثالث يعبر عن الثقافة المقنعة، والمدرسة حاضنة عظيمة للقيم وأداة هامة لغرس الثقافة التحتية لقضايانا الوطنية، وأبرز هذه القضايا على الإطلاق هي قضية القدس، ولعل أبناء جيلنا يتذكرون كيف أن (ريال فلسطين) الذي غرسته المدرسة في الماضي علمنا كيف نتقاسم الرغيف مع إخواننا في فلسطين المحتلة، وهي تجربة وطنية ما تزال حاضرة في الوجدان، وصدق الشاعر رشيد الخوري (الشاعر القروي) حين قال واصفاً حبة القمح:

وكأنما الشُّق الذي في وسطها ... لك قائلٌ نصفي يخص أخاكا

المدرسة العربية يمكنها ان تتحرك ضمن النسيج الاجتماعي بقاعدة (فن الممكن) كأن تقترح برنامجًا معرفيًا تحت عنوان(القدس في قلوبنا) ليكون مدخلاً للولوج إلى العالم الثقافي والمعرفي للطالب؛ فالأخبار والأحداث التي تسيطر على الرأي العام العربي والإسلامي متعددة، وفيها ما يخص القضية الفلسطينية بما تحمله من صور بشعة ودموية وحصار مؤلم لأهلنا في فلسطين المحتلة، هذا البرنامج المقترح يجب أن يتضمن أسساً

وضوابط على أن يقدم للطلاب أثناء الحصة المدرسية أو خارج حدود الزمن المقرر للدراسة، بحيث تتوفر له آلية للتنفيذ من خلال التنسيق والتشاور المسبق مع المعلم وإدارة المدرسة، ويفترض أن يتضمن برنامج (القدس في قلوبنا) أهدافاً ووسائل مقترحة، فيكون البرنامج بمثابة الجسر الذي يربط الطالب بالحدث باعتبار المدرسة تشكل معيارا أخلاقياً وإسهاما ثقافيا باذخا في مختلف مناشط الحياة. وإذا اقتنعت المدرسة بهيكل الفكرة فيمكن بعد ذلك أن تغذيها وتكسوها شحماً ولحماً عبر الحوار مع أصحاب الرأي والفكر التربوي النير.

أما البعد المتصل بقوة الفيلم فإن هذا العصر هو عصر التخطيط المنفتح على عالم الحياة، فمن المعلوم أن المؤسسة الإعلامية في أنحاء العالم استطاعت أن تحتوي التلاميذ بينما وقفت المؤسسة التربوية لدينا عاجزة مشلولة لأن المرئي أقوى.

على سبيل المثال: نجح اليابانيون في نشر لعبة كرة القدم عن طريق مسلسلات الرسوم المتحركة (كابتن نوباسا)، الذي ظهر عام ١٩٨١م وهو المعروف في العالم العربي باسم (الكابتن ماجد). جاء المسلسل بعد دراسة شاملة لاتجاهات الشباب الياباني الذي كان يكره، أو لنقل لا يعرف شيئًا عن كرة القدم، لكن المؤسف أن الأسرة العربية تفاعلت مع المسلسل (الكابتن ماجد) كمصدر للتسلية فقط، وكانت تشتريه كما تشتري العلب الجاهزة من السوبر ماركت. اليابان وعبر هذه الآلية الثقافية الخطيرة (الفيلم) استطاعت ان تجعل من كرة القدم لعبة شعبية محبوبة، ويلاحظ الناس الآن على مستوى العالم كيف تفوق الفريق الياباني كرويا. بل إن اليابانيين ذهبوا في هذه المرحلة الحالية إلى أبعد من ذلك، حيث بدأ مسؤولو الاتحاد الياباني لكرة القدم في التعاون مع الجهات الإعلامية من أجل إنتاج شخصية كرتونية جديدة تهتم بنشر لعبة كرة القدم في الأوساط النسائية باليابان، وقد كان أول تدشين رسمي لهذه الشخصية في مؤتمر صحفي في العاصمة طوكيو بحضور اللاعبات اليابانيات في نهائي كاس العالم للسيدات عام ٢٠١١ بألمانيا.

على المستوى العربي هناك محاولات في الخفاء لطمس (قضية القدس)، واعتبارها قضية تخص الفلسطينيين فقط، فقد تمت دراسة مقارنة بين بطل مجلة (سمير) في فترة الحرب الممتدة بين (١٩٦٧م -١٩٧٣م)، وبطل المجلة نفسها في فترة السلم الواقعة بين (١٩٧٩م -١٩٨٥م)، فوجدت الدراسة أن شخصية الإنسان العربي (البطل)، في الفترة الأولى تتسم بالوضوح، فهو رجل شجاع حارب عدوه الإسرائيلي وانتصر عليه عام ١٩٧٣م ولكنه غير واضح الانتماء في الفترة الثانية، فهو أجنبي في المقام الأول، ونادراً ما يكون عربيا في المقام الثاني!! إضافة إلى أنه مسل ويضحك الأطفال وبوليسي ورياضي، ولكنه قلّما يهتم بقضاياه الوطنية أو أمور الدين والعلم.

المشاريع الإعلامية اليوم -للأسف-لا تقوم على منهج علمي، أو تتكئ على جهد ودراسات بحثية عميقة، بل باتت المشروعات سطحية، كإطلاق قناة تلفزيونية والذي لا يتطلب سوى حفنة نقود لتضمن حيزاً في قمر صناعي عربي أو غربي. وهذا المشروع لم يعد حكراً على الحكومات والدول، بل أصبح متاحاً للمؤسسات والأفراد. وقد يقتصر الأمر على توفر مكان صغير حتى لو (شقة متواضعة) تستوعب أجهزة التصوير وتسمح بتبادل شرائط تعرض تلقائياً، أو تقنية بث لمتحاورين على منضدة يواجهون آلة التصوير، ولن نتحدث عما يقال في هذه القنوات!!.

رسالة (القدس في قلوبنا)، واخزة وتنحاز إلى رفض مشروع إهمال القضية وتشتيت الانتباه إلى قضايا هامشية: فكل بوصلة عربية لا تشير إلى القدس مشبوهة.

حملة وطنية من أجل السلام

حملة وطنية من أجل السلام

> « عندما تجد السلام داخل نفسك تصبح شخصاً من النوع الذي يمكن أن يعيش في سلام مع الآخرين ».
> مايلدر ليست نورمان

تحاول الدراسات الميدانية المعاصرة التي تتناول العنف الإجابة على بعض الأسئلة الهامة، كما تحاول أن تجد تفسيرا لبعض الممارسات التي تتسم بالعدوان، ولماذا تكون شعوب أو قبائل أو جماعات أقل عدواناً وأكثر تسامحا من غيرها؟ لا سيما وأن ذلك يحدث في الوقت الذي لا يختلف فيه التركيب البيولوجي بين مجموعة بشرية وأخرى؟ ومع أن بعض المناطق لم تدخل حربا مباشرة؛ لكننا قد نجدها تعيش ثقافة العنف على مستوى اللاشعور الجمعي؛ لذلك لم يكن مستغربا أن يقفز دخل الفرد في كوريا الجنوبية (١٣) مرة خلال ثلاثين عاما، بينما دخلت منطقتنا (الخليج) ثلاثة حروب خلال الفترة ذاتها!. مقارنة جميلة أليس كذلك؟

بداية نقول: إن الفهم العميق لظاهرة العنف يتطلب دراسة المناخ الاجتماعي الذي يقع فيه العنف، خصوصاً وأنه يتخذ أشكالا متعددة في المدرسة والأسرة والجامعة وفي السجون وفي الحياة العامة والأندية الرياضية والأحزاب السياسية والدينية وفي أنماط الحركات الاجتماعية، ونتائج العنف باهظة الثمن لأنها قد تنتهي بارتكاب الجرائم كالقتل والسرقة والنهب والثورة والتمرد والعصيان والإضراب والتحريض والاعتداء على الممتلكات، بل وبما هو أخطر وأسوأ.

وينظر أغلب الباحثين إلى العنف باعتباره مرضاً واضطراباً اجتماعياً أكثر من كونه جريمة؛ فهو مؤشر أو جرس إنذار على المجتمع أن يحسن قراءته، ومن ثم البحث عن أسباب تشكله بهدف معالجته، ولكي نفهم ظاهرة العنف فإنه يجب علينا معرفة دوافعها الكامنة في شخصية الفرد الذي يلجأ إلى العنف أو التطرف، وكذلك بواعثها الاجتماعية. ومع أننا نميل في كتاباتنا إلى التخفيف من اللغة الأكاديمية للحفاظ على سلاسة و رشاقة الطرح، فإنه لابد أن يفرق القارئ بين مصطلحات ضرورية لفهم ظاهرة العنف من بينها: (العدوان Aggression – العدائية Hostility – العنف violence – المشاغبة bullying)، ولعل الفرق بين مصطلح و آخر هو فرق في الدرجة (الكم) وليس في (الكيف) ويكمن الخط الرئيس المشترك بين هذه المصطلحات في وجود إيذاء يقع على الآخر (أو الآخرين)وبصورة متكررة ومتعمدة، و هذا يشمل الإيذاء اللفظي والجسدي معا.

والحقيقة أن هناك رأيان في تفسير وفهم ظاهرة العنف: الأول تذهب إليه المدرسة التي ترجع أسباب العنف إلى العوامل البيولوجية، ويقف (فرويد)في مقدمة علماء النفس الذين يؤكدون بيولوجية العنف و أن توجيه العدوان –سواء إلى الذات أو إلى الآخر– هو بمثابة تصريف لطاقة العدوان الداخلية (والتي لا تهدأ إلا بالاعتداء إلى الخارج)،و الرأي الآخر: يتمثل في المدرسة السلوكية وتشمل نظرية (الإحباط –العدوان) للعالمين (دولارد و ميلر) ونظرية التعلم الاجتماعي للعالم (باندورا) حيث قام الأخير وزملاؤه بالعديد من التجارب التي تؤكد ما يعتقدون به من تعلم السلوك العدواني. وأن التربية وأساليب التنشئة الاجتماعية تؤدي دوراً مهماً في تعلم الإفراد للعديد من النماذج السلوكية، وأن عامل التقليد والمحاكاة يتدخل في تشكيل السلوك العدواني.

ولو أخذنا العنف المتلفز مثالا على نظرية التعلم الاجتماعي؛ فإننا سنلاحظ أن الأطفال (أثناء المشاهدة مثلاً) يميلون إلى تقليد الغير أكثر من سواهم. ومعلوم أن مشاهد العنف في التلفزيون يقوم بها أشخاص يمتلكون القدرة على التأثير، أو على اقل

تقدير لهم جاذبية لدى الأطفال. وقد أوضحت دراسة أعدها المجلس الوطني لشؤون الأسرة في الأردن أن ذروة المشاهدة في الفضائيات العربية تقع في الفترة المسائية حيث تعرض مشاهد عنيفة بمعدل خمسة مشاهد في الساعة؛ مما يعني أن طفلا عمره (١١) عاما يكون قد شاهد نحو ٢٠ ألف مشهد قتل أو موت وأكثر من ٨٠ ألف مشهد اعتداء، خصوصا و أن معدلات المشاهدة لدى الطفل العربي عالية، وهذا ما أشارت إليه أيضا دراسة علمية أجرتها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) لمعدلات مشاهدة الأطفال العرب للتلفزيون، حيث بينت أن الطفل العربي يقضي أمام شاشة التلفزيون (٢٢ ألف) ساعة قبل أن يبلغ الـ١٨ من عمره، مقابل (١٤ ألف) ساعة يقضيها في المدرسة في نفس الفترة، كما أشارت نفس الدراسة إلى أن المعدل العالمي لمشاهدة الطفل للتلفزيون قد زاد مع بداية القرن الحادي والعشرين؛ ونتيجة للانتشار الواسع للفضائيات من ثلاث ساعات وعشرين دقيقة يومياً إلى خمس ساعات و٥٠ دقيقة.

في هذا السياق أشير إلى أننا قد سبق وأن دعونا في أكثر من محطة فكرية وملتقى أعلامي إلى «حملة وطنية ضد ألعاب العنف الالكترونية»؛ لأن هذه الألعاب هي جزء هام مما يعرف بـ(الثقافة التحتية للعنف)، وهذه الألعاب إضافة إلى خطورتها فإنها تشكل الخطوة الأولى لتقبل القتل وسفك الدم، كما أنها تقدم مادة لتعلم فن الإجرام منذ الصغر، وتزيد من استعداد الطفل (عماد المستقبل) لارتكاب التصرفات المؤذية. كما أشرنا إلى إحصائيات تقدر الكلفة الاقتصادية لسوق الألعاب الالكترونية في السعودية بنحو (٧٠٠) مليون ريال (١٨٧) مليون دولار في السنة. ولم نعر ذلك –على خطورته – أي اهتمام؛ في الوقت الذي اختصرنا فيه الرقابة الأخلاقية على جسد المرأة ومظهرها!! لذلك فلا بد أن نتذكر جيدا أن علاج العنف والتطرف ينبغي أن يتخذ شكل الإصلاح الاجتماعي social reform؛ بل وأن يصل أحياناً إلى العناية بإعادة تأهيل أو تربية الشخص العنيف.

وهنا تجدر الإشارة إلى لفتة سيكولوجية لا شعورية هامة في ظاهرة العنف تتعلق بما يعرف «بالعدوان المنقول أو المزاح»، فقد ينقل العدوان أو يزاح من الموضوع الذي يتعين أن يسقط عليه إلى موضوع آخر، وعلى سبيل المثال فإن الطفل الذي تقمعه أمه أو تضربه يقوم بضرب زميله في المدرسة أو جاره في السكن أو حتى الحيوانات كالقطط وغيرها، وكذلك الزوج الذي ينال التعنيف والقسوة من قبل رئيسه في العمل فانه قد يكظم غضبه حتى يعود إلى المنزل لينفجر في وجه زوجته لأتفه الأسباب، أو قد يزاح العدوان بشكل أكبر حتى في عالم السياسة؛ فالحركات والأحزاب التي لا تستطيع مواجهة الدولة قد تتحول إلى ممارسة العنف والعدوان على فئة اجتماعية معينة تمثل الحلقة الأضعف في المجتمع!

ختاما أتوجه بسؤال لا يصب في دائرة اللاشعور الجمعي، بل في دائرة تنمية الوعي: ألا يعتقد القارئ الحصيف أن الفيلسوف نيتشة كان متشائماً حين قال: إن وجود أناس لطفاء يتصفون بالرقة هي حالة شاذة بين البشر؟؟

سيكولوجية الحاسد والمحسود

سيكولوجية الحاسد والمحسود

(آداب التفوق)

« استحقر من لا يُحسد ولا يُقذف واستصغر من بغير الكفر والضلال لا يُوصف » .
أبو حامد الغزالي

عندما تكون قريبا من شخصية كاريزمية فلن تشعر بالطاقة تتفجر منها فقط، بل أن هذه الطاقة تنتقل إليك مثل العدوى الإيجابية؛ لأن أمثال هؤلاء يعرفون إلى أين هم ذاهبون فيأسرون الآخرين بتميزهم وحماسهم. لكن هذه الشخصيات الجاذبة -بالتأكيد- لم تحقق نجاحاً عظيماً دون صعوبات؛ لذا قيل (لا يرمى بالحجر إلا الشجر المثمر) وتفسيرها يسير وسهل فالحجر: أداة الحساد والشجر المثمر: نجاح المحسود.

ظاهرة الغيرة المهنية أو الحسد ترتبط غالبا بأجواء المنافسة، والمنافسة في اللغة مشتقة من النفاسة وهي المبادرة إلى الكمال الذي يشاهده الإنسان في غيره فينافسه حتى يلحقه أو يجاوزه وأصلها من الشيء النفيس الذي تتعلق به النفس، والتنافس في فعل الخير من علو الهمة وهي نوع من المسابقة قال تعالى ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [المائدة ٤٨] وقال تعالى ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين ٢٦]. المنافس يختلف عن الحسود، فالحسود عدو النعمة متمنٍ زوالها عن المحسود كما هي زائلة عنه، بينما المنافس مسابق النعمة، فهو يتمنى تمامها عليه وعلى من ينافسه، والحسود يحب فشل وتعثر غيره حتى يساويه في النقصان. ويذكر العلماء أن مراتب الحسد أربعة: الأولى: تمني زوال النعمة عن المنعم عليه ولو لم تنتقل

للحاسد. الثانية: تمني زوال النعمة عن المنعم عليه وحصوله عليها. الثالثة: تمني حصوله على مثل النعمة التي عند المنعم عليه حتى لا يحصل التفاوت بينهما، فإذا لم يستطع الحصول عليها تمنى زوالها عن المنعم عليه. الرابعة: حسد الغبطة ويسمى حسداً مجازاً وهو تمني حصوله على مثل النعمة التي عند المنعم عليه من دون أن تزول عنه. هذا الاستثناء في تراثنا الديني لحسد الغبطة لعله قريب من المنافسة المحمودة والذي يدل على علو همة صاحبه وكبر نفسه وطلبه التشبه بأهل الفضل.

وفي أيامنا هذه تؤكد أدبيات الدراسات النفسية والاجتماعية على أهمية المنافسة باعتبارها مؤشرا دالا على السواء النفسي في بيئة العمل، وينظر إليه كبديل عن الغيرة المهنية باعتبار الغيرة سلوكا سالبا. فالمنافسة لها دورها في دعم وتعزيز كفاءة وفعالية عمليات الإنتاج والأداء؛ لأن كفاءة وفعالية أداء منظمات العمل، ترتبط بشكل رئيس بدرجة تفاعل الفرد (الموظف) داخل منظمات العمل سواء كان هذا التفاعل مع الزملاء أو الرؤساء أو المرؤوسين من خلال بلورة الشروط والظروف المعززة لحالة الانسجام ومن أهمها درجة الاستقلالية في العمل (work Autonomy) عن تأثيرات أو الإملاء الخارجي سواء كان ذلك مباشراً أو غير مباشر من زملاء المهنة الواحدة.

الحديث هنا لا يقتصر على غيرة صغار القوم أو غيرة الضعفاء، إنه محاولة شاملة لرصد تلك المشاعر السلبية التي تصيب الجميع وحتى من نظنهم أقوياء ويستطيعون أن يمتلكوا زمام أمرهم أو من نحسبهم علماء يمنعهم علمهم وتقواهم عن الخوض في غمار هذا المستنقع السلوكي. نعم ليس هناك أسوأ من غيرة أصحاب المكانة الاجتماعية المرموقة و التجار و أهل العلم والثقافة والفكر، فهؤلاء رغم مسؤولياتهم و رغم المنصة الاجتماعية والرسمية التي يمارسون دورهم من عليها لكنهم في لحظات ضعف يتصرفون بانحدار شديد فيتخبطهم مس من الغيرة.!!

في مثل هذه اللحظات من الممكن أن تتحول شريحة من الناس إلى (تيوس)!! يقول سعيد ابن جبير «استمعوا لعلم العلماء ولا تصدقوا كلام بعضهم على بعض، فوالذي

نفسي بيده لهم أشد تغايراً من التيوس في ضرابها» نعم الحساد تيوس الناس لأنهم لا يتحملون من يشار إليه بعلم أو فضل او مكانة. يقول تعالى ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف ٧٦] فلا يوجد هناك ذوات عارفة طالما هناك من هو أعلم؛ فلا غضاضة أن يكون كل واحد منا طالب علم، بل وحتى طويلب علم؛ فمن الناس من يكون شمعة يحرق نفسه ليضيء للآخرين، لكن هناك من يتلذذ بالنيل من الطامحين والإساءة إلى الناجحين والتقليل من شأن العاملين (وقد يكونوا من الأقربين) وللأسف فإن (الغيبة الالكترونية) تنتشر هذه الأيام في المنتديات وبأسماء مستعارة، فالغرض والنية هو تتبع الزلات واقتناص العثرات. يقول سيد الأولين والآخرين (وهل يكب الناس على وجوههم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم). فما يضير لو قالوا: نفع الله به ونفع بما فعل؟ أو ما يضير لو قالوا ما شاء الله. تبارك الله؟ يقول سبحانه وتعالى ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة ٨٣] ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء ٥٣] وجاء في الأدب الإنساني العالمي قول مارك توين (استطيع أن أعيش شهرين كاملين على كلمة إطراء واحدة)!!.

قبل الختام أوصي بهمسة في أذن المحسود وتتعلق «بآداب التفوق» فليس هناك أسوأ من المتميز المغرور. فقد يعمل سلوك الغرور على الحط من شأن الزملاء والأقران بأساليب متعددة، رغم أن بعض الزملاء والأحبة ساندوا هذا المتميز لسنوات، وهو حتماً سيحتاجهم لسنوات مقبلة عندها لن يكون لديهم حافز لمساندته اجتماعيا، والأسوأ أن يصل الحال إلى رفض العمل معه. يقول الفيلسوف طاغور (ندنو من العظمة بقدر ما ندنو من التواضع). إن التودد إلى الناس نوع من الكرم، والمبادرة إلى التواصل معهم لنزع الحسد من قلوبهم نوع من الكرم، والتغافل عما يقولون كرم تقول العرب: (من أشرف أعمال الكريم غفلته عما يعلم).

كما اقترح أيضا على الموظف المتميز والمدير المتفوق أن يستمزج التبسم والدعابة مع الزملاء والمرؤوسين لكسر حاجز الهيبة ولغة التكبر، لأنه بذلك يقدم لقاحا معنويا

ضد الحسد. يقول الإمام علي عليه السلام: (من كانت به دعابة فقد برىء من الكبر) وكريم الأصل كالغصن كلما تحمل ثمارا تواضع وانحنى يقول الشاعر:

ملأى السنابل تنحني بتواضع ... والفارغات رؤوسهن شوامخ

فما أجمل أن يكون الإنسان شمسا بين الناس يلتمسون منه دفأهم ويأنسون بالعمل معه ويتعلمون منه الجديد ويشتاقون إليه كلما غاب. هنا بالضبط يمكننا أن نرشف رحيق العشق ونتدثر بألطاف الكلام: عظمة عقلك تخلق لك الحساد وعظمة قلبك تخلق لك الأصدقاء. فهل نستطيع الجمع بين عظمة العقل وعظمة القلب ونحقق غاية هذه السطور؟

طلابنا في الخارج وثقافة الفرح

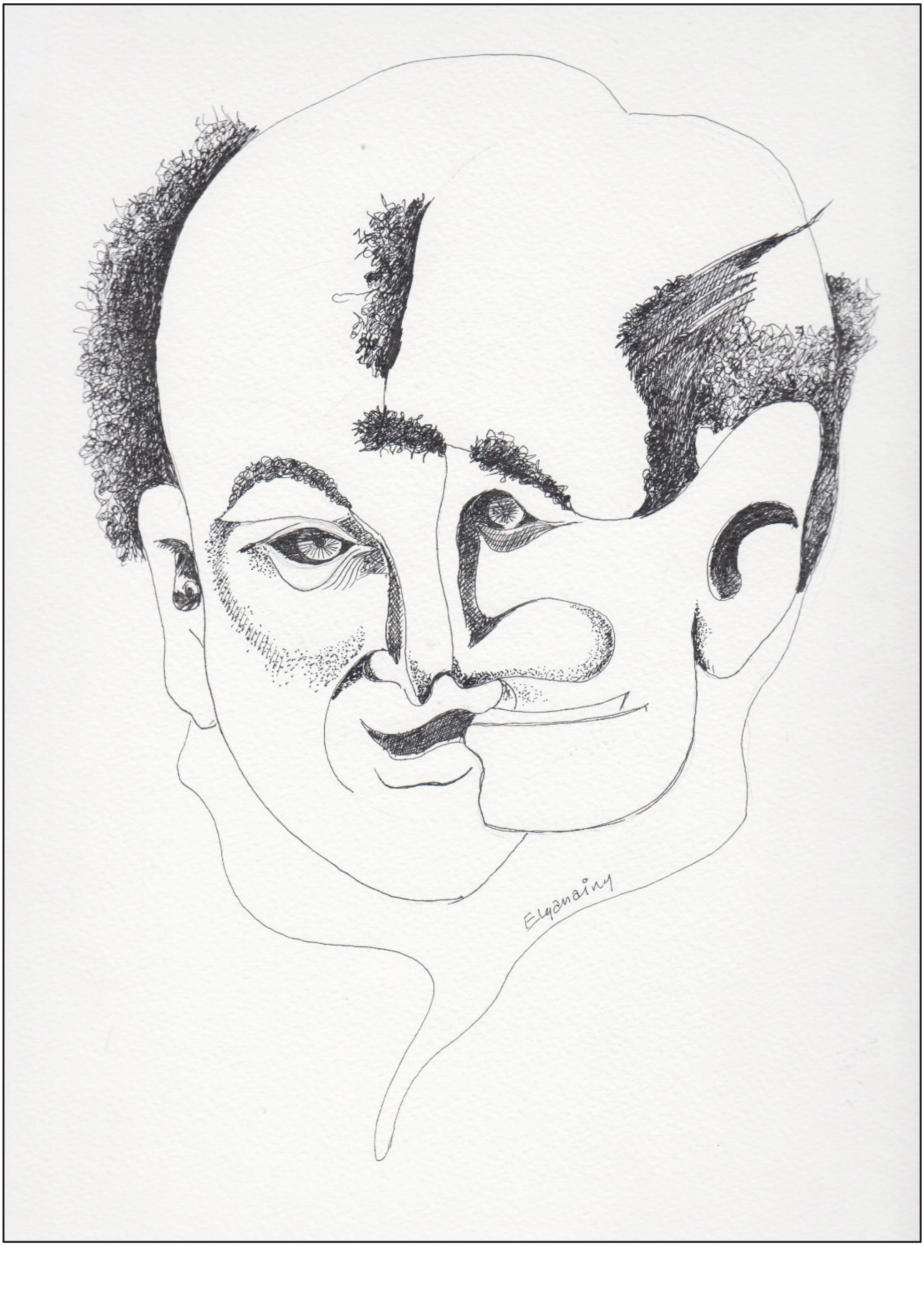
Elganainy

طلابنا في الخارج وثقافة الفرح

> « أن الله يريد للإنسان أن لا يعيش ازدواجية الشخصية بين فكر ينطلق مع الحق وقلب يتحرك مع الباطل » .
> السيد محمد حسين فضل الله

للهجرة في طلب العلم فوائد لا ينبغي أن تقتصر على التحصيل العلمي فقط، وإنما هي إضافة إلى ذلك وسيلة للتبادل الثقافي والحضاري ومد جسور التواصل بين الحضارات والمجتمعات.

وقد جاء في الحديث عن الرسول ﷺ أنه قال: «اطلبوا العلم ولو في الصين..» والصين هي المكان البعيد جداً عن الجزيرة العربية، ومع ذلك يأمر الرسول بطلب العلم ولو بالهجرة إليه، وواضح هنا أن المقصود ليس العلم الديني؛ لأن العلم الديني مصدره ومنبعه المدينة المنورة عند رسول الله ﷺ يقول الإمام علي عليه السلام: «الحكمة ضالة المؤمن فاطلبوها ولو عند المشرك تكونوا أحق بها وأهلها».

في تقديري هناك ضرورة لزيادة أعداد المبتعثين في الخارج؛ فنسبة المبتعثين في المملكة ٢٪ بينما نسبة المبتعثين في البحرين وقطر والكويت ١٣٪ وإذا كانت خطة الابتعاث لدينا تشمل (١٠٠) ألف خلال عشر سنوات فذلك يعني أن هناك (١٠) آلاف خريج سنوياً، وهذا الرقم يبدو متواضعا مقارنة بأمثاله في الدول الراغبة في التقدم كما هو الحال في الصين وسنغفوره وماليزيا، ولو أخذنا كوريا الجنوبية مثالا فسنجد أن لديها (١٠٠) ألف

طالب يلتحقون سنوياً في أهم الجامعات الأمريكية؛ مما يعني الحصول على مليون خريج خلال عشر سنوات، وهكذا تتشكل قوة المجتمع بقوة كفاءاته.

إن أول محطات الاشتباك الاجتماعي بالنسبة (للطلاب وهم في الخارج) تأتي بأسئلة متعددة منها: هل إهداء الورد من عاداتنا؟ هل الاحتفال بأعياد الميلاد من عاداتنا؟ لماذا الأب العربي لا يحفظ تواريخ ميلاد زوجته وأبنائه؟ وهل الفرح هذا الشعور الإنساني الرائع الذي خلقه الله فينا فطرياً من الممنوعات؟.

يمكننا تقسيم الطلاب في الخارج (في تفاعلهم مع الحياة) إلى ثلاث فئات أولها: من أصيبوا بحالة انبهار بالغرب واستسلموا إليه معجبين إلى درجة التنازل عن بعض قيمهم وعقيدتهم؟! والفئة الثانية: أخذت خيار الانكفاء والقطيعة بعنوان عدم التشبه بالكفار؟! أما الفئة الثالثة: فهم الذين تواصلوا مع هذه الأمم المتقدمة واستفادوا من تجاربها، وفي الوقت نفسه حافظوا على دينهم وقيمهم ولسان حالهم يقول: ما قيمة الحياة من دون مناسبات فرح؟.

في هذه السطور نحاول القول: إن حضارتنا ليست فقيرة ولا متجهمة، وسنقترب من محطة تراثية لنعرف أن الشعور بالفرح هو شعور حسي وفطري، لكن صور التعبير عنه اكتساب وابتكار وبعض الأحيان هي رسالة دينية مسكونة بالوقار والهيبة.

الشيخ سلمان العودة سمعته أكثر من مرة يبيح احتفال المرء بعيد ميلاد من يحب ولا يرى في الاحتفال جريرة، وحدثني الفقيه سيد منير الخباز بأن ذلك جائز ما لم يقترن بمحرم؛ فالاحتفال بالمناسبات يجدد العلاقات ويضفي نكهة فرح على الحياة ويجعل نهر الحب يتدفق باستمرار.

جميع المناسبات والتجمعات مرتبطة تاريخياً بالثقافة السائدة، وكأن الناظر إلى واقعنا يرصد الهوة الواسعة بين ممارسات الفرح في مجتمعنا وبين تراثنا التاريخي الحافل بتفاصيل دقيقة، مما يعكس عمق حضارتنا العربية والإسلامية، ولو أخذنا على سبيل المثال لفظ

(العيد) نجد أنها كلمة تطلق على كل يوم فيه جمع، وسمي العيد عيداً لعودته مرة بعد مرة، ولفظ (الوليمة) باعتبارها أسلوب قديم وتقليدي للمناسبات الاجتماعية مشتقة من الولم، والولمة (لغةً) تمام الشيء واجتماعه.

فالإنسان عندما يسكن في منزل جديد يدعو الناس إليه، وهي دعوة مرتبطة تاريخياً بوليمة (الوكيرة) وهي مأخوذة من الوكر (وهو المأوى والمستقر). فما الذي يمنع من باقة ورد جميلة؟ لا سيما وأن هناك شواهد كثيرة على العلاقة الحميمة بين الأقدمين والورد يقول ابن المعتز في شعره:

أتاك الورد مبيضاً مصونا	كمعشوق تكنفه الصدود
كأن وجوهه لما توافت	نجوم في مطلعها السعود
بياض في جوانبه احمرارٌ	كما احمرت من الخجل الخدود

وعندما يرزق المرء بمولود فإنها وليمة (العقيقة) وهي مأخوذة من اسم للشاة المذبوحة عن المولود يوم السابع من ولادته وهي سنة نبوية. فما الذي يمنع من حلويات وشموع بعد مضي أعوام على ميلاده؟ وكذلك وليمة (الخرس) ويقال: الخرسة وهو الطعام الذي يصنع لسلامة المرأة من الطلق والنفاس وهو الولادة، وهي ممارسة اجتماعية راقية تدل على الاهتمام بالمرأة، وقد صادق على هذا الاهتمام توفيق الحكيم (عقل المرأة إذا ذبل ومات فقد ذبل عقل الأمة كلها ومات).

بل إن هناك الوليمة العلمية وهي واحدة من العادات الجميلة التي عرفت عند المتقدمين وللأسف لم تترسخ في ممارساتنا الحياتية؛ فتولم الوليمة إذا أتم الطالب حفظه للقرآن، وهي وليمة (الحذاقة) وتسمى التحلية -وهي الإطعام عند ختم القرآن، وهي تشبه إلى حد كبير يوم الخريج في الجامعات الحديثة.

والمدهش أن بعض المناسبات الاجتماعية تغيرت إلى ضدها، فمثلاً وليمة

(الوخيمة) وهي ما يولم عند موت إنسان يصنعها جيرانه لأقاربه؛ لأنهم انشغلوا بالمصيبة، والدليل قول الرسول ﷺ: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد جاءهم ما يشغلهم» وذلك حين بلغه نبأ استشهاد جعفر رضي الله عنه، بينما نجد أصحاب المصيبة اليوم ينشغلون بضيافة الناس بدلاً من مساعدة الناس لهم!!

وهناك وليمة (النقيعة) وهي الدعوة لقدوم المسافر، مأخوذة من النقع وهو (الغبار) وهو مستحب يصنعونه للقادم، وكذلك (المأدبة) وهي الضيافة التي تعمل بلا سبب. ويقول ابن العماد: سميت مأدبة لاجتماع الناس لها؛ لأنها تقع على كل طعام يصنع ويدعى عليه الناس وخصوصاً الأصدقاء.

أما وليمة (النزل) فهي لإطعام من ينزل عليك لضرورة ملحة، وأخيراً هناك وليمة (القرى) وهي لإطعام الضيف، ولعل حاتم الطائي حاضر في الوجدان العربي وهو يقدم الابتسامة والاتيكيت الراقي في الضيافة حين يقول:

أضاحك ضيفي عند إنزال رحله ... ويخصب عندي والمحل جديب

وما الخصب للأضياف أن تكثر (القرى) ... ولكنما وجه الكريم خصيب

علاقة الإنسان العربي بالساعة

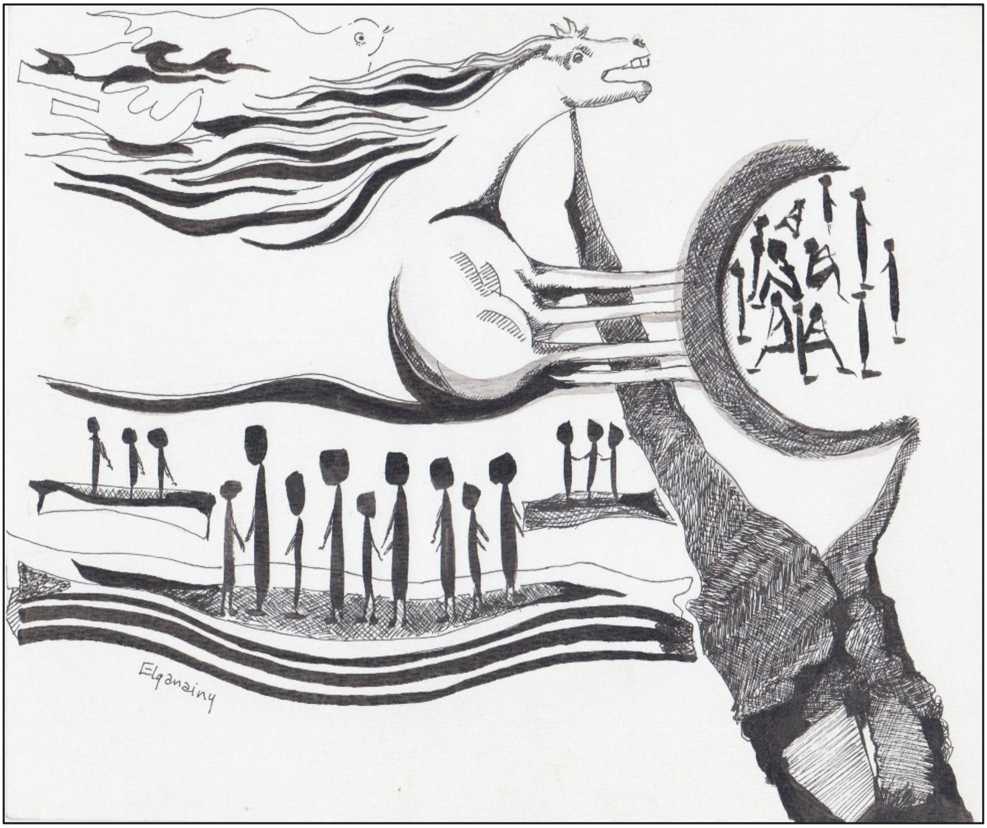
Elqanainy

علاقة الإنسان العربي بالساعة

« أجزم الناس رأياً من أنجز وعده ولم يؤخر عمل يومه لغده » .
الإمام علي عليه السلام

دُعيت إحدى المرات لإلقاء محاضرة، أعلن أنها تبدأ الساعة الثامنة مساءً، وعندما حضرت ولم أجد إلا بعض المنظمين الذين يعدون على أصابع اليد. قلت حينها: أرغب أن ابدأ المحاضرة في الوقت المحدد. فقال بعضهم: لا شك أنك تمزح؟ فقلت: إنني جاد وقد رغبت في الالتزام بالوقت الذي أعلن للناس. فقال بعضهم نحن بالعادة نعلن الساعة الثامنة لكي نبدأ الساعة التاسعة!!

وقد يأتي المتدرب إلى قاعة التدريب متأخراً (وبشكل متكرر) ثم يثير سؤالا استنكاريا: أين الخلل في عدم التزام الإنسان العربي بالوقت؟ المشاهد السابقة صورة كاريكاتورية لواقعنا الاجتماعي ونكت طريفة لكنها لا تضحك أحدا!!

نرغب في الحديث هنا عن (إدارة الوقت) ونظرا لكثافة ما كتب عن الموضوع سوف نتناوله من زاوية مغايرة، وبلغة نتجاوز فيها تنمية الذات إلى ملامسة البعد الثقافي والحضاري باعتبار أن تهيئة البيئة الاجتماعية والثقافية السليمة تساعد على تطبيق القيم والأقوال. فقد ذكر ابن كثير في (البداية والنهاية) أنَّ أحد أبواب جامع دمشق كان يُسمَّى باب الساعات؛ لأن فيه الساعات التي اخترعها فخر الدين الساعاتي، وكان يعمل بها كل ساعة تمضي من النهار، و عليها عصافير وحية من نحاس وغراب، فإذا تمَّت الساعة

خرجت الحية فصفَّرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطشت فيعلم الناس أنه قد ذهب من النهار ساعة، وفي موضع آخر يذكر ابن كثير أنه في القرن التاسع الميلادي (حوالي سنة ٨٠٧ م) أرسل الخليفة العباسي هارون الرشيد هديةً عجيبةً إلى صديقه شارلمان ملك الفرنجة وكانت الهديةُ عبارةً عن ساعة ضخمة بارتفاع حائط الغرفة تتحرك بواسطة قوة مائية، وعند تمام كل ساعة يسقط منها عدد معين من الكرات المعدنية بعضها إثْر بعض بعددِ الساعات فوق قاعدة نحاسية ضخمه، فيسمع لها رنين موسيقي يُسمَع دويُّه في أنحاء القصر.

عندما ننظر إلى تميز الشعوب فإنه يمكننا رصد ظاهرة هامة؛ وهي أن سلوك الناس هو انعكاس لبيئتهم الفكرية والاجتماعية، وليس له علاقة باللغة واللون والموقع الجغرافي. فالفكر نفسه لا يكون عربياً ولا إفرنجياً ولا شرقياً ولا غربياً. فإذا نحن قلنا: تاريخ الفكر اليوناني وتاريخ الفكر العربي وتاريخ الفكر الهندي فلا يقصد منه النسبة إلى الجنس أو اللون أو العرق أو الدولة ؛ وإنما هو للإشارة إلى العوامل الثقافية والاجتماعية (البيئة بلغة علم السلوك) وتاريخ الفكر العربي أكبر دليل: فالفارابي تركي والغزالي فارسي والمعري عربي وابن باجة فرنجي والمهدي بن تومرت هرغني من البربر، وجميعهم قد كتب باللغة العربية، صحيح أنهم اتفقوا في أشياء واختلفوا في أشياء، لكن ذلك الاختلاف والاتفاق لم يكن بسبب العرق أو الجنس، بل بسبب عوامل البيئة والعصر الذي عاشه كل واحد منهم.

الإنسان البدائي كان يعتمد على الشمس في شروقها وغروبها لحساب الزمن؛ لأن حياته كانت بسيطة ومقاييسه بسيطة خالية من التعقيدات، وقد استعمل الإنسان الساعة الشمسية منذ ٣٥٠٠ ق.م، وهي عبارة عن عصا مغروسة في الأرض فيتحدد الزمن بها بتحديد ظل العصا تبعا لحركة الشمس، ثم تم اكتشاف الساعة الرملية حيث كان انقضاء الرمل من الزجاجة يستغرق ساعة كاملة حتى طورها العرب، لكن البرفوسور (Landes) أستاذ الاقتصاد والتاريخ بجامعة هارفارد يستكثر الثناء والإشارة للعرب في

اختراع الساعة بمقال له بمجلة (Deadlus) (بعنوان اختراع الساعة وثروة الأمم) ويعتبر أن الساعة اختراعا أوروبيا وكان حدثا لم يأت به ما يشابهه قبل ذلك في جميع العصور الغابرة!!.

بعيدا عن هذا التحيز فإن الفكر الإداري اليوم يضع بين أيدينا قواعد (إدارة الوقت) وهي ليس لها علاقة بجنسية معينة ولا بعرق، بل هو نتاج إنساني مشترك، وكل ما نحتاجه هو إبراز قيمنا الرفيعة ونلتزم بها كأفراد في أفعالنا. الشاعر الثائر دعبل الخزاعي الذي نقل عنه ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان قوله: (لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي ابحث على من يصلبني عليها فلم أجد من يفعل ذلك) يقول متهكما على تناقض الأقوال مع الأفعال:

كلام النبيين الهداة كلامنا وأفعال أهل الجاهلية نفعل

الدين ينتشر تلقائيا بدون خطب رنانة، وهي سنّة كونية طبيعية، فالماء ينحدر من الجبال إلى السهول المنخفضة وليس العكس، وبريطانيا (الجزيرة الصغيرة) استعمرت الهند ذات المليار نسمة مثل سنجاب يركب ظهر ديناصور. القيم متجذرة في ثقافتنا الدينية بقوة وجل عبادتنا مرتبطة بالوقت كالصلاة والزكاة والحج. يقول سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ ﴿لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ بل أن القرآن دائما ما يذكرنا بالزمن: (﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾.... ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾.... ﴿وَٱلَّيْلِ﴾... ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾....) وكذلك توصيات الرسول ﷺ: (بادروا بالأعمال سبعاً) (اغتنموا خمساً قبل خمس). نعم ليس المطلوب أن يذهب الناس إلى تورا بورا وقندهار لكي تكفر وتفجر، وليس المطلوب أيضا استجداء النسر الأمريكي أو الدب الروسي أو التنين الصيني! فنحن نعيش زمن الوثنية السياسية، بل يكفي مطالعة سير العظماء والعباقرة في تراثنا العتيد؛ حتى نرصد أن الصفة اللازمة لهم هي الصرامة في التعامل مع الوقت لأن الوقت يعني الحياة.

فالبخل انحراف في التملك، والغرور انحراف في الحب، وعدم إدارة الوقت انحراف في جودة الحياة. يقول الإمام الصادق: اجتهدوا أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم. وقال المحاسبي: والله وددت لو أن الوقت يُشترى بالمال، لأشتري بأموالي أوقاتاً من الفارغين والغافلين أنفقها في سبيل الله. ويقول ابن عقيل: أنا لا آكل كما تأكلون، بل آتي بالكعك أضعه في الماء ليصير عجيناً فأبتلعه لأوفر الوقت، وجاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد قول الحسن البصري: يا ابن ادم إنما أنت أيام مجموعة، فإذا مضى يوم مضى بعضك.

إن مشروع تقوية جهاز المناعة العربي بحاجة إلى تهيئة بيئة طيبة، تخرج نباتها بإذن ربها ثم تعطيك بقدر ما تحرثها وترويها، فعدم احترام الوقت هو عرض للمرض وليس المرض بعينه، ويرتبط بما عبر عنه المفكر الجزائري مالك بن نبي في حديثه عن القابلية للاستعمار. وفي الوقت نفسه فهو أداة لمطاردة الأخطاء والتفاتة ذكية إلى الداخل للتطهير، فالبيئة الثقافية والاجتماعية هي الحاضنة الأساسية لصناعة اتجاهات ايجابية حتى ينتقل المجتمع من الممانعة السلبية إلى تقديم النموذج؛ فتتحقق بذلك مقولة الرسول الأعظم ﷺ: كونوا شامة بين الأمم.

علم اجتماع المثقفين

علم اجتماع المثقفين

> «لست أسفاً إلا لأنني لا أملك إلا حياة واحدة أضحي بها في سبيل الوطن».
> **الفيلسوف الروماني شيشرون**

يذكر التاريخ أن الفيلسوف (ديوجين) كان يعيش على العدس لكي يستر جوعه!! فرآه أثناء ذلك زميله الفيلسوف (أريسيتبوس) الذي توصل إلى مقدار من حياة الترف والراحة بفضل تودده وتملقه (أصحاب الجاه) فقال الفيلسوف (أريسيتبوس) لزميله بسخرية: لو أنك تتعلم كيف (تتملق) أولئك لما كان عليك أن تعيش على غذاء تافه مثل العدس!! فأجابه (ديوجين) باستصغار وازدراء: ولو أنك تعلمت أن تعيش على غذاء مثل العدس، لما احتجت قط إلى تملقهم وبيع كرامتك.

علماء الاجتماع يقولون أن هناك مقاييس تستخدم في تحديد الطبقة الاجتماعية - وهي لا تنطبق على المثقفين - وأول هذه الصعوبات هو التراث الاجتماعي المختلف عند المثقفين إلى جانب أن المثقفين لهم دخول مالية متباينة غير مستقرة، وعلماء الاجتماع عند ما يحددون معالم أية طبقة يذهبون إلى مصادرها الاقتصادية وليس العقلية أو الذهنية التي تمثلهم.

ويقف علم الاجتماع المعاصر حائرا في نظرته للمثقفين عند تصنيفهم في أحد الأنساق الاجتماعية البنائية، بمعنى هل يمكن تصنيف المثقفين ضمن طبقة معينة كما هو

الحال لطبقة العمال وطبقة الفلاحين والتجار والصناعيين؟. الإشكالية الأخرى أيضاً أن علماء الاجتماع ينصب اهتمامهم على دراسة المشكلات الاجتماعية - تشخيصاً وعلاجاً - مثل الجريمة والطلاق الفقر والإدمان إلى جانب دراسة الظواهر الاجتماعية السائدة ومحاولة معرفة تأثيرها على المجتمع مثل التحضر والتغير الاجتماعي والاستهلاك والموضة الحركات الاجتماعية.

والسؤال هنا: كيف يمكن تصنيف نشاط المثقف؟ هل هو ظاهرة أم مشكلة؟ وهل يشكل الناقد والكاتب والمبدع والمخترع فعلا مشكلة للمجتمع؟ وإذا كان مشكلة فهو مع من وضد من؟.

هناك حقيقة مفادها أنه من الصعب رسم أو تحديد وظيفة المثقف؛ فهي لا تشكل ظاهرة يمكن تصنيفها؛ لأنها لا تشبه حاجة المجتمع إلى المهندس والطبيب، ولو أخذنا مهنة المعلم مثالاً لقلنا إن هناك أفرادا يحتاجون للتعليم، وهناك مدارس يعمل فيها المعلم، وهناك كليات معلمين يدرس ويتدرب فيها المعلم، وهناك جامعات يمارس فيها الأستاذ الجامعي مهنته، وهناك نقابة للمعلمين تجمعهم وتنسق مناشطهم، لكن وظيفة المثقف التي يتطلبها المجتمع متعددة ودوره غير متفق عليه.

من وجهة نظر (ريجيس دوبريه) لا جدوى لدور المثقف في عصر العبادة العالمية للمرئي (أي التلفزيون) الذي صلاته الوحيدة (انظروا إلي أولاً والباقي لا أهمية له). ويعلق ريجيس على سؤال هام:(متى يخون المثقف وظيفته؟) قائلاً: إن المثقف يخون وظيفته في حالتين: إما أن يروج إعلامياً أو لا يروج!. فإذا روج إعلامياً أصبح ممثلاً فاشلاً أو مفوهاً أو واعظاً وبذلك يخون أخلاقية المهنة القائمة على التحليل المنطقي للأشياء، وإذا لم يروج إعلامياً فإنه يخون وظيفته؛ لأنه يتخلى عن الالتزام وممارسة التأثير ويصبح أسير صفاء عزلته، لكن نزار قباني ينظر إلى الالتزام بطريقته الخاصة يقول: (الكتابة ليست مقهى نشرب فيه الشاي والينسون وليست اصطيافا على شاطئ (ينس) و(كان) و(جزر الكناري) إنها اشتباك يومي بالسلاح الأبيض ضد القبح والفكر

الفاشستي.. الكتابة ليست فعل امتثال ولا فعل رضوخ ولا فعل تنازل، ولكنها فعل انقضاضي على كل بشاعات هذا العالم.. من يقول لك أنه كاتب محايد، فهذا يعني أنه كاتب ميت.. ليس في الكتابة منطقة منزوعة السلاح أو منطقة حرام أو منطقة تتولى الأمم المتحدة فيها الفصل بين المتحاربين، فالكاتب الذي يعلق على جبينه لوحة من لوحات السيارات الرسمية يتحول إلى شاحنة لنقل النفايات!!). على الجانب الأخر المرحوم الأديب غازي القصيبي لا يجد ضرورة في ربط المثقف بالمبادئ؛ لأن المثقف هو بالضرورة إنسان ويقول: هناك مثقف مثالي، وهناك مثقف أناني، وكذلك مثقف صاحب مبادئ وآخر انتهازي... الخ. نستنتج من حديث القصيبي أن المبدأ ليس له علاقة بالثقافة، فقد يكون الإنسان بدون ثقافة ويكون محملاً بمبادئ عالية والعكس صحيح، فقد يكون الإنسان ذا ثقافة عالية وهو بلا مبادئ على الإطلاق.

لكن المرحوم هادي العلوي يقدم صورة نموذجية للمثقف ويدشنه بلفظ (المثقف الكوني)، ويعرفه أنه المتصوف أو التاوي (نسبة إلى الفلسفة التاوية الصينية) وذلك في كتابه (مدارات صوفية). ويقترح العلوي في (المثقف الكوني) عمق الوعي المعرفي والاجتماعي والعمق الروحاني بمعنى أن يكون قوياً أمام مطالب الجسد ومترفعاً عن الخساسات الثلاث (السلطة، المال، الجنس).

يبدو أن دور المثقف محكوم بوجهين: ما يتوقعه الناس منه للمطالبة بالعدالة الاجتماعية والديمقراطية وكشف الفساد الرسمي ودفع الرأي العام إلى تشخيص العاهات والتقرحات، وبين القيود المفروضة عليه من قبل أصحاب السلطة والمراكز العليا والنظر إليه بريبة وأنه أداة تحريضية تهدد مواقعهم فيما يشبه صراعا خفيا بين ممارسة الواجب الوطني والأخلاقي وما يفرضه شرف المهنة وبين الأغراء بالمال والمناصب العليا أو التهديد بتكميم الأفواه.

في تقديري هذه الثنائية سوف تستمر: بمعنى أن علماء الاجتماع سوف يواصلون دراسة دور المثقف الاجتماعي كما يدرسون دور الأب أو المعلم أو الطبيب أو رجل الدين

(كمنشئ ثقافي) و في الوقت نفسه سوف يستخدم المثقف سلطته الإعلامية والمعنوية لإيصال مؤثراته الفكرية لتكوين قاعدة وعي سواء عبر الجامعة أو الجامع أو المسرح أو الرواية أو الوسائل الثقافية المتنوعة، و

هكذا سوف تستمر جدلية دور المثقف وعلى الأخص الجاد -غير المتزلف-فهو يصر ويباهي بكونه (عصي الدمع شيمته الصبر) ومساحة الحريات في الوطن العربي سوف تضج معلنة أن لا صبر لها على جرأة المثقفين. الحديث عن بزوغ أو موت دور المثقف يذكرني بمقولة عزيز السيد جاسم (لقد ذبح الكبش فداء لإسماعيل ولكن لو ذبح إسماعيل فما قيمة أن يذبح الكبش).

عندما يتحدث الجسد

Elganainy

عندما يتحدث الجسد

> « النفسُ التي لا تتألم لا تستطيع أن تحلق في سماء الإنسانية » .
> **سيمونيدس**

هناك لغة واحدة يستخدمها جميع البشر، لغة لا تحتاج إلى حروف ولا إلى كلمات، فأدواتها الانسياب الطبيعي للأحاسيس والمشاعر متمثلة في الحركات التعبيرية والإيماءات والتنهدات ونبرة الصوت وقسمات الوجهة وحركات الرأس واليدين أحياناً الصمت وطريقة اللباس وأحياناً أسلوب الجلوس والمشي، إضافة إلى الكلام بلغة العيون، ولعله لم يحتل جزء في الجسد الإنساني مكانةً مثلما احتلت العين في التـراث العربي نثره وشعره.

لغة الجسد من الأبجديات الأولى للحياة الإنسانية تسكن في النفس بذكريات قد لا تنسى، وتختزن تأثير سيكولوجي كبير على الآخرين، كما تمنح الأفراد الشعور بالقوة والنشاط والود، وتفتح دلالات العقل الباطن؛ لذا هرول السياسيون إلى دراسة هذا «العلم» القديم الجديد فاستخدموا لغة الجسد في خطبهم لتوصيل رسائل غير معلنة للجمهور؛ لأن تأثيرها أقوى بخمس مرات من الكلمات!!.

في عالم السياسة ترتبط لغة الجسد بالاعتبارات الثقافية والبيئية، مثلاً فلاديمير بوتن تمتع بلغة وحركات لا إرادية تعكس ثقته بنفسه وبتربيته وثقافته الروسية، فهو يمارس رياضة (الجودو) وحائز على الحزام الأسود، على العكس من الرئيس الأمريكي السابق

(بوش) الذي يبعث رسائل تعكس ثقافة (السوبرمان الأمريكي) والمتجسدة في أفلام هوليوود في إشهار البطولات الخارقة عبر الهدم والتدمير والقفز فوق العمارات الشاهقة وتوقيف القطارات وإسقاط الطائرات، ويمكننا رصد الصورة باعتبارها إحدى أدوات تخويف الآخر؛ لذلك أطلق الأمريكيون على عمليتهم عند غزوهم للعراق مسمى (الفجر الأحمر) وهو اسم لفيلم صدر عن هوليوود عام ١٩٨٤م ويستطيع القارئ استنتاج كيف يتم عكس الصورة بين تمجيد المقاومة واحتلال المستعمر الغازي!!. بينما السوبرمان الروسي شخص ضعيف البنية نحيل الجسد، لكن عقله ثاقب ورأيه راجح بحسب الثقافة الروسية.

ومن آيات الفطنة وعلامات النباهة عند أهل السياسة أيضاً أن يتمتع المرء بفهمه العميق لحركات الجسد اللاواعية والتلقائية. يقول الإمام علي عليه السلام: (ما أخفى ابن آدم شيء إلا ظهر على قسمات وجهة وفلتات لسانه) وما لا يستطيع اللسان قوله تفضحه حركة الجسد. في عالم السياسة هناك الإيماءات والإيحاءات والرموز، حيث يظهر السياسي عكس ما يضمر، ويتشدق بمبادئ يدعي أنه يؤمن بها، وهناك تعريف طريف يختصر الحبكة، فالدبلوماسية هي الفن الذي يجعلك تقول لكلب شرس: يا لك من كلب لطيف! حتى تجد فرصة لالتقاط قطعة من الحجر!! بينما خطيب الأنبياء شعيب عليه السلام يقول: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ [هود، ٨٨]. لذا ليس من المستغرب أن يكون لكل زعيم سياسي مستشاره الشخصي في لغة الجسد!

اجتماعيا لغة الجسد تغري بالتطلع باستلهام الزعامة والوجاهة، الوجاهة تحديداً مشتقة لغة من الوجه، فالوجيه يمثل قوام مجتمعه لأنه الوجه أمام الآخرين، والوجيه هو اللسان الحاكي عن آلام وطموحات مجتمعه، والوجه كجزء من الجسد معبر بالضرورة عما في النفس، الوجاهة قد تكون وهمية وهي الوجاهة الناشئة عن الثروة أو العائلة أو التملق لأصحاب النفوذ والسلطة، أو قد تكون وجاهة حقيقية ناشئة عن علم ومعرفة

وانحياز للضعفاء والمظلومين وخدمة العباد وفي هذا السياق يأتي الدعاء (اللهم اجعلني عندك وجيهاً).

في عالم الجمال والفضائيات والمذيعات الفيض الفكري يغري بالتطلع إلى الأعلى، لكن المجال الإعلامي العربي يستصرخ مقولة الروائية التشيلية (إيزابيل أللندي) في روايتها (إيفالونا): (إذا كنت جميلة فإن جميع مشاكلك ستحل)!!. إن معطيات لغة الجسد من حولنا تتوجه نحو الأسفل نحو عبودية الجسد المزركش بالعقول الفارغة وعمليات التجميل منتحلاً أهم خصائص الإنسان في سمو روحه وتعاليها، وهو يدعونا وبإصرار نحو الأسفل، وكأن كلمات غسان كنفاني التي قالها لغادة السمان (المرأة ملحمة انتصار تبدأ من عنقها فما فوق) لم تكن سوى سفر نحو محراب الحب والجمال الرفيع.

في الشرق أيضاً رمزية الجسد تمهد لرمزية السياسة، وكأن هناك ارتباط عضوي، فيستخدم مصطلح مثل جسد الأمة أو قلبها النابض أو صمام الأمان أو عينها الساهرة، فتستعير السياسة من الجسد وأعضائه ما يضفي المعنى المأمول، فلو أخذنا الرقص (رقصة العرضة) أنموذجاً لعجز القدرة اللفظية عند الزعيم في الخليج العربي، ومثالاً للتدليل على تقاطع الجسدي بالسياسي فإننا نرصد في العرضة الجسد المتحرك والمتمايل بالسيوف والتي يسمح في أجوائها بإطلاق أعيره نارية!! فتجمع المناسبة وظيفتين متناقضتين أولاً: استفتاء عام عن البهجة والمشاركة الشعبية. ثانياً: رسالة استعراض عسكري يرمز إلى استقرار الوضع وتشفير يراهن على مركزية القرار. هنا لا تمارس العرضة باعتبارها طقساً اجتماعياً فلكلورياً، كما هو الحال في رقصات الشعوب الأخرى التي (بحسب ثقافتها) تستدمج سمو ورقي العواطف بحركة الجسد كما في رقصة (التانغو) و (البالية) و(الفالس)، لكنها في الشرق تعزز التسلية والهيمنة برمزيتها السياسية، ويتزاوج الحراك الاجتماعي الجسدي في العرضة مع شهوة البطون عبر ولائم الأرز ولحم الماعز، فيتكامل الإشباع الجسدي لتمتد الأيدي في الختام إلى الوجوه، فتمسح الشوارب واللحى بما تبقى على أناملها من دهن الوليمة داعية المولى أن لا يغير الحال فتزأر لغة الجسد لتكون أصدق

إنباءً من الكلام.

في حضارتنا كان الجمال ولغة الجسد يتوسطان حياة الناس، والدليل أنه لم تكن هناك حدود فاصلة بين العبادات والمعاملات، وكلما انفصل هذا الانسجام خشنت الممارسات واتسعت هيمنة السياسي البشع لتتقلص مساحة الجمال الإنساني باعتباره مطلباً من متطلبات العبادة والحياة. المشهد الرائع الذي يجسد انسجام الروح مع الجسد أن الإمام علي عليه السلام نظر ذات يوم إلى رجل يصلي وهو يعبث بلحيته. فقال له: (لو خشع قلبك لخضعت جوارحك). نعم الخشوع يسبق الخضوع ويمكننا القول: إذا حصل الحب حصل الولاء فتحدث الجسد.

عندما يتنفس القلم

عندما يتنفس القلم

الكلمة وحدها تمنح الكرامة، ويبدو ذلك أكثر وضوحا عندما يغدو الإنسان مسكونا بهاجس نعومة وبياض الأوراق، يستلهم منه الحافز على الكتابة؛ فيتصاعد الشعور لديه بالنشوة وبالبطولة؛ لإحساسه أن الكلمة جسر يعبر عن هموم وتطلعات الناس.

« في الوطن العربي لسنا بحاجة لأجهزة تنصت لأنه لا أحد يتكلم » .
محمد الماغوط/ أديب سوري

ومما لاشك فيه أن تداخل الطموحات وتشابكها، وبسبب اتصاله الوثيق بالروح الوطنية والانتماء يؤكد تعلق الذات بالأمل؛ فهو بقدر ما يعبر عن رؤيا شمولية تقدم أنساقاً لحلول تحفظ مصير الانسان وتطلعاته الى المستقبل؛ فانه – في الوقت نفسه – يبرز الاستمرارية المتوثبة الطامحة إلى تألق الطاقات الذاتية الفاعلة في صياغة الصفاء والحرية والسلام القادمة بعد جلد و معاناة.

للقلم أن يستحضر الدلالات ويتكئ على تعابير أهل العرفان الانقياء ويستعير مخزون رياضتهم الروحية، ولسان الحال يقول: لا تصلح لي السياسة؛ فأنا الصوفي الحالم الذي لا يناقض قلبه لسانه، وروحه منبسطة وصافية صفاء النهر عند الفجر، والسياسة متعددة الوجوه سريعة التقلب وتحتاج إلى ما لا أجيده من مقتضيات المجاملة، إنه قلب باتساع الأرض وشموخ يليق بالإنسان، وله أن يتماهى مع أمراء الكلام في شعرهم

فيصنع التماهي والشطط في التاريخ والتراث، ويوطد الحلم باستحداث سريالية خاصة تستبطن العثور على طريق للحرية والسعادة.

نعم إنه التأوه في اختراق العوالم العميقة للنهج التنموي المترنح بهدف مواجهة الواقع فكريا وكشف تيه القرارت التي تحدد المصير عاريا أمام الأحرار من بسطاء الناس، وهو مرادف لنبذ الحضارة الإسمنتية الزائفة، ومرادف أيضا لبعث البداوة الروحية (الصافية) الكامنة في نهج أبو ذر الغفاري ومدلج بن سويد والحر بن يزيد الرياحي وعروة بن الورد والمطعم بن عدي وحاتم الطائي؛ بغية تسليط الضوء على مناطق أكثر انسانية لفك طوق الإعلام الموجه الذي هيأ الأجواء لتتشكل فيها سحابة السكرة الطائفية!!.

إنها كينونة قائمة تتحرك ضمن الممكن عقلا؛ ولكنها ليست وصفا حسيا مباشرا لأشيائه ومحيطه بقدر ما هي تداعيات اليقظة المسكونة بحرية متسربلة في الذهن بوضوح، فلا تنساق لأحداث طارئة ومشكلات مؤقته، أو كما عبر عظيم القدر الأستاذ السيد فضل الله (رحمه الله) ومضمونه أن هناك فرقا جوهريا بين أن تكون خارج دائرة اللعبة السياسية ولكن وعيك باللعبة يبقيك ضمن دائرة التأثير.

هكذا تبدأ الكتابة حبا لا ينتهي بالزواج؛ لأن القلم الحر مشروع يهدف إلى تأسيس البنية التحتية لقيم وفكر الانسان؛ بل وتتميز الكتابة على الحب كما عبر عن ذلك الشاعر قاسم حداد قائلاً: (الكتابة هي أجمل شيء في حياتي على الإطلاق مع الحب، وأحيانا أعتقد أن الكتابة تتميز على الحب في كوني أستطيع أن أحققها وحدي دون الحاجة للآخرين كما في الحب، وفي ذلك ضرب مضاعف من الحرية).

من هنا يمكن استشفاف عالم مختلف مصنوعة عناصره من التطلع إلى القادم المزدهر، نشم به رائحة العزة فنمتشق القلم لكي يغدو رمزا للحركة المتوقدة ومركزاً للارهاف الذي هو -في آن واحد- قوي وضعيف، عاقل وقوي، نهر وجدول تمحى

بينهما الفوارق وتزول السدود.

وإذا كانت ولادتنا في الوطن العربي محكومة بأشكال من القمع، بدءا من رياض الأطفال وصولا إلى المجتمع والنظام السياسي؛ فإن الكتابة تمزق الصمت وتفضح الظلم وتخلق عالما أجمل (خصوصا وأن الآمال الكبيرة تعقد على كتلة الأغلبية في القيام باستكمال أسباب العدل والسلم الاجتماعي ونشر الديمقراطية) وعدم الاكتفاء بالتفرج!!. أليس مدهشا ذلك السقف المتدني لكتلة الأغلبية فيما يخص مشروع الإصلاح باستثناءات فردية شحيحة؟! يقول (سقراط الكوفة): رب كلام جوابه السكوت. هنا بالذات يمكننا اعتبار صمت الأحرار مخيفا، والأنكى للجرح أن يتدثر البعض بدفء المصالح فوق الكراسي الوثيرة! فعندما يصمت العقلاء والأشراف تتلبد الأجواء بضباب كثيف من سوء الفهم الذي لا يلبث أن ينسدل على الأبصار، أو كما عبر المفكر الجزائري مالك بن نبي: (لقد صحونا بأجفان مثقلة بالنعاس) فلا يتبين لنا اتجاه في الأفق القادم، ولا تبدو معالم طريق، وتغشى البصائر في تيه المنطق، وتسترخي الأفكار وتتخبط النتائج؛ لأن الرؤية حين تغيب ينحرف معها الرأي ويحل التنافر على غير رغبة حقيقية من أحد.

ومع ذلك كله فإن الصورة الأبهى ستبقى سرمدية مزروعة مثل وردة السوسن التي لا تذبل، وستبقى متسربلة بالحلم الجميل إلى جانب المضمون مثلما كان الماضي رائعا، وستبقى اللغة أداة للعقل في إدراك العالم ووسيلة -ليس للتواصل فحسب- لتحقيق المعرفة والإحساس بالجمال ؛ولتهب الإنسان العيش اللائق في عالم أرحب ؛فالاستغراق في الجامد يكرس حالة الجهل. ومعلوم أن كثيرا من القفزات الحضارية تقوم على اختراق المسكوت عنه، فالعبقرية تكمن في تحريك الأشياء لا في سكونيتها الراكدة.

عالم الكتابة -كما يعرف الذين يكابدونها- عالم تتحول فيه الحروف إلى ذوات تنعدم فيها الملامح وتذوب فيها الحواجز بين الهم الذاتي وهموم الآخرين؛ فتصبح أداة يجد المقهورون فيها صدى آهاتهم، وأحيانا هي رغبات بسيطة وطنية وطفولية لها عفويتها

الطاهرة والمحببة، وفي بعض الأحوال هي حالة تتوهج خارج النفس لكي تستنهض القيم الساكنة في عمق التراث لإنماء شتلات الحرية الاجتماعية ورفد الانسانية بالوعي الفردي المدهش والصادم في لقطات ومقاطع تختصر الوصف والتصوير، وكأن كل كلمة تمثل حالة مكثفة للواقع المعاش. أليس كذلك يا صديقي؟؟.

تجنب العداوات

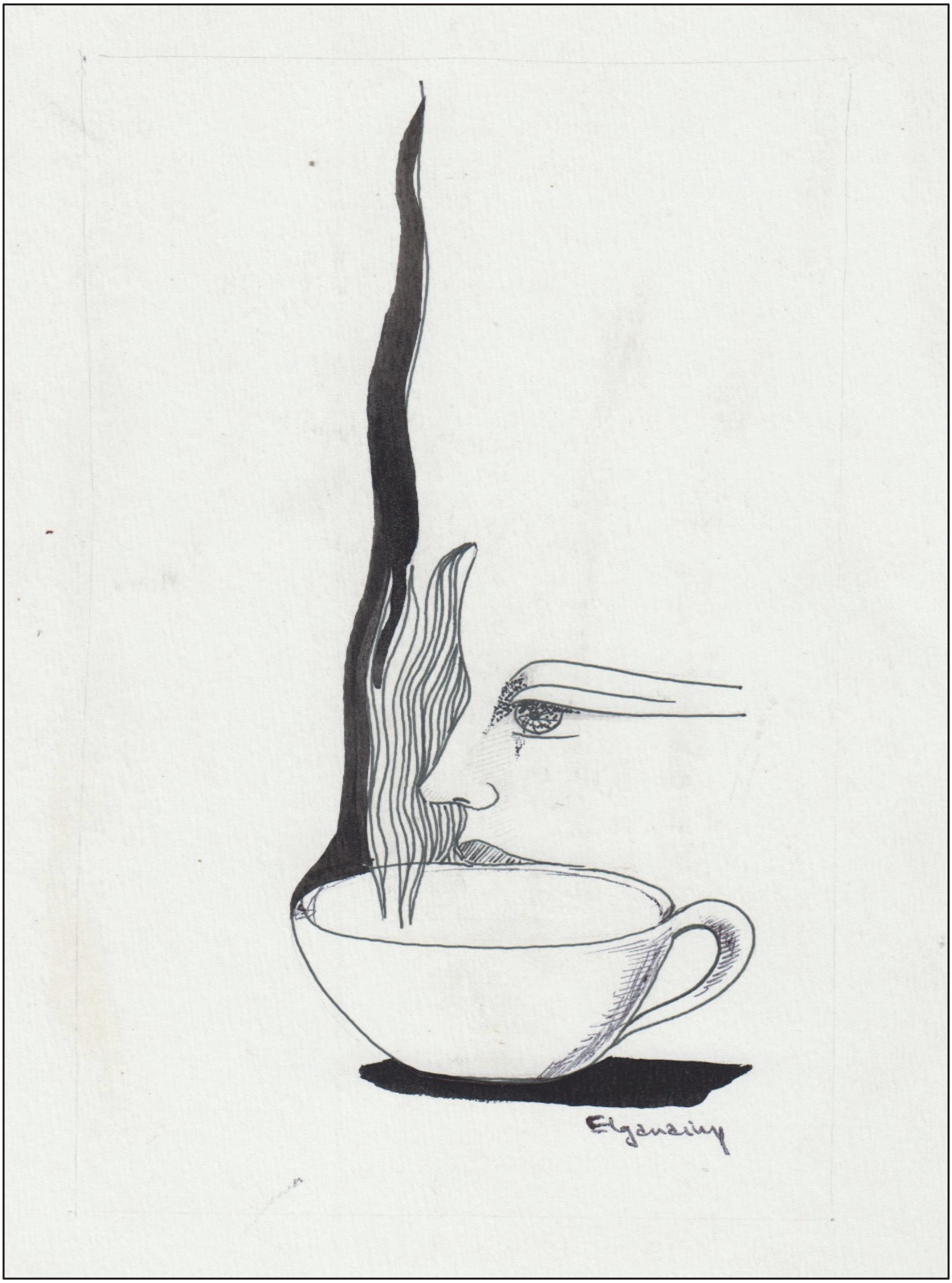
Elgauzihy

تجنب العداوات

(فن التغافل مثالاً)

« هناك أشياء أكثر لطافة من ضرب الناس » .
محمد علي كلاي

روي أن الإمام علي عليه السلام كان جالساً في أصحابه فسمع رجلاً يشتم قنبر – خادمه– وقد همّ قنبر أن يرد عليه. فقال له الإمام علي: مهلا يا قنبر! دع شاتمك مهانا ترضي الرحمن وتسخط الشيطان وتعاقب عدوك، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أرضى المؤمن ربه بمثل الحلم ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه.

سألت صاحبي (الجليس الصالح والأنيس الناصح) وما علاقة ذلك بسؤالي؟ قال: أعد السؤال: قلت: مضى عليك زمن في قيادتك للناس، ورغم ذلك فأنت تحافظ على علاقة رائعة مع الجميع. فما هو السبب في ذلك الانسجام؟ قال صاحبي: هناك قاعدة سلوكية تناسب مختلف نواحي الحياة في دائرة العمل التي يقضي الإنسان فيها أكثر من نصف يقظته وفي المحيط العائلي وبين الزوج والزوجة و في التعامل مع الشخصيات غير المريحة والشخصيات العابرة التي يصادفها الإنسان في المناسبات الاجتماعية أو السوق أو في أثناء قيادة السيارة، وتتمثل هذه القاعدة في تجنب العداوات، و إن أحد الأدوات الهامة لها هو(فن التغافل) حيث تجسدت هذه الآلية في قول الحسن البصري (ما زال التغافل من فعل الكرام) قلت وما هو التغافل؟ قال صاحبي: التغافل هو إعراضك عن

أمر صدر من صديق أو عدو وأنت تتيقن غرضه السيء منه ثم تقوم بالتحلم أو التسامح في التعامل معه.

لذا فالتسامح مرتبط بالتغافل في سماته السلوكية، وقد عرّفت الجهات الحقوقية التسامح أنه: القدرة على إيقاع العقوبة إلى جانب القرار الواعي بعدم استخدام تلك القدرة. كما فعل الإمام على مع الخوارج فقد كان الإمام علي ذات يوم يُعلم ويوجه أصحابه فقال رجل من الخوارج: (قاتله الله كافراً ما أفقهه) فوثب القوم ليقتلوه فقال الإمام علي: (رويدا إنما هو سبُ بسب أو عفو عن ذنب).

وقد جاء في كتاب مدارج السالكين قول أبو (علي الدقاق) أنه: جاءت امرأة فسألت حاتمَ عن مسألة فاتفق أنه خرج منها صوت في تلك الحالة فخجلت فقال حاتم: ارفعي صوتك فأوهمها أنه أصمّ فسُرّت المرأة بذلك وقالت: إنه لم يسمع الصوت فلُقب بحاتم الأصم. وقد علق ابن القيم الجوزي على هذا الأدب الذي وقع من حاتم الأصم بقوله: يمكن أن نسميه «أدب التغافل»، وهو من أدب السادة، أما السوقة فلا يعرفون مثل هذا الأدب، ولذلك -تراهم لدنو همتهم - يحصون الصغيرة ويجعلون من الحبة قبة. ومن المواقف الجلية في أدب التغافل أيضا ما ذكره ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح قال: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأن لم أسمعه قط وقد سمعته قبل أن يولد. وجاء في السيرة أن الإمام زين العابدين كان ماشيا ذات مرة فاعترضه شخص معتديا عليه بالسب والشتم فلم يلتفت إليه الإمام فتبعه الرجل وصرخ في وجه الإمام: هيه إياك أعني!! فأجابه الإمام: وعنك أعرض!!. الإمام كان يسمع السباب، لكنه ترفع عن الرد وكأنه لم يسمع!! (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما). يقول الإمام الشافعي:

يخاطبني السفيه بكل قبح	فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة وأزيد حلما	كعود زاده الإحراق طيبا

هنا علق صاحبي مواصلا الحديث: فما أحوجنا إلى الترفع عن السباب والتقليل

من شأن الآخرين!! ومن المثير للدهشة النظر إلى حجم التعليقات السلبية في مواقع الشبكات الاجتماعية - خصوصاً لدى الشباب -حول أي قضية يثيرها الإعلام فتتحول إلى كرة لهب تتقاذفها الأطراف المتصارعة لمجرد أن الأخر نختلف معه. قلت لصاحبي: لكن هناك شخصيات تعتبر أن رد الإساءة بمثلها نوع من القوة وأن غض الطرف عن الإساءة أو التجاوز عن الخطأ يجعل الإنسان في موقع الضعف والمذلة؟ قال صاحبي: تذكر أولا أن العفو والتسامح مصدر محبة الآخرين لذلك. يقول الشاعر:

أحب من الإخوان كل مواتِ وكل غضيض الطرف عن هفوات

وتذّكر ثانياً أن العفو والتسامح مصدر قوة، فجميع الرسل والأنبياء والعظماء تخلقوا بهذه الصفة فكبروا وعلا قدرهم بأخلاقهم وعفوهم وسعة صدورهم. يقول الإمام جعفر الصادق: (عظّموا أقداركم بالتغافل) وقال الإمام احمد بن حنبل: (تسعة أعشار حسن الخُلق في التغافل).

وقبل أن أغادر سألت صاحبي: إذا كان لدينا في تراثنا الديني كل ذلك المخزون الرائع من الأخلاق. فما السبب في تعطل فاعلية تلك السلوكيات في واقعنا الإداري والاجتماعي؟؟ تبسم وقال: سوف أدلك على دراسة سلوكية جميلة في كتاب (كيف تصبح نجما لامعا في العمل؟) لمؤلفه (روبرت كيلي) حيث قام فريق من الاستشاريين في مجال تطوير الفعالية الشخصية لكشف أسرار تألق بعض الموظفين في العمل مع بقاء غيرهم من الزملاء (محلك سر). بعد الدراسة والبحث والمقابلات أعلن فريق الدراسة فشل البحث!! والسبب أنهم لم يكتشفوا فرقاً بين الموظفين في سماتهم الذهنية أو الشخصية أو الاجتماعية، ولكنهم اكتشفوا ظاهرة جديرة بالتأمل والاهتمام!! اكتشفوا أن سر تميز الموظف لا يكمن في نوع المهارات التي يمتلكها، ولكن في نمط استخدامه لهذه المهارات في الحياة!! ونصحني صاحبي أن أتذكر دائماً مقولة غاندي (الضعيف لا يمكنه العفو فالتسامح شيمة الأقوياء).

مبادرات البسطاء

تستنهض ضمير المجتمع

مبادرات البسطاء تستنهض ضمير المجتمع

> « المصيبة ليس في ظلم الأشرار بل في صمت الأخيار» .
> مارتن لوثر كنج

تمر بعض الأمم في مرحلة من تاريخها بلحظات انكسار وشعور بالانهزام، والأمة العربية تمر بأيام عصيبة (حيث تختفي عدد من القيم الأصيلة) عملت على نخر جسدها ليعيش أفرادها التيه وضعف الإرادة؛ فأصبحت الأمة تعيش على هامش الخريطة البشرية أو لنقل خارج الفعل والتأثير الحضاري.

في تقديري مشكلتنا ثقافية قبل أن تكون سياسية، حيث ينظر الجميع إلى قرارات الساسة ولديه قناعة لا شعورية أن التغيير لن يتم إلا من القمة، ويتغافل هؤلاء عن الأرضية الثقافية التي يقف عليها الناس، ابتداء من حركة المثقف المدجن (تحدث القرآن عن كتمان الحق ولبس الحق بالباطل وهم يعلمون) الذي جعل أعلى طموحاته الصعود إلى المنصة الرسمية، وانتهاء بالمواطن الأمي المسحوق الذي تآكلت إرادته تحت طاحونة حياة المسغبة؛ فأصبح المشهد كالتالي: سياسي متربع في عليائه بفضل ثقافة التزلف (نافق) وثقافة الركوع (وافق) هنا (نود التذكير) بأن لدينا في الوطن العربي ٧٠ مليون أمي يعيشون تحت سطوة إعلام مسموع ومرئي موجه.

لا شك أن مواجهة وضع خطير حاد من هذا القبيل وتحت وطأة المثلث الرسمي (نافق، أو وافق، أو فارق) طبعا خارج البلاد.

هذا المناخ الموبوء لا ينفع فيه الحزن (ثقافة الفجيعة) أو جلد الذات أو بث فكر اليأس كما يحلو لبعض المثقفين التيئيسيين إشاعته وإدخال الناس في راحة نفسية مؤقتة من خلال التأوه وندب الحظ والتهكم على الوضع القائم، والمدهش أن الكثير من الأفراد يأنس بذلك وكأنهم يجسدون قول مالك بن نبي: إن وراء كل قصة استعمار قصة شعب قابل للاستعمار.

الوضع إذا يستوجب مسئولية ومهمة ذات طبيعة خاصة تتجسد (في تقديري) في إطلاق أو التبشير بمشروع أو مبادرة شعبية ذات ثلاثة أضلاع مغايرة وبديلة للمثلث الرسمي (نافق، وافق، فارق) وهي على النحو التالي: (ضخ لقاحات ثقافية معنوية إيجابية في مختلف مفاصل المجتمع، إعداد كفاءات بشرية مؤثرة، بناء مؤسسات محايدة) نرحب بكل من يضيف تحت قناعة لا تضع العربة أمام الحصان.

قبل الحديث عن المبادرة الشعبية ثلاثية المحاور، أرغب التأكيد على أن الأنظمة الشمولية بحاجة إلى مشروع تغيير سلمي وبعيد كل البعد عن جميع مناهج وأساليب العنف، وأن يتم العمل لتأهيل العقل العربي على استخدام الكفاح السلمي والعصيان المدني، دون إراقة للدماء أو اللجوء إلى القتل أو الأحزمة الناسفة.

الله عز وجل خاطب كليمه موسى وأخاه هارون عليهما السلام في قوله تعالى ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾، أي اذهبا إلى فرعون الطاغية الذي جاوز الحد في كفره وطغيانه وظلمه وعدوانه «فقولا له قولا لينا» أي: سهلا مشبع بالرفق واللين والأدب.

وعودا على المحور الأول في المثلث الشعبي (الفت انتباه القارئ إلى أنني لن أتحدث في هذه المحطة عن المحور الثاني المتعلق بإعداد الكفاءات البشرية، لكنني أبعث تحية إلى المدربين في جميع المؤسسات التطوعية والحقوقية والثقافية والتعليمية لمحاولتهم تعليم المقهورين وإخفاء التفاوت بين أفراد المجتمع).

في تقديري أن هذا المحور يتصل ببث اللقحات المعنوية في المجتمع وينطلق عبر الاستشهاد بقوة الفعل وليس بعظمة المهنة، وسوف نتوقف عند مهنة متواضعة هي (مهنة الخياطة) ونقصد عدم حصر الأدوار على العلماء والمثقفين نقول: الكل يمكنه المبادرة بالفعل من موقعه، ويمكننا ملاحظة أن مهن الأنبياء والصالحين كانت مهناً بسيطة ومتنوعة لكنها تختزن عظمة الإرادة وصلابة الموقف، فنبي الله آدم كان مزارعاً، ونوح كان نجاراً، وإبراهيم كان بزازاً (تاجر أقمشة) وإسماعيل كان قناصاً، وداود كان حداداً (يصنع الدروع من الحديد) وإسحاق ويعقوب وشعيب وموسى عليهم السلام كانوا يعملون في الرعي، والياس كان نساجاً، ورسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان راعياً، للغنم ثم تاجراً، أما نبي الله إدريس فقد كان خياطاً.

يذكر التاريخ أنه في عهد المعتضد العباسي حدث أن اقترض أحد قادة الجند مالا من عجوز في بغداد، ورفض القائد فيما بعد أن يرد المال لصاحبه العجوز.

حاول العجوز استرجاع حقه مرات كثيرة ولم يستطع، عندها أرشده أحد الناس إلى خياط بسيط، قيل له: إنه الوحيد الذي يستطيع أن يحصل لك على مالك.

ذهب العجوز للخياط وأدهشه أنه بلا حراسة ولا خدم أو حشم، فقال له اجلس هنا فسرعان ما سأخذ لك بحقك، ثم بعث الخياط إلى بيت الضابط، واعلمه بأن يأتي إليه، ومعه نقود الرجل. وبعد لحظات جاء القائد وسلم الرجل العجوز دينه الذي عليه واعتذر له، وبعد أن ذهب الضابط قال العجوز للخياط: كيف أصبحت لك سلطة على هؤلاء؟

فأجابه الخياط: إن لي قصة مفادها أنني كنت جالساً في شرفة بيتي ذات ليلة، وإذا بي أرى أحد القادة يمر وهو على فرسه من أمام بيتنا، وفي الوقت نفسه كانت هناك امرأة جميلة تمر بهدوء وحشمة، وفجأة ترجل القائد من على ظهر جواده، وامسك بالمرأة، واركبها بالقوة على الجواد وانطلق بها نحو بيته، بينما كانت المرأة تصرخ مستغيثة، ولكن

القائد لم يهتم لذلك كله، فنزلت من الشرفة، وجمعت بعض الرجال، وذهبنا نتشفع في قضيتها، ولكن الضابط أمر الشرطة فضربونا ضرباً مبرحاً؛ فجئت إلى البيت، لكنني لم أذق طعم النوم كنت أفكر في المرأة، وفيما أنا أفكر في ذلك، جاءتني فكرة أن أذهب إلى مئذنة الجامع وأؤذن للصبح، وبالطبع فإن الضابط سيظن أن الصبح قد حان، فيتركها لشأنها وبذلك نفك أسر الفتاة.

وهكذا ذهبت إلى الجامع، وصعدت المئذنة، وبدأت أؤذن بصوت عال، وما أن أنهيت الأذان حتى رأيت الشرطة وقد أحدقوا بالجامع، وطلبوا مني أن أذهب معهم إلى قصر الخليفة (المعتضد) وأفادوني أنه بانتظاري فذهبت إليه، وكان ممتلئا بالغضب فبادرني قائلا: ما هذا بوقت أذان؟ أليس للبلد أحكام؟.

فقلت له: أطال الله عمر الخليفة إن أحكام البلد قد ديست بالأقدام يوم ترك للكبير أن يفتك بإعراض النساء ولا من رادع، ثم قصصت عليه ما جرى؛ فأمر بإحضار الضابط والمرأة، وبعد أن تأكد من أمرها، أمر بالقائد فقتل، ثم أفرج عن المرأة وأكرمها ثم طلب مني أن أؤذن كلما رأيت انتهاكا لحقوق الناس، وبما أن الخبر شاع بين الضباط والرؤساء فإنهم يهابونني؛ ولهذا كانت لي عليهم سلطة.

نعم يقول بيتـريو بيروث «تمنح السلطة بنسبة ٢٠ في المئة وتؤخذ بنسبة ٨٠ في المئة لذا خذها».

إن ثقافة انسحاق الفرد وانعدام ثقته بنفسه وبالآخرين وخوفه من البطش وتفرج الجماعة عليه (ثقافة الفرجة) وعدم نصرته تدفع إلى تجنب المبادرات وتشجع الناس على اللجوء للحلول الآنية والملتوية وتتكئ على ذكاء الفرد الشخصي في حل قضاياه، مما يرسم في الأفق معالم إبقاء الديكتاتورية شامخة منيعة، والبعد عن التفكير في المصالح العامة وتحمل المسئوليات الدينية والوطنية، بل إن أول من يلومك عند المبادرة هم الأشخاص الذين ضحيت من أجلهم.

من هنا نجد (في المجتمعات العربية) عبارة تتردد أكثر من غيرها «خير لك ألا تبادر لفعل شيء على أن تفعل فتلام»، وهي ثقافة تحتية تؤطر سلوكيات واتجاهات عامة الناس، ومعلوم أنه يوجد في البلدان العربية عشرات الآلاف من المؤذنين يتقاضون رواتب مجزية ويتنقلون في السيارات الفاخرة، لكنها وظيفة وليست رسالة.

الدرس الثاني نتوقف فيه مع روزا باركس -Rosa Parks مع الخياطة البسيطة، حيث تجمع قصتها بين إرادة الأفراد البسطاء وبين دعم المجتمع لقضاياه العادلة، فقد كانت قوانين المرور العنصرية في مقاطعة «ألاباما» الجنوبية في الولايات المتحدة الأميركية العام ١٩٥٥ تنص على أن يدفع السود ثمن التذكرة من الباب الأمامي، ثم يصعدون الحافلة من الباب الخلفي، كما كان أيضا محظورا على السود وفقا لهذا القانون الجلوس في المقعد المجاور لمرور الركاب، بالإضافة إلى أنه يتوجب على الأسود التخلي عن مقعده لصالح الأبيض في حال الزحام.

في ذلك اليوم العظيم قررت الخياطة البسيطة كسر قانون الطاعة، ورفضت روزا باركس أن تقوم من مقعدها وتتركه بكل مذلة للرجل الأبيض، هذا الرفض البطولي جعل شرطة مدينة «مونتغري» تفزع لاعتقال هذه المرأة التي تحدت القانون العنصري وتنتزعها بالقوة من مقعدها وتجبرها على دفع غرامة.

موقف هذه الإنسانة البسيطة (الخياطة) كان الشرارة التي أيقضت ضمير المجتمع ضد الظلم والتمييز، وأن لا يقبل بعض الناس العيش في أوطانهم ليكونوا مواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة.

الناقد الياباني نوبوا كي نوتوهارا في كتابه «العرب وجهة نظر يابانية» يرصد بمهارة عالم الاجتماع المثقف: في المجتمعات العربية تغيب المسئولية تجاه أفراد المجتمع «فالسجناء السياسيون ضحوا من أجل المجتمع، ولكن المجتمع نفسه يضحي بأولئك الرجال الشجعان» الناس في البلاد العربية تتعامل مع قضية السجين السياسي على أنها قضية

فردية على أسرة السجين أن تواجه أعباءها.

الجميل في حادثة روزا باركس ذلك الدعم من قبل مجتمع السود وبعض الأحرار البيض، حيث تمت مقاطعة الركوب في الحافلات لمدة عام كامل، وأصر المجتمع على متابعة القضية في المحكمة التي استمرت مدة ٣٨١ يوماً، وبعدها كسبت روزا باركس القضية وانهزم القانون العنصري إلى غير رجعة حتى شاهدنا اليوم رئيسا أسودا باراك أوباما يقود أميركا بفضل كفاح ونضال البسطاء من الناس.

وزيرة الخارجية الأميركية السابقة كوندوليزا رايس في مراسيم تشييع جنازة روزا باركس العام ٢٠٠٥ علقت بالقول «بأمانة أقول لكم من دون روزا باركس ما كنت سأقف بينكم اليوم وزيرةً للخارجية».

هذا الأسلوب السلمي والبسيط في كسر قانون «وافق» من خلال رفض الطاعة للظلم والمسكنة في اتوبيس الحرية Bus of the Freedom يتوج مقولة «لا يستطيع أحد أن يركب على ظهرك إلا إذا كنت منحنيا».

إن بلورة برنامج ثقافي يخترق حدود الأقلية المثقفة الحساسة لمسألة الكرامة والحرية الفردية بحاجة إلى ضخ لقاحات معنوية تشجع شراكة الجميع في التغيير، وكأنما يلوح لي في الأفق القريب ملامح لروزا باركس عربية بسيطة في مهنتها وفي طبقتها الاجتماعية، لكنها تملك إرادة فولاذية تكسر حاجز التمييز بين المواطنين.

يقول مارتن لوثر كينج الابن: «اخط الخطوة الأولى بيقين ليس عليك أن ترى الطريق بأكمله فقط اخط الخطوة الأولى».

مجتمع الطاعة

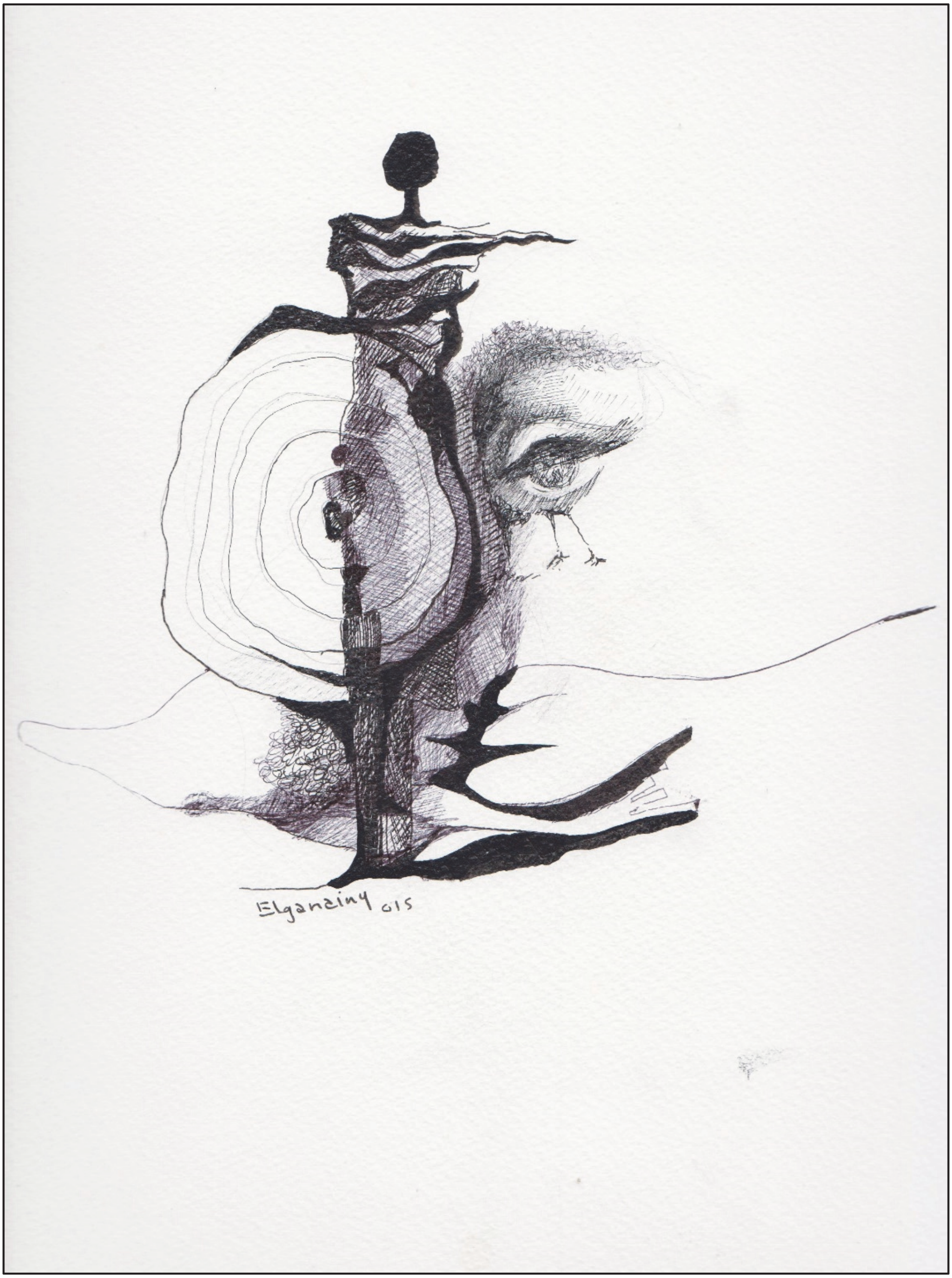
Elganainy 015

مجتمع الطاعة

« احيانا نحتاج إلى لطمه قوية على جانب الرأس تزيل الافتراضات التي تبقينا نفكر بنفس الطريقة ».
روجرفون أويك

يطلق كثير من علماء النفس الاجتماعي على العصر الحالي مسمى عصر «المجاراة» أو عصر التكتل وغيرها من المسميات الدالة على سيكولوجية الطاعة للجماعات؛ باعتبار أن الفرد يتفاعل مع الآخرين فتتولد لديه الضغوط نحو التماثل، فيميل كل عضو في الجماعة إلى إن يسلك ويتصرف بطريقة تتوافق مع الجماعة فيما يعرف بالانصياع العام.

والتساؤل هنا: إذا كانت المجاراة «تغير سلوكي أو اتجاهي يحدث كنتاج لضغط الجماعة الحقيقي أو المتخيل» فهل اتفاق الشخص مع الجماعة يعني المجاراة؟ وهل هناك فرق بين التغير المؤقت في الحكم أو الاتجاه أو السلوك حينما يتلاشى ضغط الجماعة وبين التغير الفعلي الذي يستمر بعد زوال الموقف؟ وهل هناك شخصيات مستقلة بعيدة عن تأثير الجماعة؟

«المجاراة» في الحقيقة ظاهرة سلوكية معقدة، وحتى نحافظ على رشاقة الطرح ولا نثقل على القارئ فإن علينا أن نميز بداية بين المصطلحات (الإذعان) و (الطاعة) و(القبول) بشواهد واقعية «فالإذعان» compliance يتجسد عندما يمتنع الرجل عن التدخين في منزله احتراماً لوالده أو تجنباً لأسئلة أبنائه، أو يتوقف عند إشارة المشاة

خشية أن يخالف الناس، أو أن يقدم الرجل العطاء خوفاً من وصفه بالبخل، أما «القبول» acceptance فهو أن يساير الفرد الآخرين مع اقتناعه بقيمة هذا السلوك. على سبيل المثال فإن إكرام الضيف والتبسم في وجه الآخرين وربط الحزام كل ذلك يتم اعتقاداً بأهمية هذا السلوك وصحته، أما «الطاعة» obedience فهي تتعلق بتنفيذ الفرد لطلبات محددة قد يتلقاها من أفراد يمثلون عادة مصدر سلطة ما قادة سياسيين أو إداريين أو مدرسين أو والدين مثلا. والملاحظة الهامة هنا أن الطاعة قد تكون مجرد إذعان أو قد تكون مجرد قبول!! فكيف يمكننا تحديد ما إذا كان الشخص مقتنع وغير خاضع لسلطة الجماعة؟

في محاضرة ألقيتها في مدارس الظهران الأهلية تحدثت عن نموذج مغواير Mcguir وهو نموذج يتعلق بنظريات (الإقناع) ضمن منحى معالجة المعلومات الذي تبنته جامعة (Yale) في مطلع الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين وقاده نخبة من علماء النفس عرف لاحقاً باسم برنامج (ييل للإقناع) وقد دعمته مؤسسات حكومية وخاصة ويرتكز على خمس خطوات: الأولى: «الاستقبال» فالفرد عندما يستقبل الرسالة الإعلامية أو التسويقية فإنه أمام خيارين: الانتباه أو الاستيعاب، فقد تثير الرسالة انتباه المتلقي لكنه لا يستوعبها!! أو قد يستوعبها بفهم خاطئ أو ناقص! فكأن النقاش يدور حول أهمية إثارة الانتباه مع الاستيعاب والسؤال لماذا؟

لأن الخطوة الثالثة هي الأهم «القبول» acceptance فما الفائدة أن تلفت الرسالة انتباه المتلقي أو يستوعبها لكن لا يقبلها ولا يقتنع بها!! ثم تأتي الخطوة الرابعة وهي الاحتفاظ؟ فما الفائدة إذا اقتنع المتلقي بها لكن تأثيرها يكون مؤقتا؟ وهكذا تأتي الخطوة الأخيرة وهو السلوك: فما الفائدة أن تكون في ذهنه لكنه لا يطبقها في الواقع؟!

من أجمل التعريفات للشخص المستقبل حقيقة «يعرف ما يتوقعه الناس من حوله، ولكنه لا يستخدم هذه التوقعات كمرشد له في سلوكه، فهو غير مكترث أو لا مبال بهذه التوقعات» وكأن انهيار الإطار المرجعي Frame Reference للفرد والذي يتوجه من

خلاله عبر الموقف يقود لحالة من فقدان الاتجاه، فلا يستطيع الشخص أن يدافع عن حكمه الشخصي أم يوافق على حكم الجماعة!

هنا يأتي دور التأثير المعرفي أو الإعلامي الذي يزود الفرد بمعلومات بحيث يتخذها الفرد شاهداً على صدق واقع معين؛ لذا نجد أبن خلدون قديماً يقول في مقدمته «على مقدار جودة المحفوظ والمسموع تكون جودة الاستعمال من بعده» وليسمح لي العلامة ابن خلدون للتعديل على مقولته؛ لأن هناك تزاحماً في هذا العصر بين المقروء والمرئي، بل نزعم أن هناك تفوقاً للمرئي بعد أن اجتاحت الفضائيات العقول لتقوم بدور «الإعلام الموجه» في البيوت وفي كل المواقع؟

الإعلام المعاصر (السلطة الرابعة) أصبح أداه خطرة ووسيلة تلعب دوراً حساساً في صياغة سلوك الأفراد والمجتمعات، أو لنقل لها تأثير ساحر في ترويض أذهان الناس وتعديل الاتجاهات وتغيير القناعات من حيث (الإغراق) أو (الحبس) وهي اللعبة الرائجة اليوم.

ولعل رصد المشهد الحالي والدور الأمريكي الساعي لتحريك اللعبة الطائفية في المنطقة يذكرنا بما حدث أيام الاحتلال البريطاني للعراق وقبيل اندلاع ثورة العشرين عندما زار القائد العسكري البريطاني (لجمن) المرجع الديني (الشيرازي) في النجف وعرض عليه أن يأتيه بمفاتيح روضة الإمامين في سامراء(وهي بيد السّنة) ويعطيها للشيعة، فرفض (الشيرازي) ثقة منه بمن كانت بأيديهم تلك المفاتيح وعاد (لجمن) يجر ذيل الخيبة، وقام المحتل بلعبة جديدة فبعث بطلب الشيخ (ضاري – من وجهاء السّنة) وقال له: كيف تطيعون فتوى الشيرازي وهو مرجع للشيعة؟ فأجابه الشيخ ضاري بكلمات شامخة كشموخه: والشيرازي مرجعنا أيضا!!.

كلنا يعلم أنه إذا كمل العقل نقص الكلام، وإذا كان الإنسان حرا في قراراته فإن الأوطان تقف على أرض صلبة ويبقى السؤال في وطننا العربي الكبير:

هل لدينا سقف من الحرية ومناخ يسمح للناس أن يكونوا مستقلين في آرائهم ومعتقداتهم؟ يقول أندري كيلواس (في معظم البلدان للمواطنين الحق في الكلام، لكن في البلدان الديمقراطية يملكون الحرية بعد الكلام).

البعد الإنساني في شخصية الفتاة الأمريكية

(راشيل كوري)

Elganeiny
2008

البعد الإنساني في شخصية الفتاة الأمريكية
(راشيل كوري)

« كل من يتصف بصفة الرحمة بفعله وسلوكه فهو مستحق للرحمة كافراً كان أم مسلماً » .
آية الله السيد منير الخباز

ذهبت (راشيل كوري) ابنة الثالثة والعشرين عاماً (Rachel Corrie) إلى غزة متطوعة مع حركة التضامن الدولية حيث شاركت في نشاطات متنوعة للتخفيف من سوء أوضاع الفلسطينيين المعيشية والحياتية كمساعدة المزارعين في حصد الغلال وتجهيز المستشفيات ومرافقة الأطفال للمدارس وإبقاء الطرق مفتوحة أمام سيارات الإسعاف والمشاركة بالاحتجاجات سلمية.

كانت (راشيل) طالبة جامعية تدرس في كلية إفرجرين ستيت في مدينة اولمبيا بولاية واشنطن، وكانت تعيش بسلام وحرية في جنة ما بعدها جنة لأنها تؤمن أن لها رسالة في الحياة؛ لذا التحقت بحركة التضامن الدولية، وهي حركة عالمية أرسلت ما يقارب من ألفي ناشط من أمريكا ومناطق أخرى في العالم إلى الضفة الغربية وغزة ومن بينهم ثمانية من مدينة (اولمبيا) الأمريكية أي (بلدة راشيل) وتذكر حركة التضامن الفدرالية أن الناشطين يدفعون تكاليف سفرهم ومعيشتهم من مواردهم الخاصة!!.

وقد انطلقت حركة التضامن الدولية International Solidarity Movement خلال مؤتمر لناشطي السلام الدوليين عُقِد بمدينة جنوة بإيطاليا في يونيو ٢٠٠١، حيث

تم الاتفاق خلاله على إرسال وفود شعبية دولية إلى الأراضي الفلسطينية تمثل المجتمع المدني العالمي تحت شعار: «حملة الحماية الشعبية للفلسطينيين».

وتعرف حركة التضامن (ISM) نفسها أنها أنشئت لمساندة وتقوية المعارضة الفلسطينية والشعب الفلسطيني من خلال توفير حماية دولية وصوت مؤيد للمقاومة الفلسطينية السلمية ضد قوة الاحتلال العسكرية الهائلة، وهو الذي شكل نظاما شبيها بالنظام العنصري الجنوب أفريقي (الأبارتهايد) والذي يسلب الفلسطينيّين حق الحياة والحرية يوميًا.

وقد قامت صحيفة الغارديان اللندنية بنشر بعض رسائل (راشيل كوري) لعائلتها.. وأصدقائها.. حيث كتبت إلى أمها... تقول: (إن مجيئي إلى هنا واحد من الأمور الأفضل التي قمت بها طوال حياتي).

وتقول راشيل كذلك: أنا أمشي على أنقاض منازل دمرها الإسرائيليون، وتضيف: أواجه أيضا صعوبة في الحصول على أخبار حول ما يحصل في العالم، وقد سمعت أن الحرب الأمريكية مع العراق باتت محتملة... لكن المظاهرات ضد الحرب تجعلني أشعر بالاطمئنان... وتضيف قائلة: نحن نعمل هنا في رفح من غير توقف، في بعض الأحيان علينا التواجد ليلاً لحماية آبار المياه من القوات الإسرائيلية ومن المستوطنين. إنني أومن بأن بلدتي (أولمبيا) تستطيع تقديم الكثير لرفح عبر إقامة علاقات اجتماعية مباشرة مع الناس؛ خصوصاً وأن هناك مجموعات تعمل على رعاية الأطفال بحاجة إلى المعونة.

عند استعراض تراجيديا قصة راشيل يلوح في الأفق سؤال يطرح نفسه بإلحاح:

ترى هل كانت (راشيل كوري) يوم ذهبت مع أصدقائها إلى غزة تعي أخطار هذه الرحلة؟

راشيل لم تمت برصاصة طائشة قضاء وقدراً، وهي لم تقتل بصاروخ سقط عليها

دون علمها... بل وقفت قبالة الموت واجهته وواجهها... ثم ماتت. ليس دفاعاً عن قومها، بل عن قومٍ آخرين وعن حلم نبيل بعالم أفضل يختفي فيه الظلم والقمع والقهر؟

إنها قصة مواطنة أميركية دفعت حياتها ثمنا لتضامنها مع الشعب الفلسطيني، وقضت نحبها بأسنان جرافة إسرائيلية سحقت جمجمتها بينما كانت تحاول لوحدها منع الجرافة من هدم بيت فلسطيني في مدينة رفح بقطاع غزة عام ٢٠٠٣، هذه المواطنة الأمريكية التي جاءت من بعيد لتقول لنا شيئا عن الضمير الإنساني يجعلنا نثق ليس فقط في الآخرين ولكن في عدالة كفاحنا. شكرا لمن يذكرنا بالشموخ وشكرا لمن يوقظ في دواخلنا الترمومتر الإنساني المثقل بالنعاس!

نحن نذكر راشيل الأمريكية المولد الإنسانية الجنسية نذكر أيضاً حلمها وحلمنا وقيمها المتسربلة بالكرامة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ فلولا أمثالها لظللنا كائنات داجنة في إسطبل الآراء المحنطة، ولمثلها من الأبطال الذين يصنعون التاريخ بصمود الأنبياء نوقد شموع الذكرى من أجل أن يطلع فجر العدالة، وربما نموت مثلها بغتة أو وجهاً لوجه، لكننا (مثلها) سنظل نعشق الكفاح ضد كل أشكال القهر في كل مكان على هذه الأرض. وقد حدثني ذات مرة الفقيه السيد منير الخباز قائلا: (كل من يتصف بصفة ألرحمه بفعله أو سلوكه فهو مستحق للرحمة كافرا كان أم مسلما).

الدرس العائلي التربوي الرائع الذي نرغب تسجيله هنا هو تعليق والديها في تصريح لهما: (لقد نشأنا كل أولادنا على تقدير المجتمع والأسرة الدوليين، ونشعر بالفخر لأن راشيل استطاعت أن تعيش حسب قناعتها. كانت راشيل تزخر بالمحبة والشعور بالواجب تجاه إخوانها من بني البشر -أينما كانوا- وقد ضحت بحياتها وهي تحاول حماية أولئك الذين لا يستطيعون حماية أنفسهم).

هكذا دوما تصدح الذكرى في الضمير، والقلم يتأوه بين الأنامل متماهياً مع قول

الإمام علي ﷺ: (الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) ومردداً قول الشاعر العربي (ضمن نطاق هذا الحزام الأخضر ولدت ونطقت كلماتي الأولى... كان اصطدامي بالجمال قدراً يومياً... كنت إذا تعثرت أتعثر بجناح حمامة... وإذا سقطت أسقط على حضن وردة).

الاحتفاظ بالطاقة والحيوية

الاحتفاظ بالطاقة والحيوية

> **« النشاط معد والكسل كذلك... عندما تبدأ يومك بأحدهما تنهيه به » .**
> **رالف أديسون**

عندما نفكر في قائمة الأشخاص الذين عاشوا حياه موفورة بطاقة مرتفعة وتمتعوا بروح معنوية عالية، نجد أن هذه الفئة من العظماء والمتميزين قد بحثوا عن ينابيع الطاقة داخل أنفسهم أولاً ثم عرفوا الطرق المناسبة لشحن طاقتهم الداخلية.

ومن بين العلماء الذين بحثوا في هذا المجال العالم النفساني (أبراهام ماسلو) حيث قام بإجراء أبحاث وعقد مقابلات مع هذه النوعية من الأشخاص -أصحاب الانجازات العظيمة- محاولاً الكشف عن سبب تميزهم؛ فوجد أن هؤلاء الأفراد ذوي الطاقة العالية تعلموا شيئاً لا يتعلمه أناس كثيرون، فأغلبهم يبدأون في الاقتراب من شيء روحي، شيء يتجاوز حدود الوجود المادي.

الناس تعلم بكل عفوية وتلقائية أن التعلق وجدانياً بشيء ما في الحياة والولع به يكسب الإنسان طاقة عالية، على سبيل المثال فإن يحب الإنسان بصدق ما يفعله ويستمتع بعمله وأسلوب حياته، هذا الولع يشعره بالرضا والارتياح وبالحماس الشديد تجاه من يعمل معهم، وبالنتاج النهائي لحركته في الحياة؛ لذا يقال الشغف معدٍ بمعنى عندما يكون هناك شغف بشيء أو بشخص، فإن العدوى تنتقل لتشع في نطاق كل الحياة، وهكذا

يتحقق التوازن، أي امتلاك حياة متوازنة تجمع بين الطاقة المرتفعة والعمل الجاد وبين الحياة المبهجة المفعمة بالسرور والإبداع.

لكننا عندما نرصد المشهد الاجتماعي يمكننا التوقف عند منطقة خطرة (منطقة رمادية) يعيش فيها قطاع عريض من الناس، هذه المنطقة لا تعرف النصر ولا الهزيمة لا يوجد بها استمتاع ولا تألم؛ لأن الناس في هذه المنطقة ببساطة لا تفعل شيئا وهم يكتفون بالتفرج، ويمضي العمر دون أن تحقق انتصارات متميزة، حتى لو تخلل هذه الإنجازات الإخفاق والفشل، ويبدأ الدخول إلى هذه المنطقة عندما يؤثر الإنسان طريق السلامة ولا يطمح إلى تحقيق أهداف محددة؛ فإنه لا شعورياً يسجن نفسه داخل أسوار وهمية -أسوار التوسط والاعتدال -ويحرم نفسه من فرصة إحراز فوز كبير، إضافة إلى الإثارة والنشوة المصاحبين لهذا النصر والتميز.

سألني أحدهم ذات لقاء: ما الذي يمكن أن يشعل حماسنا؟ قلت وبكل بساطة (تجدد أو تبدد). يجب أن ننتبه إلى أنه إذا ضاع منا حماسنا نصبح بحاجة إلى اكتشاف السبيل لإشعاله مرة أخرى، وذلك بوضع حلم أو (بتجديد الأهداف) لأن الحياة مستمرة.

الحياة تشبه إلى حد ما مباراة فيها لاعبون حقيقيون فاعلون ومؤثرون والقطاع العريض يتفرج!! العالم يقطنه ستة مليار إنسان والمؤثرون والقادة فيه يعدون على الأصابع، بل إن الأبحاث العلمية اليوم تربط بين وجود غاية وحلم وبين الصحة، وتجربة الدكتور (بيرني سيجيل) جديرة بالتأمل، فقد كان أستاذاً للجراحة في كلية الطب بجامعة ييل Yale في الولايات المتحدة الأمريكية. أنشأ في عام ١٩٧٨ جمعية مرضى السرطان المتميزين وهي تهدف إلى دعمهم وتشجيعهم على الصمود والكفاح، وكان رئيساً للجمعية الأمريكية للطب الشامل عام ١٩٨٨، وهي تدعو إلى التكامل بين الجوانب الجسمية والنفسية والروحية عند علاج المرضى. يذكر بيرني أن وجود غاية في الحياة يعد سبباً رئيسا في شفاء بعض المرضى، تماما من السرطان. فمن خلال حقل جديد للدراسة يسمى (علم المناعة العصبية النفسية) نتعلم أن مجرد التفكير في حلم أو هدف

مثير وتصوره يتحقق يمكن أن يؤدي إلى إفراز الجسم للكيماويات والهرمونات (مثل الاندورفينات) التي تعمل بدورها على تنشيط وتقوية جهازنا المناعي ومقاومة التوتر النفسي وخلق طاقة جديدة، ومن الناحية السلوكية فقد أمضى (روبرت جرين ليف) وزملاؤه سنوات طويلة يدرسون القادة وصفات القيادة واكتشفوا أن هناك صفة واحدة مشتركة تجمع بين القادة ألا وهي أنهم أصحاب أحلام عظيمة.

أليس من المدهش أن نرى في مجتمعاتنا عددا كبيرا من المتقاعدين (وبعضهم تقاعد مبكراً) لا يقوم بأي شيء سوى الأكل والنوم والترفيه وشعاره إنني تعبت وارغب أن أرتاح بقية حياتي! بينما الرسول ﷺ يقول: (إن قامت الساعة و في يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها).

ليس الهدف من عرض النماذج السابقة التشجيع على اتباع أسلوب معين في الحياة، لكننا عندما تحدثنا ذات مرة عن أهمية تجدد الأهداف، وكان الحديث يخص شريحة المتقاعدين استذكرنا ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام أن أحد أصحابه وهو معاذ بن كثير كان تاجراً للألبسة، وقد أعرب للإمام عن رغبته في ترك العمل بالسوق لاكتفائه المادي قائلاً: قد هممت أن أدع السوق وفي يدي شيء. فقال له الإمام الصادق موبخاً: (إذاً يسقط رأيك ولا يستعان بك على شيء)!!. الحديث هنا عن أهمية أن يجد الإنسان شيئاً يكرس له كل اهتمامه لدرجة أن يضحي من أجله عن طيب خاطر، ولا يسع المقام لذكر كثير من المشاهير والعظماء والمصلحين الذين استمروا يعيشون حياة زاخرة بالعطاء والإنتاج والحيوية بعد تخطيهم التسعين.

واختم بوقفة مع النصف الآخر من المجتمع (النساء) فمع مغادرة الأبناء الأسرة بعد أن كبروا ليبدؤوا حياتهم الأسرية الخاصة بهم حينئذ تبدأ معاناة النساء بما يعرف في علم اجتماع الأسرة المعاصر بـظاهرة (العش الخالي). نعم لقد أنجزت الأمهات رسالتهن بنجاح. لكن ماذا بعد؟ أليس هناك جدوى للحياة؟.

أقول: لا نستطيع وقف الزمن ولا العودة به، بل علينا التمتع بالأنشطة التي نقوم بها، فتربية الأبناء نوع من العبادة، ورعاية الآباء نوع من العبادة، والقيام بالأعمال الهادفة نوع من العبادة. ولعل تجديد الأهداف ورسم حلم ملهم قد يضفي على الحياة السحر ويبعث فيها نكهة وجمالاً وطاقة.

السحر الحلال

السحر الحلال

« الابتسامة هي انحناء يجعل كل شيء مستقيماً » .
فيليس ويلر

قدم هشام بن عبد الملك للحج برفقة حاشيته ومعهم الشاعر العربي الفرزدق، وكان البيت الحرام في تلك السنة مكتظاً بالحجيج ولم يفسح له المجال للطواف فجلب له متكأ ينتظر دوره، وعندما قدم الإمام (زين العابدين) علي بن الحسين بن أبي طالب عليه السلام انشقت له صفوف الناس حتى أدرك الحجر الأسود؛ فثارت حفيظة هشام وأغاظه ما فعلته الحجيج للإمام، فسأل عنه أحد مرافقيه فقال هشام بن عبد الملك: لا أعرفه! عندها تصدى له الشاعر العربي الفرزدق قائلا:

هذا الذي تعرف البطحاء وطـــأته والبيت يعرفه والحـــل والحـــرم
هذا ابن خير عبـــاد الله كُـــلُّهـــمُ هذا التقي النقي الطاهـــرُ العلـــمُ
وليس قولـك: منْ هـذا؟ بضـــائره العـرب تعرف من أنكرت والعجمُ

إلى أن يذكر الفرزدق صفة هامة للإمام زين العابدين-الذي انشقت له الصفوف- وهو معرض حديثنا في هذه السطور:

يُغضـــي حياءً، ويغضـى من مهابته فمـــا يكلـُّـــم إلا حـــين يبتسمُ

ذكر الثعالبي في كتابه فقه اللغة أن التبسم أول مراتب الضحك، وفي صفة الرسول

الأعظم ﷺ أنه كان جل ضحكه التبسم، وفي لسان العرب أن التبسم: هو أقل الضحك وأحسنه. وقال الزجاج: التبسم أكثر ضحك الأنبياء عليهم السلام، وقال الليث: بسم يبسم بسماً وامرأة بسامة ورجل بسام. وجاء في القران قوله تعالى ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ في قصة نبي الله سليمان مع النملة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل:١٨-١٩]. والدرس السلوكي المستفاد من هذه الآيات أن تبسم سيدنا سليمان (وهو حاكم) هو بمثابة تبسم الكبير للضعيف، والتبسم الذي لا يخيف الآخر، ولا ينوي أذاه، وهو بمثابة تبسم الحاكم العادل للمواطن، وهو أيضاً بمثابة تبسم القائد الإداري للمرؤوس، ذلك التبسم الذي يعكس أن القائد الإداري مستقر نفسياً، متزن ومتقبل للنقد بروح شفافة ورياضية، كما تتضمن ابتسامة سيدنا سليمان إعجابه بهذا المخلوق الصغير والضعيف وهو يدافع عن مملكته منادياً بقية النمل (ادخلوا مساكنكم) والقصة تقدم مثلاً لنملة إيجابية (أنثى) نملة شجاعة كان من الممكن أن تهرب وحدها وتدخل جحرها، لكنها أول نملة رأت الجيش قبل غيرها من النمل فخشيت على قومها، لم تعش لنفسها وشجاعتها فمن الممكن أن تموت تحت الأقدام وهي تنادي على النمل، لكنها تضحي من أجل حياة الآخرين.

هذا الموقف من النملة أدى إلى إنقاذ مملكة النمل من الدمار فيا لجمال الله يسمي السورة بالنمل!! وتبسم نبي الله سليمان عليه السلام لكلام النملة يدل أيضاً على الإقرار بأحقية المواطنين المظلومين للمطالبة بحقوقهم، وأن للمظلوم الحق في الدفاع عن نفسه وتبسمه يدل على أن الرعية في مأمن عندما تبدي رأيها، خصوصا وأنه يتم ضمن الحراك السلمي.

واليوم تتم على الصعيد العالمي مراجعة علمية حول دور وأهمية الابتسامة وطلاقة الوجه وأثرها على العلاقات الإنسانية وعلى منظمات العمل، وكأن التوجه المعاصر يختزن تراث دعوة الأنبياء والفلاسفة والأدباء يقول الرسول الأعظم ﷺ: (لا تحقرن من

المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق) ويقول عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم: (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق) ويقول سيد البلغاء الإمام علي ﷺ: (البشاشة حبال المودة) ويقول جون لوك: (الوجه البشوش شمس ثانية) ويقول لابروبير: (ليكن وجهك بساماً وكلامك ليناً تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة) ويقول جون ميلتون: (بشاشة الوجه تجود من سخاء الكف). وفي كتابه الرائع (فيض الخاطر) يقول أحمد أمين: (ليس المتبسمون للحياة أسعد حالاً لأنفسهم فقط، بل هم كذلك أقدر على العمل وأكثر احتمالاً للمسئولية وأصلح لمواجهة الشدائد ومعالجة الصعاب والإتيان بعظائم الأمور التي تنفعهم وتنفع الناس، ولو خيرت بين مال كثير أو منصب خطير وبين نفس راضية باسمة لاخترت الثانية فما المال مع العبوس؟! وما المنصب مع انقباض النفس!).

ولعل رئيسة الفلبين (غلوريا ماكاباجال أرويو) قد طالعت كتاب أحمد أمين حين لاحظت افتقار موظفي المطار إلى «الابتسامات الودية» و«الوجوه المبتسمة» وذلك في المطار الدولي في العاصمة الفلبينية مانيلا حيث أعربت (أوري) عن استيائها من الوجوه العابسة التي كانت لاحظتها لموظفي المطار أثناء انتظارها في قاعة كبار الزوار؛ فأصدرت أوامرها للموظفين برسم المزيد من الابتسامات على وجوههم، وجاء في المذكرة أن على الموظفين إظهار سمات الفلبينيين الذين يتميزون «بالبهجة واللطف والمساعدة» وجاء في المذكرة أيضا أن «الفلبينيين يعرفون بحسن الضيافة واللطف والعمل الدؤوب والبهجة وهم يفخرون بعملهم ومستعدون لمساعدة الآخرين المحتاجين ويتسمون دائماً بابتساماتهم الودية الدافئة ووجوههم المبتسمة».

ويبقى البوح للمسؤولين والوزراء العرب الذين لا يبدون اكتراثا بهموم المواطنين في المنافذ والحدود البرية والمطارات أن هناك أشياء صغيرة وبسيطة لكنها عظيمة في قيمتها تميز سمات الأفراد وتبرز ملامح الشعوب، فليس كل ما هو صغير يعني عدم

الأهمية! ولنا في قصة موت نبي الله سليمان ﷺ عبرة، فلم يخطر في بال الجن والعفاريت أنه مات، والذي لفت نظرهم إلى موته حشرة (صغيرة) لم ينتبه لها أحد أكلت عصاه التي كان يتكئ عليها؛ فانكشف سر موته!! وعلينا أن لا ننسى أيضا وسط زحام العصر أن الابتسامة كلمة طيبة بدون حروف.

من حقي أن أستمتع بإجازتي

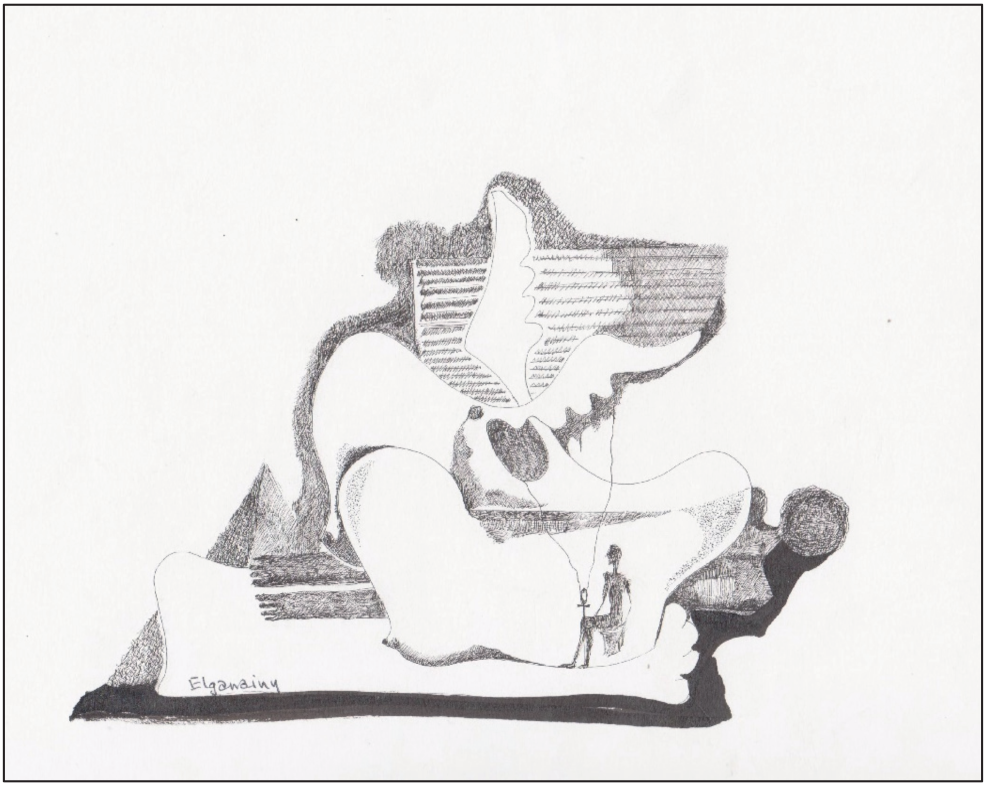
Elganainy

من حقي أن أستمتع بإجازتي

> « لا يمكن إنجاز شيء دون بعض الانفراد بالنفس » .
> بيكاسو

عندما نتحدث عن العطلة الأسبوعية أو الإجازة بشكل عام نجد لزاما علينا أن نشكر النقابات العمالية التي دافعت مشكورة عن حق الإنسان العامل في الراحة وحقه في العطلة، هذا العامل المسحوق الذي يبدأ يومه قبل طلوع الشمس وينتهي بعد غروبها!!

الإشادة بالنقابات نقصد بها هنا التأكيد أن العطلة الأسبوعية والإجازات لم تكن ضربة حظ، صحيح ان الانقطاع عن العمل تقليد قديم، فقد كان لليهود سبتهم وللمسيحيين يوم الأحد ومن ثم يوم الجمعة للمسلمين؛ لكن انتزاع هذا الحق في العصور المتأخرة كان وليد جهد حثيث وصراع بين النقابات العمالية وأصحاب المال حتى وصل الحال إلى ما نحن عليه اليوم؛ فتماهت العطلة الاستجمامية بالعطلة الدينية عند أغلب الشعوب.

لقد انتشر تقليد الإجازة الأسبوعية تدريجيا حتى عم كافة المؤسسات، و من ثم نظمت قوانين العمل في معظم الدول الأوروبية وأمريكا هذا الحق باعتبارها تعيش «ثورة حقوقية» وهكذا أصبح العمال والموظفون يعملون ثماني ساعات يوميا ولمدة خمسة أيام (أي ما يساوي ٤٠ ساعة عمل) اسبوعياً؛ فأصبحت حياة العامل والموظف موزعة

على ثلاثة أقسام-سنتوقف عند هذا التقسيم لاحقاً - ثلث هذا الوقت في المصنع والشركة، وثلث للنوم، و ثلث للاسترخاء و أوجه النشاطات الشخصية المختلفة الأخرى.

وفي الدول العربية والإسلامية تم اعتماد يوم الخميس ليشكل مع يوم الجمعة الإجازة الأسبوعية بدلاً من السبت والأحد (كما هو الحال في الدول الأجنبية). ففي المملكة العربية السعودية على سبيل المثال -وتحديداً عام ١٩٧٥م- تم اعتماد نظام العطلة الأسبوعية المعمول به حاليا والذي أصبح منذ ذلك الحين جزءاً أساسياً من أسلوب حياة الإنسان في المملكة، وتدرس لجنة الإدارة والموارد البشرية في مجلس الشورى السعودي حالياً توصية «لجعل عطلة نهاية الأسبوع يومي الجمعة والسبت بدلاً من الخميس والجمعة »، ثم لاحقاً استبدالها بيوم السبت انسجاماً مع العطلة الاسبوعية في دول العالم[1].

عندما كنا ندرس في مدينة مديسن في ولاية ويسكانسن الامريكية أجري استفتاء لاستطلاع رأي الناس حول زيادة السرعة على الطرق السريعة من ٥٠ ميلا في الساعة إلى ٦٥ ميلا في الساعة، والرائع في الأمر أن هذا القرار (الذي يتصل بحياة الجميع وموتهم) لم تتخذه مجموعة من رجال المرور الذين يقررون بالنيابة عن الناس مصيرهم وأسلوب حياتهم!! لذا فإنني اقترح على مجلس الشورى (وهو مجلس معين نتمنى أن يكون مستقبلا مجلسا منتخباً) أن يأخذ رأي الناس فيما يخص أسلوب حياتهم، كالسرعة على الطرق وعطلة نهاية الأسبوع وجميع الأمور الأخرى.

وإذا عدنا إلى التقسيم الثلاثي للوقت فحري بنا أن نعرف أن معطيات الحياة قد أثرت على مضمون الإجازة، بمعنى أن الحياة المعاصرة لم تكتف بأربعين ساعة عمل اسبوعياً، فهناك تواصل بين مكان العمل والبيوت عبر الكمبيوتر، وكأن العمل يزحف على حياة الناس الخاصة، وهناك أيضاً حاجة الناس الملحة لزيادة دخلهم عن طريق

---

(١) تم تطبيق ذلك حيث اعتمدت عطلة يومي الجمعة والسبت.

العمل الإضافي، فعلى سبيل المثال تشير الدراسات إلى أن أكثر من ٨٠٪ من الموظفين البريطانيين يعملون ما يزيد على ٤٨ ساعة أسبوعيا! فما عسانا نقول بشأن المواطن في عالمنا العربي حيث تلاشت الطبقة الوسطى ويعيش الناس حياة المسغبة؟ هذا إلى جانب علمنا أن نمط الحياة في المدينة العربية آخذ في التصاعد، حيث بدأ الناس يؤجلون الكثير من الأنشطة الاجتماعية كزيارة الأصدقاء وأداء الواجبات الأسرية إلى أيام الإجازة. أضف إلى ذلك أن شريحة عريضة من النساء يعملن خارج بيوتهن؛ مما يدفعهن إلى تأجيل الأعمال المنزلية لتتراكم في الإجازة، وكذلك التسوق وصيانة المنزل، هذه الاعمال جميعها تؤجل الى عطلة نهاية الأسبوع، أو تتم جدولتها في الإجازات، والنتيجة النهائية هي أن طاحونة الزمن لا تفرق بين يوم وآخر من الأيام!

جاء في تراثنا الديني (من تشابه يوماه فهو مغبون) وفي تقديري أن أحد أهداف التجدد في الحياة هو أخذ استراحة مؤقتة نستخدمها (كشاحن بطارية) من أجل حياة زاخرة بالعطاء. لقد عرف الإنسان العربي في تاريخه من قال له: كن في يومك هذا أفضل منك في أمسك؛ وليكن غدك خيراً من حاضرك، ولا شك أن ذلك التألق المفعم بالحيوية يتأتى بصناعة أهداف واضحة نركز عليها في الحياة.

هناك دائرة توازن واعتدال في الحياة يتقدمها وجود هدف واضح؛ فوجود الهدف ينشط الروح المعنوية ويحدد المسار، فنحن ننهض كل يوم ونذهب إلى العمل بشكل روتيني قاتل وممل. إننا نذهب لمجرد الحضور حتى في حالة المرض؛ لذا فقد وردت في كتاب (مبادئ بسيطة للتميز في العمل) لمؤلفه (أليكس إيه. لول) نصيحة يقول فيها: (خذ إجازة من العمل حين تكون مريضاً أفضل لك من الحضور لمجرد الوجود الذي يؤدي لنتائج سلبية لك ولزملائك).

الإجازة لها هدف واضح. وبالرجوع إلى أدبيات علم الإدارة نتبين أن الهدف من الإجازة هو حصول الموظف على قسط من الراحة والاستجمام بعيداً عن العمل وأعبائه ومسؤولياته ليعود اليه مرة أخرى أكثر نشاطاً وحيوية. فهل نعود حقا إلى أعمالنا أكثر

نشاطاً وحيوية؟

جاك ويلش رئيس تنفيذي سابق لشركة جنرال إلكتريك يقول: (تغير قبل أن تضطر إلى ذلك!) وأضيف هنا: إن كل خطوة نخطوها في اتجاه تحقيق أهدافنا باعتدال تعمل في النهاية على زيادة شعورنا بالسعادة.

منزل لا يدخله الضيف لا تدخله الملائكة

ELganainy

منزل لا يدخله الضيف لا تدخله الملائكة

« غطوا معايبكم بالسخاء فإنه ستر العيوب » .

الإمام علي عليه السلام

قد ينظر البعض إلى مسألة الكرم والضيافة باعتبارها حكاية من الماضي ترتبط بقلة الزاد وعدم إمكانية الحصول عليه بمقابل مادي في ذلك الوقت كما هو الحال هذه الأيام، وخاصة في الأماكن النائية وطرق السفر، وأن الكرم ومراسيم الضيافة بدأت تختفي تدريجياً (خاصة عند سكان المدن) تبعا للتطور الاجتماعي والمادي الذي فرضته الحياة المدنية، بما في ذلك توفر الأماكن العامة التي توفر هذه الخدمة للغرباء والمسافرين.

نقول: إن هذه السطور ليست دعوة ماضوية، بل دعوة لتعزيز تلك الصلة الوثيقة بين التربية القرآنية المتعلقة بالكرم وحسن الضيافة وبين الخصال التي احتلت مركزية رئيسة في الأخلاق العربية. ولعلها قناعة ذاتية بضرورة مد الجسور بين تراثنا الأخلاقي ومنظومته القيمية وبين معطيات الحياة المعاصرة التي هي بحاجة إلى جهد فكري وإبداعي لعصرنة ذلك (الكنز الاستراتيجي) لكي ننطلق مجددا باعتبارنا أمة متميزة بهويتها ومختلفة عن الوافد الأجنبي من القيم التي تحاول تشويه هذه الهوية؛ بل لعلها بحاجة إلى التمرد على الدخول في بيت الطاعة لثقافة الرأسمالية الوقحة.

فقد روي أن الرسول الأعظم ﷺ مّر برجل له إبل وأبقار كثيرة فلم يضيفه، ومّر

بامرأة لها شويهات فذبحت له إحداها فقال ﷺ: «انظروا إليها فإنما هذه الأخلاق بيد الله عزّ وجل، فمن شاء أن يمنحه خلقاً حسناً فعل».

هذا الثناء من قبل سيد البشرية على امرأة كريمة قامت بواجب ضيافته ﷺ يذكرنا بقصة امرأة كريمة صابرة باذله للمعروف وإكرام الضيوف اصطفاها الله عز وجل واختارها من بين البشر لتكون زوجاً لخليله عليه السلام، لم يذكر القران اسمها صراحة وإنما أشار الله إليها في موضعين في سورة هود وفي سورة الذاريات، إنها «سارة» امرأة نبي الله إبراهيم عليه السلام. يقول سبحانه وتعالى في صاحبة المناقب العظيمة ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ﴾ لخدمة هؤلاء الأضياف الذين حلّوا على زوجها ؛ فخدمة الضيف وإكرامه خصلة شرعية طيبة ينبغي غرسها في النفوس، وغاية هذه السطور أن يتربى عليها الجيل من الأبناء، ولعل الدرس الذي تقدمه «سارة» باعتبارها قدوة للنساء في الكرم وخدمة الضيوف له إسقاطات على حياتنا المعاصرة؛ نظراً لما يلاحظ من تذمر بعض الزوجات من كرم أزواجهن وتردد بعضهن في القيام بفتح بيوتهن للضيوف، أو حتى للقاءات أسر أزواجهن الممتدة في المناسبات الاجتماعية والأعياد بهدف لم الشمل والتواصل العائلي، ولنا في تجربة نبي الله إبراهيم الخليل وزوجته عبرة أخلاقية، فقد كانا على استعداد لاستقبال أي ضيف وفي أي وقت، إلى درجة أنه كان عليه السلام إذا حضر طعامه ولم يجد من يشاركه فيه يخرج ميلا أو ميلين يلتمس من يأكل معه.

كما يذكر الحق سبحانه وتعالى في موضع آخر ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ يقول المفسرون (الروغان) هو الذهاب بسرعة واختفاء بحيث لا يكاد يشعر به الضيف إلا وقد جاء بطعام ضيافته. وكلمة (إلى أهله) تتضمن مدحاً لما فيه من الإشارة إلى أن كرامة الضيف حاصلة عند أهله لاعتيادهم على الضيافة، ومعلوم أن إبراهيم الخليل عليه السلام هو أول من ضّيف الضيفان وأول من بنى داراً للضيافة، ولعل هذه السطور تحفز ذوي الهمم العالية من المقتدرين مالياً إلى بناء دور للضيافة في مجتمعاتهم المحلية بهدف إحياء هذه السنة الحسنة.

ويجمع العقلاء على أن من أبرز مظاهر الوعي عند الأفراد هو شعورهم بحق الجماعة عليهم وتصرفهم بما يمليه عليهم ضميرهم الأخلاقي، وبهذا المقياس يقاس رقي الأمم وخلود الحضارات وعظمة الديانات؛ خصوصاً وإننا نرتع من معين تراثنا الديني والأخلاقي الذي يندر أن توجد فيه روح الانعزالية والفردية.

فحاتم الطائي لم يكن أغنى الناس في زمانه؛ لكنه كان قمة في العطاء يقول:

أضاحك ضـيفي عنـد إنزال رحله ... ويخصـب عندي والمحل جديـب
وما الخصب للأضياف أن تكثر القرى ... ولكنما وجـه الكريم خصـيب

فالعطاء ليس مقصورا على ملكية المال؛ فحجم المنزل -على سبيل المثال- من حيث الكبر والصغر ليس له علاقة بالكرم وحسن الضيافة ؛ فهناك منازل كبيرة (بل تشبه القصور) يستوحش الناس من الدخول إليها، بل تهرب منها حتى العصافير لبخل أهلها، والعرب تقول: (الأماكن بأهلها). وقصة (الثعلب والطبل) التي وردت في كتاب «كليلة ودمنة» لابن المقفع من القصص التي علمتنا منذ الصغر أن لا نخدع بحجم الأشياء؛ لأن مقياس النفع لا يكون بمقاسات أحجامها وتقول القصة: «زعموا أن ثعلباً أتى أجمة فيها طبل معلق على شجرة، وكلما هبت الريح على قضبان الشجرة حركتها فضربت الطبل فسمع له صوت عظيم، فتوجه الثعلب نحوه، فلما أتاه وجده ضخماً وأيقن بكثرة الشحم واللحم فعالجه حتى شقه، فلما رآه أجوف لا شيء فيه قال: لا أدري ربما كانت أتفه الأشياء أجهرها صوتاً وأعظمها جثة».

في حالات عديدة تبرز قيمة الكرم والمبادرة والجود خصوصا عند تقلبات الدهر وحوادث الزمان والأزمات التي قد تتعرض لها الأسر والعوائل وكذلك حالات الزواج والوفاة. في مثل هذه الظروف يتألق دور السخي وهو الذي يبادر ولا ينتظر أن يقع في دائرة الإحراج حتى يعطي أو يقوم بالمساندة الاجتماعية، فالجود يعني المبادرة والفزعة. في هذا السياق يذكر التاريخ أن صعصعة بن صوحان قائد الجيش في معسكر الإمام

علي﵇ وقد كان شجاعا وخطيباً بليغاً من أهل القطيف توفي سنة (٦٠) هـ قد سأله معاوية ذات مرة: ما الجود؟ فقال: التبرع بالمال والعطية قبل السؤال.

وأختم بحديث حول أول من ضيف الضيفان، فقد روي أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى نبيه إبراهيم الخليل﵇ (أتدري لم اتخذتك خليلا؟ قال: لا يا رب قال: لأني رايتك تحب أن تعطي ولا تحب أن تأخذ) وفي خبر آخر (لم أجد قلبا أسخى من قلبك).

أساليب المبدعين مختلفة

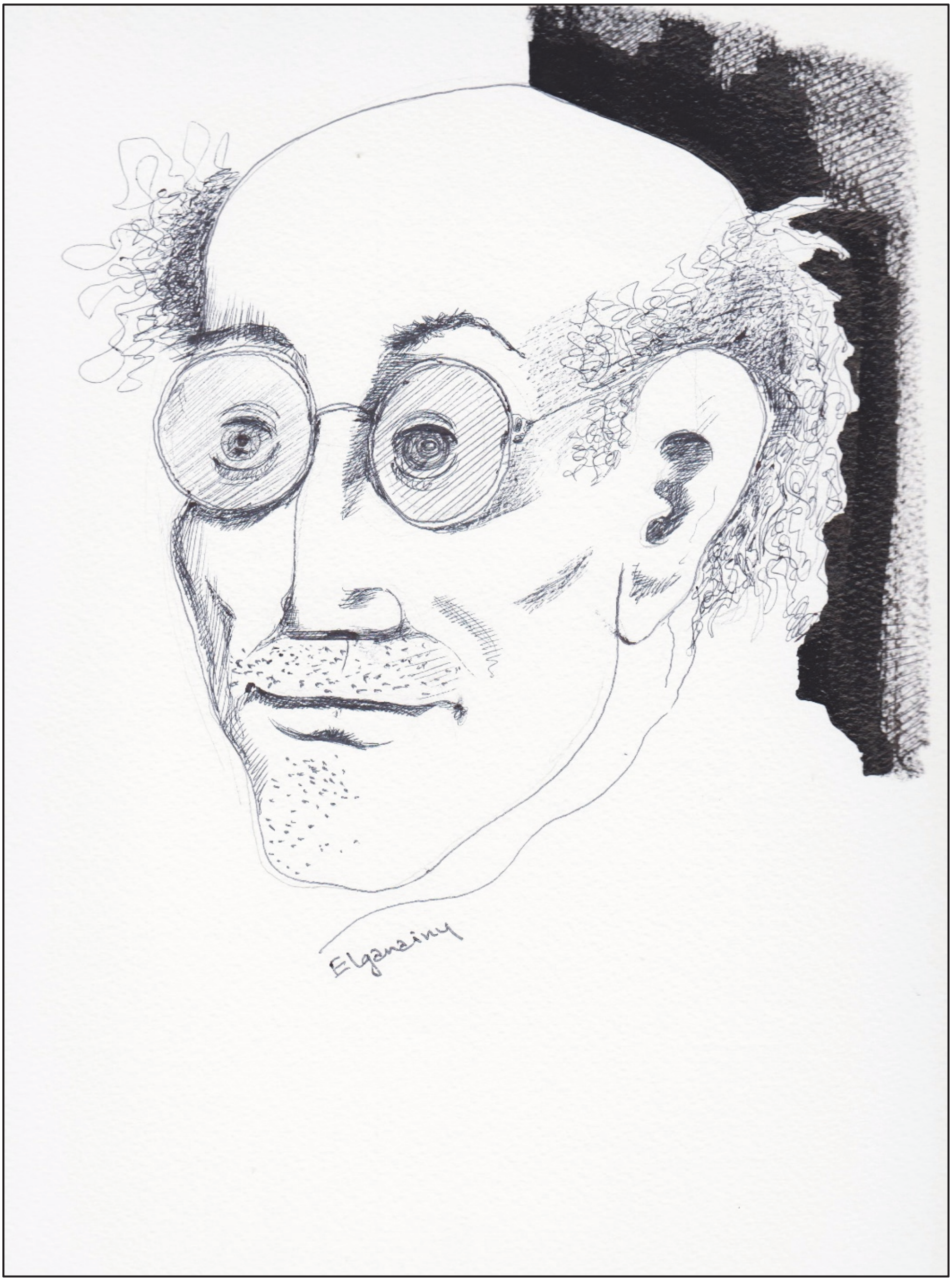

أساليب المبدعين مختلفة

« من لا يتفوق على معلمه يكن تلميذا تافها » .
ليوناردو دافنشي

عندما نقرأ التاريخ الشخصي لحياة المبدعين والمفكرين نلاحظ أن كل واحد منهم كانت له طريقة خاصة أو أسلوب منفرد لشحن الذهن وإثارة القدرة الإبداعية، البعض منهم تقدح لديه شرارة الإبداع حين يشرب القهوة أو الشاي، والبعض الآخر تعود على النظر إلى البحر وسماع الموسيقى والبعض يعشق التأمل والصلاة.

وقد وصف الشيخ الرئيس ابن سيناء في كتاب أعلام النبلاء ما كان يفعله كلما احتار في مسألة قائلا: (كلما احترت في مسألة ترددت إلى الجامع وصليت وابتهلت إلى مبدع الكل حتى يفتح لي المغلق وييسر المتعسر، وكنت أرجع بالليل إلى داري واضعاً السراج بين يدي وانشغل بالقراءة والكتابة، فكلما غلبني النوم أو شعرت بضعف عدلت إلى شرب قدح من الشراب ريثما تعود إلى قوتي). أما طه حسين فقد كتب ذات مرة في رسالة إلى توفيق الحكيم (أنت تعلم أن السيجارة تلهمني كما يلهمك الجلوس على القهوة) كما يذكر أن (ارنست هيمنجواي) الأديب الأمريكي الذي فاز بجائزة نوبل في الأدب عام ١٩٥٤م قال أنه يبري عشرين قلماً من الرصاص ليكون ذلك وسيلة لتساعده على قتل الرتابة في أعماله.

وفي دوراتنا التدريبية التي نقدمها حول إدارة الوقت نسأل المتدربين دائماً عن (ربيع الوقت) بمعنى ما هو الوقت المفضل لنشاطك وحيويتك.. و ما أزال اذكر قول هكسلي في تعريفه للمثقف (المثقف هو من اكتشف شيئا أكثر تشويقا من الجنس)!! هذا المعنى يتماهى مع ما جاء في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان في المقولة الرائعة لإبراهيم ابن أدهم الصوفي وصاحب سفيان الثوري والتي يجب في تقديري أن تكتب بماء الذهب (نحن في لذة لو علم بها الملوك وأبناء الملوك لحاربونا عليها بالسيوف). هذا الذوبان في العلم والعشق النبيل للمعرفة يقهر الزمن ويستنطق الهمم العالية. كان الفيلسوف الألماني (كانت) يعمل في النهار وهو في سريره ويتلحف بالأغطية المتنوعة بطريقة تسمح له بالكتابة، ويذكر أنه في أثناء كتابته لكتابه المعروف (نقد العقل) كان ينظر من خلال نافذته إلى برج قائم على مسافة قريبة من منزله وقد أصابه إحباط عندما نمت الأشجار فحجبت عنه البرج ولم يستطع أن ينهي عمله إلا بعد أن قامت البلدية بإزالة تلك الأشجار حرصاً على فيلسوفها!! ولن ارسم مسحة حزن على مثقفينا ومفكرينا في الوطن العربي واكتفي بالتلميح فلعله أنجع من التصريح!.

فالالهام إذاً عملية سيكولوجية لا يمكن تحقيقها إلا بشروط بعضها شخصي وبعضها بيئي- وإن كان هناك غرابة في طباع بعض المبدعين - فعلى سبيل المثال ((موتسارت) الموسيقار النمساوي ١٧٩١م -اقترح الدخول على you tube وكتابة موتسارت السيمفونية ٤٠-. موتسارت المبدع كان يقوم بتمارين رياضية إذا تأزم نفسياً، كما كان (بودلير) الشاعر الفرنسي يتعاطى الحشيش، وقد ربط في مقالات عديدة بين تعاطي الحشيش ومضاعفة الخيال!! والطريف أنني منذ فترة قصيرة شاهدت على إحدى الفضائيات مقابلة للشاعر المصري أحمد فؤاد نجم ذكر فيها أنه يفعل كما يفعل (بودلير)!!.

والحقيقة أن الأمثلة متعددة والوسائل التي ابتكرها المبدعون والمفكرون لشحذ أذهانهم متنوعة، لكنني أرغب هنا التوقف عند إشكالية وغموض حول عملية الإلهام

التي أوقعت العديد من المفكرين في حرج وإرباك وشاعت على إثرها قناعة لسنوات طويلة أن عملية الإلهام تحدث بشكل قدري ومفاجئ، وهذا غير صحيح.

أدبيات الإبداع المعاصرة تؤكد أن العملية الإبداعية لا تنتهي عند (الإلهام) بل يتضمن العمل الإبداعي جانبا من (مجاهدة النفس) وتمرسا بالفكر حتى يتصاعد في مقاييس الأصالة فتنتقل عملية الإلهام باعتبارها مادة خام إلى شكل متكامل ونهائي. يقول توماس أديسون (معظم أفكاري اخترعها آخرون ولم يكترثوا بتطويرها) ويقول نجيب محفوظ (الجلوس للكتابة يقتضي أن يكون لديك استعداد نفسي). ويعتبر (نيوتن) نموذجاً طيباً في هذا المجال فقد أمضى إحدى وعشرين سنة يفكر في نظريته ويحكمها قبل أن ينشر قوانينه وقد جاء في نهج البلاغة قول صاحب المناقب وأسد الله الغالب علي بن أبي طالب ﵇: من أكثر الفكر فيما تعلم أتقن علمه وفهم ما لم يكن يفهم. ويذكر (هيمنجواي) أنه عدّل خاتمة روايته (وداعاً للسلاح) تسعاً وثلاثين مرة قبل أن يرضى عنها. أما الفيلسوف كانت فقد علق في كتابه (نقد العقل) قائلا: مع أن الكتاب ثمرة تأمل شغلني على الأقل اثني عشر عاماً؛ فإنني أكملته بأقصى سرعة في أربعة أشهر أو خمسة باذلا ابلغ العناية بمحتوياته دون اهتمام يذكر بالعرض أو بتيسير فهمه للقارئ وهو قرار لم أندم عليه قط ولو كنت أبطأت وحاولت صياغته في شكل أكثر شعبية لما اكتمل العمل إطلاقا على أغلب الظن.

وكأن الدعوة هنا تتلخص في أهمية أن تأخذ (قدراتنا العقلية +المجاهدة) دورها بجوار فاعلية الخيال الملهم. يقول هنري أيرنج (ليس الإبداع مجرد لمحة حدس مفردة إنما هو يتطلب عادة تحليلاً دائماً لعزل العوامل الهامة من العوامل العارضة). لكل إنسان على وجه الأرض قدرات وإمكانات حباه الله بها، ولكلٍ طريقته وخصوصيته في العطاء والتميز. وأرغب ختاماً أن أهمس في أذن القارئ العزيز سائلا: لا شك أن لك ذوقك وطريقتك الخاصة. فما هو أسلوبك المفضل لشحذ ذهنك وإثارة قدراتك الإبداعية؟

العفة اللفظية

ELganainy 1999

العفة اللفظية

(نحو ميثاق شرف إعلامي)

« تحرم النار على كل قريب هين لين سهل » .

الرسول الأعظم ﷺ

سبق و أن دعوت إلى ميثاق شرف إعلامي على مستوى الداخل؛ باعتبار حسن الكلام من الموضوعات المرعية في آداب التعامل، بل هي من ضرورات الآداب العامة في السلوك الاجتماعي التي حث عليها الدين الحنيف منذُ القدم.. ولعله من المثير للدهشة النظر إلى حجم التعليقات السلبية في مواقع الشبكات الاجتماعية خصوصا لدى الشباب حول أية قضية يثيرها الإعلام فتتحول إلى كرة لهب تتقاذفها الأطراف المتصارعة لمجرد الاختلاف مع الآخر!! هذه السطور بعيدة عن الوعظ الفوتوغرافي المباشر وتلامس البعد القيمي في عملية التواصل الاجتماعي.

القول الميسور:

عندما نتتبع العديد من الأقوال في موروثنا الثقافي والديني سوف نرصد زخماً من النصوص الدالة على إطراء القول اللين اللطيف وأثره في النفوس، فالعرب تقول في أمثالها الدارجة (الكلام اللين يغلب الحق البين) والإمام علي عليه السلام يقول: «من لانت كلمته وجبت محبته» وجاء في الحكمة الصينية القول المشهور (إذا كان قلبك وردة فلا بد أن يتلفظ فمك بكلمات عطرة) والقرآن الكريم قبل ذلك كله شجع وحث على استخدام

الكلام الرقيق الجميل قال سبحانه وتعالى ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء:٢٨] و (ميسور) مشتقة من (يسر) هي بمعنى الراحة والسهولة ويشمل كل كلام جميل وسلوك مقرون بالاحترام والمحبة.

العفة بين الظاهر والباطن:

إن الإطار اللفظي الذي نضع فيه كلماتنا هو في الحقيقة انعكاس لذواتنا، وكما قال الإمام علي (تكلموا تعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه) بمعنى أن حسن الكلام واللباقة في الحديث مع الآخرين ليست مجرد كلمات تخرج من بين الشفتين، ولكنها أداة دالة على مخزون القيم الذي يقف عليه الإنسان في حركته الاجتماعية، فهو انعكاس الداخل على الخارج يقول الأمام الشافعي:

يخاطبني السفيه بكل قبح	فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهة وأزيد حلما	كعود زاده الإحراق طيبا

والعفة اللفظية وأن كانت من الأمور الظاهرة، فإن تعاليم الدين تربطها بالأخلاق والضوابط باعتبار أن لها دلالتها النفسية ولها علاقة مباشرة بالداخل، وقد فصل الشارع الإسلامي الفوارق بين الغيبة والنميمة والبهتان والسخرية والتنابز بالألقاب والهمز واللمز.. الخ.

المشاحنات اللفظية:

العديد من العبادات تختزن مدلولات سلوكية راقية ومصممة لكي يمارسها الفرد وبشكل تطبيقي أي (بحسن الكلام) كما هو الحال في (شعيرة الحج) وفي شهر (رمضان المبارك) تلك التدريبات على حفظ اللسان تشبه الحلقات أو الدورات التدريبية التي تتم في معاهد الإدارة ومراكز التدريب العالمية، لكنها متجذرة في الوجدان القيمي

ومتمترسة بالتعاليم الربانية؛ لذا يجدر بنا التمعن في الفرق بين (الجدل والحوار) فقد وردت كلمة (الجدل) في القرآن الكريم في سبعة وعشرين موضعاً، أما كلمة (الحوار) فوردت في ثلاثة مواضع؟ والحقيقة أن التوصيات الأخلاقية لا تقف عند حدود الجدل وأجواء الاختلاف مع الآخرين فقط، بل كذلك في الدوائر الخاصة بالأقارب والأهل والأصدقاء، فالمزاح مثلاً لا يجوز فيه الاجتراء على الشخصية الممازحة بتوجيه الإهانة لها واستنقاصها؛ فيرد على المزاح بمثله فتتصاعد إثر ذلك المناوشات الكلامية وتنشأ حالة من التوتر والضغينة ويصبح المزاح ممارسة عدوانية أو سلوك غير سوي من الزاوية النفسية.

وبمراجعة سريعة لكتاب ابن القيم الجوزية (روضة المحبين ونزهة المشتاقين) سوف نلاحظ فيضا جميلا من الكلمات ودرجاتها والتي تزيد على الخمسين، لكل منها معنى متدرج ورقيق حيث حاول (ابن قيم الجوزية) جمعها ويأتي في طليعتها:

(المحبة، الود، الخلة، الرسيس، الهوى، الصبابة، الشغف الوجد، الكلف، الجوى، الشوق، الغرام، العشق، الهيام، الوله...الخ). هذا التقسيم للمفردات الراقية لا وجود له في اللغات الأجنبية، حيث انفردت اللغة العربية بدقة البيان وإصابة المعنى وغنى المفردات. ولقد علق أحد الأدباء قائلاً: (لو اطلعت الزوجات في البلاد الأجنبية على جمال مفردات اللغة العربية وتقسيماتها من الحب لشاقهن أن يتعلمن العربية ليعرفن مواقعهن عند أزواجهن).

الجانب الاجتماعي والجانب الوجداني:

يمكننا التقاط ذكاء وروعة الموقف في كتاب (وفيات الأعيان لابن خلكان) بحيث نقدح عبق الماضي لنكشف ونبوح بذلك التناغم في ثنائية الاجتماعي المعلن والوجداني المخبأ في المشهد التاريخي التالي:

فقد ذكر أن أعرابيا وفد المدينة فسأل عن أكرم الناس بها فدل على الإمام الحسين (سبط الرسول الأكرم) فدخل المسجد فوجده مصلياً فوقف إزاءه وأنشأ:

لم يخب الآن من رجاك ومن ... حرك من دون بابك الحلقة
أنت جواد وأنت معتمد ... أبوك قد كان قاتل الفسقة
لولا الذي كان من أوائلكم ... كانت علينا الجحيم منطبقة

قال: فسلم عليه الإمام الحسين وقال: يا قنبر هل بقي من مال الحجاز شيء؟ قال: نعم أربعة آلاف دينار. فقال: هاتها فقد جاء من هو أحق بها منا، ثم نزع برديه ولف الدنانير فيها وأخرج يده من شق الباب حياء من الأعرابي وأنشأ:

خذها فإني إليك معتذر ... واعلم بأني عليك ذو شفقة
لو كان في سيرنا الغداة عصا ... أمست سمانا عليك مندفقة
لكن ريب الزمان ذو غير ... والكف مني قليلة النفقة

قال: فأخذها الأعرابي فبكى. فقال له الأمام الحسين: لعلك استقللت ما أعطيناك قال: لا ولكن كيف يأكل التراب جودك؟

نظام الفزعة في الثقافة العربية

Elgenainy

نظام الفزعة في الثقافة العربية

(مقاربة تاريخية أخلاقية)

« يجب أن نسمح بآلية للدفاع عن الناس ضد ظلم أي سلطة ».
جيمس ماديسون

سوف لن يكون حديثنا هنا بشكل مباشر (الوعظ الفوتوغرافي) عن الانتهاك الهمجي من قبل العدو الصهيوني في عدوانه على غزة فهو حدث قد مضى، لكننا نستلهم منه الدروس والعبر، فقد قيل قديماً التلميح أبلغ من التصريح، والشرط أو الأداة السيكولوجية في هذه المحطة أن ينهي القارئ المقالة حتى النهاية ضماناً للشحن والتعبئة الروحية فيتكامل بذلك الإحماء الوجداني؛ وتماهياً مع ظاهرة الكسل الفكري يعتقد الكثيرون أن لفظ (الفزعة) من الألفاظ الشعبية، لكن العلامة ابن منظور في لسان العرب يقول: إن لفظ فَزِعَ إِلى القوم: استغاثهم. وفَزِعَ القومَ وفَزَعَهم فَزْعاً وأَفْزَعَهم: أَغاثَهم. وفَزِعَ إِليه: لَجَأَ، فهو مَفْزَعٌ لمن فَزِعَ إِليه أَي مَلْجَأٌ لمن التَجأَ إِليه.

قال زهير:

إِذا فَزِعُــــوا طارُوا إِلى مُسْــتَغِيثِهِمْ، طِوالَ الرِّماحِ، لا ضِــعافٌ ولا عُزْلُ

وقال الشاعر:

إِذا مـا فَزِعْنـا أَو دُعِينـا لِنَجْـــدةٍ لَبِسْـنا عليهنّ الحَدِيدَ الـــمُسَـــرَّدا

وفي الحديث: أَنه فَزِعَ أَهلُ المدينة ليلاً فركب النبي ﷺ فرساً لأَبي طلحة عُرْياً، فلما رجع قال: لن تراعُوا، إِني وجدته بحراً؛ فمعنى قوله فَزِعَ أَهل المدينة أَي اسْتَصْرَخوا وظنوا أَن عدوّاً أَحاط بهم، فلما قال لهم النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، لن تراعوا، سكن ما بهم من الفَزَع. يقال: فزِعْتُ إِليه فأَفْزَعَني أَي استغثت إِليه فأَغاثني.

وفي موروثنا الديني والأخلاقي مفاضلة لبعض الأعمال؛ فالاعتكاف على سبيل المثال له في الإسلام فضل عظيم وأجر كبير. كيف لا وقد فرغ المسلم لربه وانقطع عن ملذات الدنيا، لكن من يقضي حوائج الناس ويغيث الملهوف أجره أعظم من المعتكف، قال الرسول ﷺ «من مشى في حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين» وقصة نبي الله موسى عليه السلام في القرآن تقدم أنموذجاً رائعاً لأصحاب النجدة والمروءة الذين لا تسمح لهم شيمهم بالتفرج والتردد في العون والمساعدة، فعندما فر موسى عليه السلام هاربا من بطش فرعون ثم ورد ماء مدين فوجد الناس يسقون ووجد امرأتين قد تنحيتا جانباً تنتظران أن يفرغ الرجال حتى تسقيا، وعرف حاجتهما لم ينتظر منهما طلب المعونة والمساعدة وهو (الشهم الكريم) بل بادر وسقى لهما.

وذات يوم رجع الإمام علي عليه السلام إلى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قائمة تقول: إن زوجي ظلمني وأخافني وتعدى علي وحلف ليضربني فقال: يا أمة الله اصبري حتى يبرد النهار ثم أذهب معك –إن شاء الله – فقالت: إذن يشتد غضبه علي. فطأطأ رأسه ثم رفعه وهو يقول: لا والله أو يؤخذ للضعيف حقه غير متعتع!! وانطلق معها.

ونظراً لعدم اكتمال دائرة النضج بين الأخلاقي والتاريخي في قضية الفزعة؛ خصوصا إذا عرفنا أن هناك قضايا عالقة كقضية اللاجئين العرب والهجرة التي طالت (٤) ملايين عراقي و(٨٠٠) ألف لبناني ونصف مليون صومالي وأكثر من مليون سوداني؛ لذا فلن أتحدث عن ساحة الألم الإنساني (غزة.....) كما أنني لن أتحدث عن هجرة (٥٠٠٠) ألاف طبيب عربي سنويا بالإضافة إلى (٧٠) ألف متخرج. وقد تبدو السطور حزينة إذا قلنا إن هناك ما يزيد عن مليون (PHD) من أصل عربي بأوروبا

وأمريكا، وإن عدد الأطباء المتخصصين من دول عربيه بدول (DECD) بلغ رقما خياليا(٥٤ , ٠٠٠) ألف وهذا الرقم يعادل العدد الإجمالي للأطباء العاملين في (٩) دول عربيه ناهيك عن الحديث عن هجرة شباب المغرب العربي في ما يعرف بـ (قوارب الموت).

أتعهد للقارئ أن أتوقف في (محطة فكريه) أخرى لكي أقوم بالتفريق بين المهاجر والنازح واللاجئ من خلال اتفاقية ١٩٥١م، لكنني هنا بصدد شحن المنظومة الأخلاقية في حسن الجيرة والنخوة والفزعة وإغاثة الملهوف. إنني وإياكم على موعد مع (المشرك الشهم) الشخصية العملاقة (مطعم بن عدي).

تاريخياً وبعد أن فشلت قريش في استرداد المهاجرين المسلمين من الحبشة عقدت اجتماعاً واعتمدت أسلوباً جديداً في مواجهة المسلمين وهو (المقاطعة) لبني هاشم وبني عبد المطلب وجاء في صحيفة المقاطعة ما نصه (باسمك اللهم على بني هاشم وبني عبد المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوا ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ولايعاملوهم حتى يدفعوا إليهم محمداً فيقتلوه). استمرت المعاناة والناس تتفرج على معاناة بني جلدتهم، وطالت أيام الحصار و اشتد الأذى بالمحاصرين في شعب أبي طالب، واستمرت المقاطعة قرابة ثلاث سنوات حتى أن المطعم بن عدي ذات يوم وقف بقريش وقال (إنكم فعلتم بمحمد ما فعلتم فكونوا أكف الناس عنه) ولم يغمض لهذا الرجل جفن؛ فعمد إلى التفكير في طريقة لرفع المعاناة فبادر (المطعم بن عدي) إلى إقناع بعض رجالات قريش بضرورة نقض الوثيقة وتمزيقها وإنهاء المقاطعة من خلال مبادرة شعبية، تواعد مع رجال خمسة على اللقاء ليلاً بأعلى مكة، واجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام بتمزيق الصحيفة(هذه النخبة لم تنتظر قرارات هيئة الأمم ولا رأي مجلس الأمن) وعند الموعد لبس (المطعم) ورفاقه السلاح واتجهوا إلى الشعب وخرج بنو هاشم وبنو المطلب إلى مساكنهم، ولم يسع قريش أن تفعل شيئاً أمام عزيمة نخبة من الرجال، حتى علق أبو جهل على الحادثة قائلاً: (هذا أمر قضى بليل).

نعم باب التغيير مرتع خصب وكبير، وثماره أكبر وأعظم، وكبار النفوس لا ترتضي المكوث في موقعها تتراكم عليها أغبرة الزمن لا تحرك ساكنا لدفع ركام التخاذل والصمت، فلو كان (المطعم بن عدي) اليوم بيننا لمزق العديد من صحف المقاطعة التي تمارس بخفاء في واقعنا، ولنبذ ذلك الاعتراك الجانبي والتحزبات الذي تعيشه فئات عديدة في مجتمعاتنا. اليوم تهتز المفاهيم وتتبدل صورة (الفزعة) كنموذج مشرف في ثقافتنا وتستبدل لنصرة شيخ القبيلة ورموز السلطة حتى وإن كان ظالماً؛ فتنتصر للظالم وتتجاهل المظلوم، لأن النخوة في هذه المرحلة تقوم على الانفعال لا على العقل والضمير الإنساني الأصيل. إننا في هذه المرحلة لم نعد متصلين بماضينا ومواقف الإبطال في تراثنا العربي والإسلامي، وفي الوقت نفسه لسنا متواصلين مع مفاهيم الديمقراطية وحقوق الإنسان كأن نفزع للمظلوم، وحقوقنا عبر المسيرات الحضارية السلمية التي توزع فيها الورود أو من خلال حمل الشموع تعبيرا عن الرفض والممانعة، تماما كما يتم في المجتمعات التي ترسخت فيها أدوات وتقاليد المجتمع المدني ومؤسساته.

الدرس الآخر الذي يمكن رصده ومن خلالا المشهور في السيرة أنه عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام لما خرج إلى الطائف (دعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه) حيث بدأ بأقرب القبائل وأكثرها قوة وثراء وهي ثقيف التي رفضت دعوته.

وزيادة على الرفض قابلوا دعوة الرسول ﷺ بالسخرية وأغروا سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويرمونه بالحجارة حتى شجت رأسه وأثخنت قدماه بالجراح. وبمنطق العصر السياسي فإن ما فعله الرسول ﷺ في الطائف يمثل انقلابا واستعانة بدولة خارجية ضد نظام مكة، وقد شعر الرسول ﷺ بذلك؛ لهذا وقبل دخوله مكة بعث ﷺ إلى بعض الوجهاء والزعماء في مكة يستجيرهم ويطلب حمايتهم وكان منهم (الأخنس بن شريف وسهل بن عمرو) فلم يتفاعلوا معه ولم يجيروه، لكن الذي قبل بذلك هو (البطل الشهم) المطعم بن عدي.

فأرسل النبي ﷺ مبعوثه وأوصاه قائلاً: اذهب للمطعم بن عدي. وقل له إن محمداً يقول لك: هل أنت مجيري حتى أبلغ رسالات ربي؟ قال (المطعم بن عدي): نعم فليدخل. فأصبح المطعم بن عدي وقد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه فدخلوا المسجد، فلما رآه أبو جهل قال: أمجير. أم تابع؟ قال بل مجير. قال أبو جهل: قد أجرنا من أجرت. فدخل الرسول ﷺ مكة تحت حماية المطعم بن عدي وهو مشرك وقد مات مشركاً، لكنه شهم لذا روي أن الرسول ﷺ قال في حقه (أنت الرجل الذي لا تخفر- لا تنتهك- ذمتك).

من المؤسف أن تندثر الفضائل في حياتنا الاجتماعية ويخيم الجبن واللامبالاة على النفوس وأن لا يبقى من الوجاهة الاجتماعية إلا أن يعلق البعض في مجلس بيته شجرة العائلة ليبرهن أنه من أسرة آل مطنش للمجتمع، أو من قبيلة المتعجرف حتى النخاع، وكأننا نعيش في عصر ما قبل الدولة، الوجاهة الاجتماعية ليست تراتبية موروثة أو ركوب مجاني على منصة الشرفاء، إنها موقف وتضحية من أجل مبادئ وقيم إنسانية سامية، أو كما علق أحد الأدباء (ما فائدة شجرة عائلة لا تثمر).

الدروس الأخلاقية عديدة ومتنوعة، وسوف أترك للقارئ مساحة للاستنتاج والتحليل لكن من بينها ذكر مناقب الناس وان كانوا كفاراً أو مشركين، بل إن أحد الصحابة (رضي الله عنهم) وهو حسان بن ثابت قال قصيدة يرثي بها المطعم بن عدي بعد موته؟ صحابي يرثي كافر!!.

السؤال هنا ماذا عن العديد من الشعوب الغربية والأجنبية التي تحتضن ملايين العرب والمسلمين. فهل نذكر محاسنهم؟ (سبق و أن كتبنا عن المناضلة الأمريكية راشيل كوري التي سحقتها الدبابات الإسرائيلية وهي تدافع ن أهلنا في الأرض المحتلة) لا بل على مستوى مجتمعاتنا. هل نذكر محاسن من نختلف معهم من الأفراد والجماعات في الوطن أو الدين أو الجنس؟. ماذا لو أن شاعراً مسلماً رثى كافراً بقصيدة وذكر أخلاقه وشهامته؟ هل نعيش أخلاقيات الاختلاف؟ يقول سعيد بن المسيب (ليس من شريف

ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن نذكر عيوبه. فمن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله).

الدرس الختامي وهو أنه بعد انتهاء معركة بدر الكبرى (عندما تحقق النصر المبين للمسلمين) تمكن المسلمون من القبض على (سبعين أسيراً) من المقاتلين المشركين. أقول: مقاتلين ومشركين؟ في تلك اللحظات الحاسمة أطلق الرسول ﷺ وهو النموذج العالمي للتسامح عبارته المشهورة (لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له). نعم إنه الوفاء وتعزيز مكارم الأخلاق وتقدير أهل المروءة وأصحاب الفزعة والنخوة. كيف لا وهو الذي منح الرسول ﷺ حق اللجوء وكسر الحصار عن أبناء جلدته في شعب أبي طالب، ولم ينتظر الإذن من قريش. نماذج زاهرة تتجاوز زمانها تعيد شحن النفوس لها فعل اللقاحات المعنوية في غرس الفضيلة.

نظرية القنفذ والثعلب

Elganainy

نظرية القنفذ والثعلب

> « دائماً اختار الشخص الكسول لفعل المهمة الصعبة.. لأنه سوف يجد طريقة سهلة لفعلها » .
> بيل جيتس

جاء في موروث الأدب العالمي أن القنفذ علم يوماً أن الثعلب سيدخل مغارة الأرانب ليأكل منها ما يريد؛ فهتف آه منك يا مكار: لن أدعك تنفذ جريمتك، وسار القنفذ بحزم مسرعاً وأخبر الأرانب بالأمر وقال: لا تخافوا وكور نفسه عند مدخل المغارة. وقف الثعلب أمام باب مغارة الأرانب ونظر إلى إبر القنفذ الحادة. ثم هز رأسه ومشى بعيداً وهو يتمتم في نفسه: من أين جاء هذا القنفذ في هذا الوقت؟

هذا النص الجميل يذكرنا بقصيدة يونانية قديمة للشاعر (أرخيلوكوس) يقول فيها: (لدى الثعلب أفكار كثيرة ومتنوعة أما القنفذ فليس لديه سوى فكرة كبيرة واحدة) وقد استفاد من هذه الأبيات الشعرية الفيلسوف البريطاني (اشعيا برلين) حيث بنى على تلك المقولة فرضية لأسلوبين متناقضين للقيادة: أسلوب القنافذ وأسلوب الثعالب.

وبرلين، ليس متخصصاً في علم الحيوان ولكنه قام بإشارة توصيفيه إبداعية إلى أوضاع البشر السلوكية، فالثعلب يسعى وراء غايات عدة لا تتعلق إحداها بالأخرى، وقد تكون متناقضة في كثير من الأحيان بينما القنفذ له رؤية داخلية محددة تتسم بالثبات والشمولية.

وفي تراثنا العربي قام العديد من الشعراء والأدباء بملامسة النزعة الثعلبية ومنهم الشاعر (طرفة بن العبد) شاعر جاهلي من شعراء المعلقات، ومن أهالي شرق الجزيرة العربية حين قال:

كلهم أروغ من ثعلبٍ ما أشبه الليلة بالبارحة

والعرب لهم إشارة إلى سمة من سمات الثعلب (أدهى من الثعلب) ويذكر الجاحظ في كتابه (الحيوان) (أن الثعلب إذا طارده الصيادون تماوت وزكرّ بطنه ونفخه؛ فيتوهم من يراه أنه قد مات من يوم أو يومين، حتى إذا تعداه الصياد، وشم رائحة الكلاب وثب وثبة ونجا). كما ذكرت مخطوطة تراثية قام بتحقيقها رينيه خوام بعنوان «السياسة والحيلة عند العرب» كلاما عن صفات القائد المثالي، حيث استشهدت الوثيقة بكلام لعظماء الترك حين يقولون: ينبغي للقائد أن يكون فيه من أخلاق البهائم ما يلي من الصفات: شجاعة ألديك وجرأة الأسد وحملة الخنزير، وحراسة الكركي، وحذر الغراب، وغارة الذئب، وروغان الثعلب، وصبر الجمل. إلا أن الثعلب قد اشتهر من بين الحيوانات باستعماله الحيلة والمراوغة والكتاب لا يذم الحيلة مطلقا ويذكر مثالاً طريفاً (رأس لا حيلة فيه قرعة خير منه).

وعلماء السلوك لهم وقفة علمية حول سلوك الحيوانات، وعلى الخصوص القنفذ والثعلب (مقصد حديثنا) ويتعلق بمسألة الحوافز. فقد يعمد البعض إلى التعامل مع دوافع الشخصية الإنسانية واحتياجاتها بطريقة واحدة، وكأن الناس سواسية تجاه كل الحوافز.

في هذا السياق يصنف بعض علماء السلوك ردود الأفعال إلى نمطين: الأول بسيط ويسمى بأسلوب القنفذ، والثاني معقد ويسمى بأسلوب الثعلب؛ ولتوضيح الأمر يمكن القول إن القنفذ حيوان له جلد مكسو بشوكات إبرية مؤذية لمن يلمسها، وكل ما يفعله القنفذ هو أحد تصرفين: إذا استفز تبرز الشوكات لدرء الخطر، ويصبح كرة هامدة ثابتة

لا تتحرك، والقنفذ عندما يتخذ شكل الكرة فهو يعبر عن حالة عدم ارتياح. وإسقاطا على الوضع القائم في وطننا العربي يلاحظ هذه الأيام كثرة حالة القنفذ المتكور على نفسه عند الناس باعتبار هذه الحالة استجابة بسيطة واحدة لعشرات من حالات الإحباط المختلفة، لكنه في النهاية جواب واحد يشير لعدم الارتياح.

أما سلوك الثعلب فعلى العكس تماما، فكل حالة أو ظرف نجد السلوك الثعلبي يعد لها العدة ويصطنع لها الحلول، وكأنه يتبنى النظرية الموقفية في القيادة وهي من أحدث النظريات!!. من البشر من يماثل الثعلب في سلوكه، أي بالقيام بأكبر عدد من الاستجابات لكل طارئ، وقد وصفهم البعض بالانتهازيين باعتبار أن رائدهم الثعلب فهم يغتنمون الفرص. يقول الفيلسوف الهولندي (ايرازموس): (للثعلب عدة حيل وللقنفذ حيلة واحدة ــ لكنها أحسن الحيل).

وتجاوز بعض علماء النفس بالسلوك القنفذي إلى مهارة التعامل بين البشر انطلاقاً من قصة القنافذ التي كانت تعاني البرد القارس فاضطرت إلى التلاصق طمعاً في الدفء، لكن أشواكها الحادة منعتها من ميزة الاقتراب فابتعدت؛ فآلمتها شدة البرد فدخلت في حيرة من أمرها (أي بين ألم الاقتراب وألم البرد) فكان خيارهم العقلائي التقارب المدروس القائم على الانتفاع من التقارب بدون ألم، بمعنى أن تقترب بشرط عدم إيذاء الذات وفي الوقت نفسه لا تبتعد كثيراً على حساب أمنها وراحتها. ويضع الإمام علي كرم الله وجهه شرطاً جميلاً في المعاشرة (تعاشروا كالإخوان وتعاملوا كالأجانب).

الكاتب (بن ماكنتاير) ربط بشكل رائع بين استخدام الانترنت وطريقة تفكير الناس مشبهاً الفرق بين قارئ الكتاب وقارئ الانترنت بالفارق بين سلوك القنفذ والثعلب. القنفذ كعادته يعرف شيئاً واحداً كبيراً، والثعلب يعرف أشياء كثيرة صغيرة، ويترتب على ذلك أن القارئ يستطيع أن يصنف نفسه؛ فإذا كنت قنفذياً فإنك تجلس وتسيطر عليك فكرة كبيرة مهيمنة، أما القفز بخفة هنا وهناك فمعناه أن الانترنت استطاع أن يجعل منك ثعلباً انترنتياً.

التصوير هو فن تثبيت الحياة وتوثيقها، والإبداع الفني أصر هنا إلى أن تكون له لمسة إنسانية على نظريتنا فقامت المخرجة الفرنسية (منى عشاش) -ذات الأصول العربية- بإخراج فيلم (القنفذ) المستوحى من الرواية الفرنسية المشهورة (أناقة القنفذ)، حيث يركز الفيلم على أرملة فقيرة تعمل حارسة لعمارة، مظهرها قاسٍ لكنها شعلة من الذكاء؛ لذا يتقاطع المزيج الإنساني فنياً بين المظهر والجوهر.

أما البروفسور (Collins) فقد توصل مع فريقه البحثي المكون من (٢١) باحثاً متخصصاً إلى مفهوم (القنفذ) مقارنة بالثعلب والذي أسماه (Hedgehog Concept) في كتابه (good to great) حيث يشير فيه إلى نمط من القادة القنافذ. فهم ليسوا من القادة الذين نطالعهم في الصحف من ذوي الاستعراض لإنجازاتهم، ومن محبي الشهرة والسمعة والظهور الكبير، إنهم قادة لا يحبون الظهور ويتجهون نحو طمس أنفسهم كما يتمتعون بهدوء وروية إلى جانب كونهم متحفظين وحذرين، وفوق ذلك كله فهم خجولون ومتواضعون وذوو مهنية عالية.

هذا التوصيف الإبداعي للقادة يلامس أزمة المواطن العربي الذي يتطلع شوقاً إلى قنفذ يمسك بدفة القيادة، فالناس هنا في حالة تيهان ولا تدري إلى أين تتجه المسيرة!!.

نعم المواطن العربي لديه طموح واضح في العيش بكرامة، ولدية فكرة كبيرة واضحة حول مشروع تنمية الوطن، لكن مشاعره الداخلية مسكونة بالقلق أن القافلة قد تكون في الاتجاه الخاطئ؟

في تقديري هذه النظرية تصلح منبهاً حقيقياً للوعي بالذات وبالأنا الجماعية، بحيث نستطيع بواسطة التثاقف والكتابة أن نحيل الكلمات والحروف إلى آمال ووطن كبير. وأما وقفة القنفذ في الحكاية الافتتاحية فلعها ترمز إلى حاجة الأمة إلى قيادي قنفذي مبادر، فعربة الإصلاح في وطننا العربي بحاجة إلى حصان لكي نتحرر جميعا من ثالوث الاضطهاد: اضطهاد الطفل والمرأة والفقير.

مثلث برمودا الاجتماعي

مثلث برمودا الاجتماعي

> « هل تمتلك عشرين عاماً من الخبرة أم عاماً واحداً مكرراً عشرين مرة؟ » .
> بول داينرينفيلا

جاء عن معمر بن خلاد أن الإمام علي عليه السلام اشترى دارا وأمر مولى له أن يتحول إليها قائلا له: إن منزلك ضيق. فقال المولى: قد أحدث هذه الدار أبي!! بمعنى أنه لا يرغب في التغيير؛ فعلق الإمام عليه السلام من باب المطايبة و التوجيه قائلا: إن كان أبوك أحمق فلا ينبغي أن تكون مثله!.

عادة ما تستقبل الشخصيات المتجددة يومها بمشاهد غير مألوفة وغير مكررة، وتعطي نفسها حق التأمل في هذا الكون الفسيح بعيون سياحية ثقافية حيث ترى ذاتها في جمال التغيير البديع ورؤية كل ما يسر ويبهج. أما الشخصيات المتخشبة المنغلقة فهي تبالغ في التحفظ على الثابت والتمسك بالنمطية ضمن ضوابط دائرة المجتمعات المحافظة المتوجسة من كل جديد، ومن سمات التجديد أنه لا يحدث من المجتمع بالكلية؛ بل يبادر به أفراد يخرجون منه وعليه، مع أن المجتمع لا يؤهلهم للخروج؛ بل إن المجتمع غالبا ما يعلن معارضته لهم؛ وتبرر ذلك العقلية المحافظة بذريعة ثقافة (سد الذرائع). إنها الثقافة المتيبسة الرافضة للتغيير، تلك الثقافة التي أصابت حركة تطور المجتمع بالشلل، حتى أن ابن حزم قد فندها ذات مرة بقوله: لو أن سد الذرائع صحيحا لوجب قطع ذكور الرجال منعا للزنا)!!. هنا يكون الخروج على نمطية الحياة الجامد ليس سوى وعي مشاغب طامح لما هو أبعد وأرقى.

الشخصيات المتشبثة بالسكون لديها رغبة جامحة في تكرار الأفعال ذاتها كل يوم (عمل+ سوبر ماركت+ منزل) فتدخل مثلث برمودا الاجتماعي وكأنها ترغب بقوة في تسجيل أسمائها في موسوعة جينتس لارتكاب السذاجة و الرتابة والملل؛ رغم أن المسوحات الحديثة بينت أن الرتابة في بيئة العمل والحياة لها نتائج سلبية عديدة على الأفراد، منها التبلد الذهني والعزلة الاجتماعية و الاكتئاب و النقص الضار في الإبداع؛ و للتدليل على خطورة الرتابة على منظمات العمل ومستويات أدائها فإننا نسوق مثلا بما واجهته شركة كوداك عندما لم تنتقل إلى العالم الرقمي بالسرعة الكافية ولم تتحرك في الوقت المناسب(قبل عقد من الزمن). فقد ذكرت خبيرة الإدارة john kotter على الموقع الالكتروني Forbes أن سبب إفلاس شركة (كوداك) هو النمطية وعدم المواكبة والتجدد. لقد فشلت الشركة في المواكبة والتغيير قبل بزوغ فجر الثورة الرقمية؛ في الوقت الذي بدأت منافستها شـركة fuji بتسخير التكنولوجيا الرقمية في أعمال الأفلام الفوتوغرافية. من جانب آخر فقد قررت إحدى الشركات كسر روتين العمل والخروج من الرتابة في عمل الشركات وقامت بتخصيص يوم لجميع الموظفين لا يعملون فيه شيئا سوى الإدلاء بآرائهم لتحسين التخطيط والعمليات بمجملها، وقد تجلت الانعكاسات الإيجابية لهذا الأسلوب في رفع الإنتاجية وتحسين خدمات العملاء بصورة كبيرة، وسمح ذلك اليوم للموظفين بالتخطيط لكيفية استثمار أيام عملهم التالية للحفاظ على مسيرة العمل.

أما على مستوى طريقة التفكير فقد سمع أغلبنا هذه العبارة (التفكير خارج الصندوق thinking out of the box) والتي تشير إلى الافتراض المتضمن نمط التفكير التقليدي المتكرر، وفي الوقت نفسه فهو يتضمن الدعوة إلى التفكير الإبداعي والبحث عن الحلول والحياة المتجددة. وفي محاولة متميزة تزعمت شركة (Apple) المشهور حملة تسويقية لمنتجاتها تحت عبارة تحريضية: فكر بشكل مختلف (Think Different) حيث امتدت الحملة ما بين عامي ١٩٩٧ و ٢٠٠٢ م. واللافت في هذه الحملة هو مرافقة ذلك

الفيلم المعنون باسم (المجانين) المتضمن شخصيات لها شأنها الإنساني والتي حظيت بشهرة عالمية أمثال: محرر الهند غاندي والمناضل مارتن لوثر كينج والفنان التشكيلي بابلو بيكاسو والعالم البرت اينشتاين. تلك الحملة استطاعت إقناع الناس بأهمية اقتناء منتج الشركة لمواكبة العصر. وفي الوقت نفسه تضمنت دلالة رمزية على أن التفكير بشكل مختلف يعني أن تجعل للمستك بصمة على مسيرة الفعل الحضاري.

عندما يقرر الإنسان أن يكرر ذاته مثل ثور الساقية يدور حول الرحى وهو مصمد العينين، فإنه يحرم نفسه من رؤية النور. يقول ايريك آيدل: (انظر دوما للجانب المشرق من الحياة) وهذا حديث يعود بنا إلى نظرية النصف الممتلئ والنصف الفارغ من الكوب، فهناك زوايا مضيئة في الإناء البلوري، وكذلك فإن الحياة مزدحمة بأسباب التجدد والحيوية، شرط أن نخرج من عالم الروتين وسطوته العاتية. وجميع الحضارات وعلى رأسها حضارتنا الإسلامية الشامخة تحث على التجديد، وفي ذلك ورد القول المأثور: (من تشابه يوماه فهو مغبون). كما أكد العديد من المفكرين والفلاسفة أن التغيير هو شيء جيد في حد ذاته: فكتب (فولتير): إن لم نجد شيئا ممتعا قد نجد على الأقل شيئا جديدا. واحتج الإمام الشافعي على السكونية الجامدة التي تورث العفن قائلا:

إني رأيت سكون الـــمــــاء يفسده ... إن ســـال طـاب وإن لم يجر لم يطب

والشمس لولا فراق الأفق ما سطعت ... والسهم لولا فراق القوس لم يصب

وقال (واشنطن إرفنج) بطريقة شبه ساخرة: هناك راحة مؤكدة في التغيير حتى – وإن كان من السيء إلى الأسوأ – فيشعر المرء بالراحة -بلا شك- حينما ينتقل من مكان إلى آخر جديد. المثلث الاجتماعي (عمل+ سوبر ماركت+ منزل) عنوان نشتق منه الدلالة الرمزية لمثلث برمودة، ذلك المثلث الوهمي الذي يقع في المحيط الأطلسي في جزيرة برمودا تبلغ مساحته (٧٧٠) ألف متراً مربعاً حيث نسجت حوله كثير من الخيالات والمبالغات. نعم لقد وقعت في هذا المثلث الجغرافي بالفعل حوادث محدودة

روج لها بعض الكتاب أمثال تشارلز لبيرلتز صاحب أول كتابين عن هذا المثلث (بدون أثر) و (مثلث برمودا) ومن ترويج هؤلاء وغيرهم اكتسب هذا المثلث أهميته وشهرته.

الهروب من مثلث برمودا الاجتماعي يقتضي البحث عن نمط الحياة المتجدد الحافل بالمتعة والتغيير والإثارة، فحين تتسرب الرتابة والسكونية إلى حياتنا تصبح عبئا ثقيلا علينا وعلى الآخرين من حولنا، وعندما نعمل على تحقيق تجديد في أسلوب حياتنا وأهدافنا فإننا نحقق النصر ونهزم العقبات، وبهذا نرفض مجاراة الواقع الهامشي فنعلن على الملأ وبكل فخر إننا لا نعبأ إلى تصفيق الضعفاء.

كسل الشعوب

Elganainy

كسل الشعوب

« ليس هناك بديل للعمل الجاد ».
توماس أديسون

الدعابة والسخرية هما من أحب طرق النقد وأقربها الى نفوس الناس في هذه المرحلة، بل لعلهما تمثلان السلوة والعزاء وسط كومة التخلف التي نعاني منها وسط هذا الواقع المعاش. وإن كان ثمة تحفظ على المبالغة في استخدام النتائج الخطيرة لبعض الدراسات التي يكون موضوعها ظواهر ذات صلة بشعوب المنطقة ليقتصر ذلك في دائرة التهكم فقط. ومن بين تلك الدراسات الدراسة التي قامت بها مجلة لانسيت The Lancet البريطانية الطبية على ٢٠ شعبا يعاني افرادها من الكسل المؤدي إلى الموت (طبقا لأرقام منظمة الصحة العالمية)، وتذهب نتائج الدراسة التي أعدها فريق بحث دولي من جامعة تينيسي واعتمد فيها على معطيات السنوات العشر الأخيرة حول النشاط البدني الذي يبذله سكان مختلف دول العالم إلى أن الشعوب المستهدفة بالدراسة تعاني من عدم ممارسة أفرادها لأي نشاط بدني مثل المشي أو العمل اليدوي؛ مما يؤدي لإصابتهم بأمراض مزمنة. والذي يهمنا في هذه النتائج هو أن بلادنا احتلت المركز الثالث على مستوى العالم بين الدول الأكثر كسلاً وذلك بنسبة ٢, ٦٨٪ ؛ كما تصدرت المملكة أيضا قائمة الدول العربية الأكثر كسلاً!! بينما احتلت الكويت المركز السادس بنسبة ٥, ٦٤٪.

بالتأكيد لم يفاجأ أحد بعدم وجود اليابان أو كوريا الجنوبية أو سنغافورة ...إلخ،

ضمن هذه القائمة؛ وذلك لما عرف. عن شعوب هذه الدول من تقديس للعمل وتَبنٍّ لشعارات رائعة تحث عليه منها على سبيل المثال لا الحصر (يكفيك أن تنام أربع ساعات؛ فإذا نمت الخامسة فمعناه الفشل) بل والعمل بهذه الشعارات أيضا. وقد أرجعت الدراسة السبب في كسل بعض الشعوب إلى أسباب متعددة من بينها اعتماد نسبة كبيرة منها على التكنولوجيا وأن أفراد هذه الشعوب لا يوجد لديهم الميل للقيام بأي جهد بدني. أما وجود دول الخليج العربي ضمن القائمة فهو أمر طبيعي ومتوقع. وقد فسرت الدراسة سبب تراجع صحة الخليجيين بابتعادهم عن العمل خارج المكاتب وميلهم للأعمال الإدارية؛ حيث يعاني العديد منهم -بسبب قلة الحركة -من أمراض مزمنة على رأسها «السكري».

هذه الدراسة تعطي مؤشرا للخمول الذي تعيشه مجتمعات تلك الدول إلى درجة أغرت بعض الأجانب بالتهكم بجسارة على هذا الخمول؛ فهذه (اوبرا وينفري) الإعلامية الأمريكية التي تقدم برنامجا حواريا يتابعه يوميا أكثر من ٣٠ مليون مشاهد، والتي صدر عنها في إحدى حلقاته اتهام للشعب الكويتي بالكسل بلغة لا تخلو من التعميم قائلة: (إن المصريين هم من يبني مساكن الكويتيين، والهنود هم من يكنس شوارعهم، والفلبينين يربون أولادهم، والاندونيسيون يحضرون طعامهم، والاميركيين يتولون الدفاع عنهم، بينما الكويتيون يتصرفون كـ (باريس هيلتون). ولعل (اوبرا) بحاجة إلى قراءة مسألة النسبية الثقافية أو التأمل في قول الجاحظ:(الفضائل والكمالات والمثالب والمقابح موزعة بين الأمم والأقوام).

وقبل الحديث عن ظاهرة الكسل – باعتبارها ثقافة شعوب – يجدر بنا تصنيف الكسل إلى ثلاثة انواع: أولها الكسل الذهني و هو الذي يشير إلى تدني الرغبة في التفكير والتثاقل عن البحث والتحليل، وهذا النوع من الكسل مستشرٍ و كارثي على المجتمعات، وهو الذي يوسع حجم قاعدة الهمج الرعاع في المجتمع. بحسب تصنيف الإمام علي ﷺ: (الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع ينعقون مع كل ناعق)

حيث يجعل هذا النوع من الكسل السواد الأعظم من الناس جاهزين لقبول التصورات المتوارثة وتقبل الخرافة والاقتناع بالتفسيرات غير المنطقية، وهو يُكوِّن لديهم قابلية عالية للتأثر بالإعلام الموجه من قبل الحكومات، أما النوع الثاني فهو الكسل الجسدي وهو الذي تكون أسبابه فسيولوجية (كما تذكر الكتب الطبية) كفقر الدم والسكري وتدني نشاط الغدة الدرقية وأمراض القلب والجهاز التنفسي وغيرها. أما النوع الثالث فهو الكسل النفسي حيث فقدان الرغبة بالعمل وتدني الحماس والميل إلى الخمول والسلبية في مواجهة متطلبات الحياة. وهو الأقرب الى مرض الاكتئاب في بعض صفاته بسبب الإحباطات المتراكمة، أو بسبب كثرة الأعباء والضغوط النفسية والتوتر الداخلي الناجم عن عدم تحقيق الطموحات الذاتية. فالكسل سيكولوجياً ناجم – في أحد أسبابه – عن الإحساس بالضعف والقصور أي: الإحساس بعدم جدارة الشخصية والعكس صحيح؛ فإن النشاط يفصح عن الإحساس بالثقة والكفاءة مما يدفع صاحبه إلى ممارسة وظيفته بحيوية وتفاؤل؛ لأن الشخصية التي تتمتع بالصحة النفسية لا تجد لديها مجالاً للكسل، أو كما قيل (الفراغ مفسدة) فالإنسان السوي لا يجتر مشاكله فهو مشغول عن ذلك بالعمل، بل إن بعض علماء النفس يعالجون مرضاهم بإشغالهم بـ(العمل) حتى لو كان ذهنياً أو عادياً لا قيمة اجتماعية له.

والحقيقة أن الكسل يرتبط بمنظومة القيم لحضارية لأية أمة من الأمم، فهو يصطدم بالقيم السائدة في المجتمع؛ فالكسل ليس مرتبطا بوفرة المال ولا بوفرة الخدمة فقط – كما يظن البعض – فهناك دول فقيرة تصدرت الدول الأكثر كسلا حيث لا مال ولا خدمات، ولكنها ثقافة الشعوب. وبالنسبة لمجتمعنا العربي فلعله يتحتم علينا الاعتراف أن الكسل من أكثر الأشياء تأثيراً في حياة الناس؛ لما يسببه من عزوف عن العمل وتدنٍ في الإنتاج وقلة في الإنجاز وتقاعس في أداء الواجب نحو الذات والآخر؛ ومع ذلك فإننا نجد مراكز البحوث والجامعات في غفلة عن دراسة تلك الظاهرة، وكأنها تتعمد أن تعطي برهانا لحالة الكسل في دراسة الكسل!

نعم قد تتباين الآراء حول تفسير انتشار الكسل؛ ولكن باستقراء لموروثنا القيمي والديني؛ فانه يمكننا أن نلمس كيف ربط الحق سبحانه وتعالى بين الكسل والنفاق في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٤٢]. وذكر سبحانه وتعالى سيدتنا مريم عليها السلام وقد جعل لها من الرطب الجني ما كفاها مؤونة الطلب، وفيه أعظم معجزة، لكنه مع ذلك يأمرها بهزها فقال تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥]. وفي فصل رائع وممتع أورده الراغب الأصفهاني في كتابه (الذريعة) في مدح السعي وذم الكسل: «من تعطل وتبطل انسلخ من الإنسانية، بل من الحيوانية، وصار من جنس الموتى». وذكر الأصبغ بن نباته (من تلامذة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام) ما يصف به الإمام باعتباره قدوة للشعوب في العمل بقوله (كان ليصل الليل بالنهار والنهار بالليل تعباً وعملاً) وذات يوم قال الأصبغ للإمام علي: يا أمير المؤمنين ألا تستريح؟ فقال الإمام: يا أصبغ كيف أنام؟ إن نمت النهار ضيعت رعيتي وإن نمت الليل ضيعت نفسي؟!.

لكن علم الاجتماع السياسي المعاصر يحمل الكسل – أحيانا – بعدا احتجاجياً؛ فمثلا يمكننا تأويل كسل الموظف في أداء عمله باعتباره نمطا من الانتقام اللاشعوري الموجه نحو سلطة الإدارة التي تقمعه أو لا تقوم بتقديم الحوافز المرضية له!. نعم قد أميل الى القول إن الكسل عند الناس قد يحمل دلالات احتجاجية تتضمن غياب قيم هامة كالعدالة، وعلى سبيل المثال فإنني أقوم الآن بالإشراف على ما يقارب من (٥٠٠) طالب في المرحلة الجامعية يتدربون في شركات متنوعة، ولي احتكاك يومي مباشر معهم باعتبار ذلك من مسؤلياتي وباعتبارهم طلبتي وأبنائي؛ وهي حالة تعب إنساني غاية في الروعة؛ ولكن المؤسف أن أغلب هؤلاء لا يشعرون بوجود عدالة في التعيين والتوظيف بعد التخرج، و أن الاختيار تتدخل فيه اعتبارات طائفية وقبلية ومناطقية، ولدى هؤلاء الشباب شعور أن لا فائدة من العمل الجاد ؛ فالجدارة ليست هي المعيار في توظيف

الناس؛ فالكسل بالنسبة لهم وسيلة نفسية دفاعية للتكيف مع حالة غياب قيمة العدالة الاجتماعية.

في تقديري هناك علاقة وثيقة (ولكنها غير واضحة)بين قيم المثابرة وعلو الهمة وبين توجهات رأس الهرم الإداري و السياسي ووجود نماذج قيادية قدوة ؛ بل هي المسؤولة عن غرس القيم في المجتمع، وهي بحاجة إلى أن نسلط أنوارنا الكاشفة عليها، فقد طالعنا ما جاء في تقرير عالمي عن نتائج دراسة حول الشباب قامت بها مؤسسة بحث فرنسية على (٣٣) ألف شاب حول العالم شملت (٢٥) بلداً للكشف عن تحولات منظومة القيم التي يحملها هؤلاء ؛الشباب حيث بدأ التقرير بالكلمات التالية: (إن العصر الحالي سيعرف حربا جديدة، هي ليست بالحرب التقليدية، ولكنها حرب قيم).

أختم باقتراح ليس له علاقة بالموضوع وهو التشجيع على مطالعة كتاب رائع وجميل كنت أتصفحه هذا الصباح لأبي حامد الغزالي واسمه (التبر المسبوك في نصائح الملوك) يروي فيه قول محمد بن علي ابن الفضيل: (رأيت الناس في أيام الوليد بن عبد الملك قد اشتغلوا بعمارة البساتين وبناء الدور وعمارة القصور، ورأيتهم في زمان سليمان ابن عبد الملك وقد اهتموا بكثرة الأكل وطيب الطعام حتى كان الرجل يسأل صاحبه أي لون اصطنعت؟ وماذا أكلت؟. ورأيتهم في أيام عمر بن عبد العزيز قد اشتغلوا بالعبادة وتفرغوا لتلاوة القران وأعمال الخيرات وإعطاء الصدقات)!!

أكبر عصف ذهني عربي

لحل أزمة البطالة

Elgawainy

أكبر عصف ذهني عربي لحل أزمة البطالة

« المشكلة المحددة تحديداً جيداً تعتبر مشكلة نصف محلولة» .
تشارلزكترنج

أتيحت لي فرصة المشاركة في مؤتمر (فكر ١٢) بمدينة دبي بتاريخ ٢-٣ ديسمبر ٢٠١٣ والذي اكتسب -هذه المرة - العديد من المزايا أهمها انه استقطب ١٣ شريكاً معرفياً دولياً من بينها منظمة العمل الدولية والبنك الدولي ومنظمة الهجرة الدولية وممثلين من جهات حكومية كوزارات العمل ودوائر التنمية الاقتصادية والشركات ومنظمات المجتمع المدني.

في تقديري أن أهم ما في المبادرة وما هو جدير بدفعها نحو الأمام هو ربط المعرفة بالتنمية حيث يلامس شعار المؤتمر الحاجة الماسة لمواجهة مشكلة البطالة التي يعاني منها الشباب العربي والتي تمنعهم من تحقيق طموحاتهم وبناء مستقبلهم؛ باعتبار الشباب العربي المحرك الأساس للتنمية نتيجة لعددهم الكبير والمتزايد والبالغ نحو (٧٠-٨٠) مليون بنسبة (١ إلى ٤) من التعداد السكاني.

لأول مرة تقوم مؤسسة الفكر العربي بإطلاق استفتاء حول البطالة في الوطن العربي واستحداث فرص عمل جديدة للشباب، على أمل أن يتم تجاوز مرحلة إصدار التقارير واجراء الدراسات والرصد الميداني إلى مرحلة خلق وظائف حقيقية تضمن مستقبل الشباب؛ خصوصاً وأن عنوان المؤتمر: (تحدي سوق العمل في الوطن العربي: ٨٠ مليون

فرصة عمل بحلول ٢٠٢٠م).

لقد تعودنا في الوطن العربي أن تصدر القرارات قبل أن يتم (أو حتى دون أن يتم) أخذ رأي الشعب في تلك القرارات؛ مع اننا في جلسات وقاعات التدريب نكرر نظرية الهرم المقلوب في صنع القرارات حيث ينبغي أن يستفتى الناس أولا ثم يصنع القرار. نعم يجب أن لا تبقى القضايا الهامة حبيسة الصندوق الأسود لا يعلم عنها أحد شيئا؛ بل يجب استنهاض المواطن العادي للمشاركة في صناعة الخطط، ومن هذه الزاوية فإن المؤتمر وبمشاركة مختلف الأطياف يعتبر واحدة من تجليات الممارسة الديمقراطية.

توفير ٨٠ مليون فرص تحتاج إلى تضافر جميع الجهود لابتكار نموذج اقتصادي يسمح بخلق هذه الفرص، وهي جهود ينبغي ان لا تقتصر على الحكومات فقط بل إن هناك أدورا ومسئوليات يتسع مداها ليشمل القطاع الخاص ومؤسسات المجتمع المدني أيضا. ففي جميع الدول المتقدمة يتم الحوار على أساس الندية والاعتراف بدور الآخر بين ثلاثة مكونات هي: الحكومات والقطاع الخاص والمجتمع المدني. والمؤتمر حاول أن يوفر أرضية لتلاقي الأفكار والآراء بين جميع الأطراف المعنية من مفكرين ومثقفين وخبراء ورجال أعمال وصناع القرار وممثلين عن شرائح مختلفة من نشطاء الشباب العربي الذين قاموا بدور ريادي في طرح محاولاتهم ومبادراتهم لإيجاد فرص عمل للشباب أنفسهم. ففي جلسة عنوانها (فكر وأفكار) عرضت – على سبيل المثال –تجارب متنوعة وعديدة لهؤلاء الشباب وهي رغم بساطتها فقد تطورت بعد ذلك لتتحول الى مشاريع عمل. وكانت كل تجربة تقدم إحصائية ميدانية بعدد الوظائف التي هيأتها وعدد من استفادوا بالحصول على وظائف من خلال تلك الفكرة بمعنى ان الافكار خرجت من الحيز النظري إلى حيز التطبيق الفعلي.

وفي هذا المجال اتقدم بتوصية الى المسئولين بأن يتم الاهتمام بالمبادرات الشبابية في جميع البلدان، على أن تحتضن وتتحول إلى عمل مؤسسي إذا أثبتت جدواها وأثرها في حل أزمة البطالة، فالمواطن العربي لم يعد يثق باللقاءات والمؤتمرات –وله العذر في ذلك–

نتيجة الإخفاقات التي تسبب بها اللجوء الى التنظير فقط دون أن تتحول التوصيات الى نتائج ملموسة؛ وتفاعلا مع هذه التجارب الشبابية فقد أعلن عن تأسيس نواة بمسمى (مرصد الإبداع) يهتم بعملية البحث عن الأعمال المبدعة لإيجاد فرصة عمل للشباب.

وقد منحت مؤسسة الفكر العربي (برئاسة الأمير خالد الفيصل) خلال اللقاء مجموعة من الجوائز لمستحقيها منها (جائزة الإبداع الأدبي) (جائزة الإبداع العلمي) (جائزة الإبداع الإعلامي) (جائزة الإبداع الفني) (جائزة الإبداع المجتمعي). علما بان جائزة الإبداع لهذه السنة جاءت برعاية حصرية من الشركة السعودية للصناعات الأساسية (سابك). وقد فاز بجائزة الابداع الأدبي الكاتب واسيني الاعرج من الجزائر عن روايته (أصابع لوليتا). كما فاز بجائزة أهم كتاب عربي ٢٠١٣ كتاب (الشباب ولغة العصر: دراسة لسانية اجتماعية) لمؤلفه اللبناني نادر سراج (وهو كتاب جدير بالقراءة) وقد أهدى المؤلف الكتاب إلى الشباب الذي أنتج في بلدان الربيع العربي (بلغته الخاصة) شعارات استطاعت أن تغير أنظمة.

ومن بين المشروعات النوعية التي أطلقها المؤتمر أيضا مشروع (لننهض بلغتنا) وهو مشروع انطلق من تشخيص المشكلات الواقعية في اللغة العربية، وكذلك مشروع للترجمة بعنوان (حضارة واحدة) وهو مشروع للترجمة من اللغة الانجليزية الى اللغة العربية وبالعكس.

وفي أثناء المؤتمر أيضاً أطلقت المؤسسة (التقرير العربي السادس للتنمية الثقافية) وبقراءة سريعة للتقرير نلمس محاولة جادة للإجابة على سؤال محوري وهام هو: هل التعليم والبحث العلمي في الوطن العربي هاجس أم حقيقة؟. حيث ناقش التقرير التكامل بين حلقات أربع هي: التعليم / البحث العلمي/ أسواق العمل / التنمية. وفي ظني أن هذه الحلقات الأربع هي في الوطن العربي الأكثر احتياجا إلى الترابط والتخطيط حتى لا تحصل فوضى في النتائج.

مشروع مؤسسة الفكر العربي (من زاوية حضارية) هو منجز لا يقل أهمية عن الفوز التاريخي لمدنية دبي باستضافة معرض (أكسبو ٢٠٢٠) وفوز قطر باستضافة مونديال كأس العالم (٢٠٢٢). فقد وفر هذا المؤتمر منصة فريدة لشباب الوطن العربي تسمح لهم بالتفاعل والتشبيك مع القادة الحكوميين وصانعي القرار ورجال الاعمال والأكاديميين والمثقفين وهيئات المجتمع المدني، وأتاح التواصل المباشر مع الناس في الميدان والساحة والشارع لفئة الشباب لصياغة خارطة طريق للمستقبل على نحو جماعي، وهي بمثابة فضيلة وطنية تتجاوز الاكتفاء بالتعليقات السلبية لكل خطوة في الاتجاه الصحيح.

نحن لسنا بحاجة إلى أن نضع الحصان أمام العربة، بل أن ندفع العربة إلى الأمام (مع وضوح الرؤية). ويحضرني هنا ما قام به رجل الاعمال الامريكي (تيد تيرنر) حين تبرع بمليار دولار خصصها لنخبة من المفكرين والقادة للتباحث في امكانية انشاء ما أطلقوا عليه لاحقا اسم (الاعلان العالمي لواجبات الانسان).

نحن بحاجة إلى صرف الأموال بسخاء في مثل هذه اللقاءات وفي مثل هذه الجهود المتوجهة إلى تنمية الأوطان، البعيدة عن الحزبية والطائفية، والملتزمة بمبادئ الأمة وأخلاقها، وبنهج الحرية المسؤولة؛ فهي قطعا أجدى نفعا من المليارات التي تصرف في تغذية الحروب وبث ثقافة الكراهية بين أبناء المجتمع الواحد والشعب الواحد.

كن أنت ولا تكن غيرك

كن أنت ولا تكن غيرك

> « لكي تتجنب النقد.. لا تفعل شيئاً ولا تقل شيئاً ولا تكن شيئاً ».
> **إلبرت هوبارد**

أيهما أصح أن تركز على جوانب القوة في شخصيتك أم على تنمية جوانب الضعف فيها؟ سؤال طرحته في ورشة عمل موجهة للشباب في إحدى الجمعيات الخيرية، وقد كانت غالبية من أجاب بالتركيز على نقاط الضعف، والبعض أجاب بالتـركيز على الجانبين معا!

أعتذر سلفا للقارئ عن كثافة الاستشهاد في السطور القادمة؛ ولكنه تم بقصد إحداث أثر نفسي معين، ومحور الارتكاز هنا قول الإمام علي: قيمة كل امرئ ما يحسن. هذه الكلمة العظيمة تكشف عن قاعدة هامة في الموارد البشرية، وقد قال عنها السيد الرضي: هي الكلمة التي لا تصاب لها قيمة ولا توزن بها حكمة ولا تقرن إليها كلمة وقال (الجاحظ) إنها من الكلام العجيب الخطير. وقال عنها الخليل بن أحمد الفراهيدي: هي أحدث كلمة قيلت! وهي في تقديري نظرية هامة تتجاوز النظرية الشائعة في تنمية قدرات الناس وأنه بالإمكان تدريب وتعليم الناس أي شيء وكل شيء وفي جميع المجالات! وتخالف المقولة المتداولة بأن تقوم المؤسسات بالتركيز على نقاط الضعف لدى الموظفين! وأجزم بأن هذه المقولة لا تصدق فقط على الأفراد – وربما تصدق بدرجة أكبر– على الشعوب والأمم.

جميع البشر بحاجة إلى الاعتـراف بما يملكون من قدرات وملكات وكأنهم يولدون وعلى جباههم علامة تقول (أرجوك اعترف بكياني). هذه المشاعر لا تختص بها فئة دون غيرها، فمهما كان المرء متحضرا وفذاً وناجحاً فإنه يظل متلهفاً لمعرفة مكانته في المجتمع، وكثيراً ما وأد الإهمال ملكات متفتحة واضمحلت الفضائل عند أصحابها حين لم يجدوا من يشد على أيديهم ويقدح في نفوسهم الإحساس بالاحترام والتقدير. وقد وصف الرسول الأكرم ﷺ أصحابه بصفات تميزهم عن غيرهم حتى يعترف الناس بفضلهم، فذكر الصديق والفاروق وأسد الله وسلمان منا أهل البيت وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر وصوت عمي العباس في المعركة بألف فارس. وهذا عين ما فعلته سفانة بنت حاتم الطائي عندما جاءت تطلب الشفاعة من الرسول الأكرم في والدها وهي ماثلة بين يديه وكانت أسيرة تعتنق المسيحية وأبرزت نقاط القوة في والدها قائلة: «إن رأيت أن تخلي عني؛ فإن أبي سيد قومه كان يفك العاني ويفشي السلام ويحمي الجار ويطعم الطعام ويقري الضيف ويشبع الجائع ويفرج عن الكرب، ولم يرد حاجة أحد قط فقال لها الرسول ﷺ: يا جارية: هذه صفة المؤمن حقاً، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه. خلوا عنها. فأطلق حريتها وعزز بذلك منهج الدين في إبراز سمات وملكات الناس مطلقا حتى لو لم يكونوا مسلمين. كما وما يزال صوت الإمام الحسين مدويا وهو يصف أصحابه الذين استشهدوا معه: ما رأيت أصحابا أبر وأوفى من أصحابي، فما فيهم إلا الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل إلى محالب أمه.

أغلبنا يعلم أن فكرة بنك القرية لمساعدة فقراء بنغلادش انبثقت من شاب فقير معدم (محمود يونس خاتون) والحاصل على جائزة نوبل، فلم يكن يونس يملك المال، لكنه كان يملك الفكرة وهي مصدر القوة لديه حتى أنه اقترض المال في البداية. واليهود لم ينطلقوا من نقاط ضعفهم باعتبار أنهم أقلية عددية، بل عوضوا القلة بالجد والعمل وابتعدوا عن ثقافة النياحة، فجائزة نوبل عهدها يرجع إلى أكثر من مائة عام ومنحت

(١٨٠) مرة لعلماء يهود، ومنحت (ثلاث) مرات فقط للمليار والنصف من المسلمين! ومخترعاتهم تضج بها الأرض (مخترع الإبر الطبية – مكتشف شلل الأطفال – مكتشف لقاح التهاب الكبد الوبائي – مخترع ماكينة غسيل الكلى- مخترع الأضواء التي تنظم المرور في الشوارع العامة – مخترع حبوب منع الحمل – مكتشف دواء سرطان الدم (الوكيميا)- مكتشف دواء الزهري- مخترع جوجل – ثعلب السياسة الأمريكية هنري كيسنجر، وفي عالم الأكل هناك قهوة ستارباكس + آيس كريم باسكن روبنز + وفي عالم الأناقة هناك لألف لوران صانع بنطلونات الجينز.

بل إن الرأسمالية بدأت تعدل من أطروحتها لتبرز نقاط قوتها؛ فكرس بيل غيتس مصطلح (الرأسمالية الأخلاقية) أطلق هذا المصطلح في سويسرا (المؤتمر الاقتصادي عام ٢٠٠٨) وقال: على الرأسمالية التي خدمت الأغنياء بزيادة ثرواتهم أن تتحول الآن إلى خدمة الفقراء، وبدأ بنفسه فتنازل عن ثروته، وهذه رسالة قوية إلى الأثرياء العرب إن كانوا فعلا مصدر قوة؟ لذا قال الشاعر الروماني هوراس (لا تنعت أحدا من ذوي الثروات والأملاك بالسعيد، إنما السعيد حقا هو الشخص الذي يحسن استغلال ما حباه الله به من مواهب وقدرات).

أو كما قال الحطيئة:

ولست أرى السعادة جمع مالٍ ولكن التقيّ هو السعيد

وعمر المختار أسد الصحراء وشيخ المجاهدين تربى يتيما لكنه اكتشف أنه يمتلك إرادة فولاذية؛ فحرر بلاده من المستعمر الإيطالي! وأغاثا كريستي التي أصبحت أعظم مؤلفة في التاريخ (من حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها) انطلقت من خلال قوة وخصوبة خيالها رغم أنها تلقت تعليمها على يد أمها، وكانت تعاني في صغرها من صعوبة في تهجي الحروف! وأوبرا وينفري المذيعة السوداء التي اكتشفت نقاط قوتها في الطلاقة اللفظية والتواصل الإعلامي غدت سابعة أثرى امرأة في أمريكا، وهي التي كانت تعيش

مع جدتها في مزرعة لتربية الخنازير في مسيسبي!

لا يوجد إنسان عبقري في كل شيء، فقط ركز على إبداعاتك وعلى ما تعرف وحاول أن تبرز نقاط قوتك ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ هذه السطور ليست دعوة للتمسك بما هو سلبي، وإنما هي دعوة للسمو بالذات. فحاول أن تكون ما تريده أنت لا ما يريده الآخرون وتذكر أن (قيمة كل امرئ ما يحسن).

وقد عني الكتاب بنشر مادة فكرية موجهة لقاعدة واسعة من القراء – وعلى الأخص الشباب – في موضوعات وشؤون تتصل بتنمية الذات (الطموح – الفراغ –تحمل المسئولية –المسايرة الاجتماعية – اللاعنف في التغيير–التفكير الناقد –الهوية الخ).

وفي الوقت نفسـه فقد وضعنا نصب أعيننـا عند تناول هذه الموضوعات تنميـة الحس الوطني لدى القارئ بحيث يتم ربط هذه الشريحة بالقضايا والمسائل الكبرى التي تشغل النخب والرأي العام وتتصل بمصير ومستقبل وطننا العربي والعالم من حولنا . خصوصا وأن هناك شح في الدراسات والأبحاث التي تجمع بين تطوير وتنمية السمات الشخصية وبين حركة الإنسان في واقع الحياة المعاش ، ذلك الربط الذي يستمد تطبيقاته من تراثنا الديني والأخلاقي ، وكذلك من تراث الحضارة الإنسانية في أفقها العالمي .